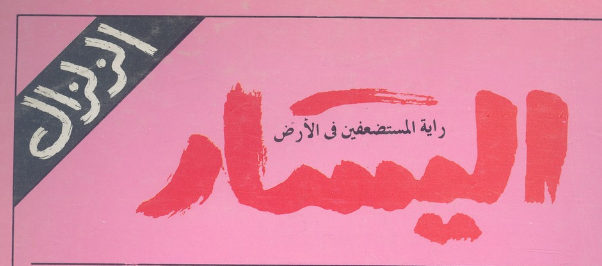


العدد السابع / سبتمبر ١٩٩٠ م / صفر ١٤١١ هـ / الثمن جنيه مصرى



حرية الفكر بين رقابة الحاكم وسيف الجماعات

الصندوق يأمر والحكومة تبيع بالخسارة

الله .. القافية .. الشيوعية

السقوط العربي في مواجهة الغزو

صباح كل أربعاء



جريدة كل الوطنيين

يصدرها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
لطفى واكد

رئيس التحرير
فيليب جلاب



ديمقراطيـة / عقلانيـة / اشتراكيـة

فى هذا العدد

اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر .

AL YASSAR 3 MIDAN EL MALEKA ZOBAIDA IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة مصر : ١٢ جنيها للأفراد ، ٣٠ جنيها للهيئات .

الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها .

العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو ما يعادلها .

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حواله بريدية إلى إدارة المجلة .

الإدارة والتحرير : ٣ ميدان الملكة زبيدة شقة ٣ - مدينة الطلبة - إمبابة . جيزة

تليفون : ٣٤٤٧٩٤٠ فاكس ٣٤٤٢٠١٣



رئيس التحرير :
حسين عبد الرازق
المشرف الفنى :
محمود الهندى
المستشارون :
ابراهيم بدراوى
د . رفعت السعيد
صلاح عيسى
د . عبد العظيم أنيس
د . فؤاد مرسى
محمود أمين العالم

اليسار در

بعد الانتهاء من إعداد عدد أغسطس (العدد الماضى) عقد مجلس المستشارين إجتماعا لوضع تصور أولى لهذا العدد. وعرضت هيئة التحرير تصورها، وانتهينا من تحديد الخطوط العريضة، وتوزيع المسئوليات. كان محور العدد- كما تصورناه- هو الأحداث السياسية الداخلية فى مصر.. وبصفة خاصة الانتخابات العامة المقبلة، صندوق النقد الدولى والاتفاق معه وآثاره الاقتصادية، قضية الاسلام السياسى أو الأصولية الاسلامية وانعكاسها على الحياة السياسية وموقف اليسار منها.. بالاضافه الى عدد من القضايا الاجتماعية التى تشغل بال الناس. وبدأنا العمل بالفعل. فاستضافت «اليسار» يوم الأحد ٢٩ يوليو القادة السياسيين والمفكرين فى ندوة تحت عنوان «رؤية يسارية لموقع الأصوليين الاسلاميين على الخريطة الطبقية والسياسية للمجتمع المصرى» وانطلق عديد من الزملاء يؤدون ماتعهدوا به من مقالات وتحقيقات وتقارير صحفية.

وفجأة انقلبت الأمور رأسا على عقب. واختلط الحابل بالنابل.. مابين غزو عراقى للكويت.. فغزو أمريكى للخليج.. فقوات عربية لتغطية الغزو.. فرهائن غربيين فى العراق والكويت.

وبذلنا كل مانستطيع من جهد لنقدم لقراء اليسار فى مصر والعالم العربى أساسا، تغطية شاملة للحدث..

وسيجد القارئ فى الصفحات التالية تقريرا شاملا يحاول الاجابة عن أهم الاسئلة التى طرحتها الأزمة، ويعيد رسم الأحداث فى محاولة للتوضيح والفهم. كذلك خصصنا «الجو السياسى» لمواقف الأحزاب والقوى السياسية فى مصر. ،ناقشنا فى الافتتاحية سياسة إدارة الرئيس مبارك فى مواجهة الأزمة. واهتمت رسالتا القدس وحيفا بشرح الموقف الفلسطينى وأسبابه، وكذلك رد الفعل الاسرائيلى والفلسطينى فى الأراضى المحتلة. وعرضت رسالة باريس الصورة من العاصمة الفرنسية، بموقفها المتميز، ورغم المساحة الواسعة التى أفردناها لهذا الزلزال، حرصنا على أن تستمر متابعاتنا للاحداث السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية.. وها هو العدد بين يدى القارئ ليحكم لنا أو علينا.

اليسار

موقفنا

ثقوب في المظلة العربية

تثير السياسة التى تتبعها ادارة الرئيس مبارك تجاه أزمة الخليج، كثيرا من علامات الاستفهام والتعجب- وربما الاسترابة- لدى أقسام عريضة من الرأى العام المصرى، خاصة وأن ملامح هذه السياسة لم تعلن للشعب المصرى، إلا بعد أسبوع من الغزو العراقى للكويت، وفى البيان الصحفى الذى أدلى به الرئيس مبارك يوم الأربعاء الماضى، وتتابعت بعده الأحداث، فاذا بالمقدمات شئ غير النتائج، واذا بالمعلن من السياسات المصرية تجاه الأزمة، يختلف عن المطبق من هذه السياسات ، بشكل يدعو لوقفه مع هذه السياسة.. ووقفة منها..

وقد تصاعدت دهشة كثيرين،- ونحن منهم- عندما أنهى الرئيس مبارك بيانه الصحفى بدعوته لمؤتمر قمة عربى عاجل، يعقد خلال ساعات، اذ بدت لهم هذه الدعوة متناقضة تماما مع المقدمات التى ساقها الرئيس فى البيان نفسه، لتبرير رفض مصر - فى بداية الأزمة- لعقد هذه القمة، وتفضيلها لعقد قمة عربية مصغرة، يحضرها طرفا الخلاف ومعهما مصر والسعودية، لان القمة الموسعة - كما قال الرئيس- غير مجدية، ولن تؤدى إلا الى مزيد من تمزيق العرب لملابس بعضهم البعض، ومزيد من تشرزم الموقف العربى.

على أن هؤلاء - ونحن منهم- غلبوا حسن النية، وفسروا هذا التناقض، بأن الأمور قد تطورت بشكل ربما دفع السياسة المصرية، الى تغيير اتجاهها، خاصة بعد حديث الرئيس المستفيض حول الأخطار الماحقة التى يتعرض لها العراق، وحول الضربة التى قد توجه إليه، «لتكسيحه» مما أوحى للرأى العام، بأن هناك جديدا دفع السياسة المصرية للعودة إلى سياسة القمة الموسعة بهدف إعادة بناء موقف عربى موحد تجاه الأزمة، وممارسة أقصى درجة من الضغط الجماعى على طرفى الخلاف - وخاصة العراق- لعدم تدويله، ولابقائه فى الاطار العربى، بما يحقق الانسحاب العراقى من الكويت، ويصون للعرب قوة العراق- وهى القوة العسكرية العربية الوحيدة الصالحة لقتال فعال- ويضمن ألا تستغل فى العدوان، ويضمن أيضا المصالح المشروعه لكل الأطراف العربية، بما فيها العراق والكويت.

وساعد على شيوع هذا الفهم، أن الموقف المصرى، من الأزمة كما شرحه الرئيس فى بيانه الصحفى، بدا منسجما مع خط ابقاء الخلاف داخل الاسرة العربية، وأنه تجنب- بقدر الامكان- المواقف الاستقطابيه التى تنجم عن الانحياز الكامل لأحد طرفى الخلاف ضد الآخر، بشكل قد يدفعه الى التشبث بمواقفه، أو يحول دون قبوله للوساطة العربية فمع أن الرئيس طالب بانسحاب العراق من الأراضى الكويتية، إلا أنه شهد بأن العراق محق فى جانب من شكواه من الكويت، وطالب بحل الخلاف بين البلدين حول ديون العراق للكويت، وحول زيادة الأخيرة لانتاجها من النفط خلافا لمقررات «الأوبك»، ومن خلال مظلة عربية تسد باب التدخل الأجنبى، وتصون قوى وموارد البلدين لصالحهما، ولصالح الأمة.

ولم يترك الرئيس مجالا للشك حول هدفه من الدعوة الى القمة العربية، حين وضع النقط على الحروف، وأعلن أن مصر مستعدة للاشتراك فى قوة عربية مسلحة لطمأنة دول الخليج المتشككه فى الأهداف العراقية، ولكنها ليست مستعدة لأن تكون طرفا فى قوه أجنبية مسلحه.. ومع أن الرئيس لم يحدد موقفا من هذه القوة الأجنبية، الا أن إعلانه لفت نظر المستمعين الى بيانه من الاعلاميين المصريين، فصفقوا له معلنين بذلك تأييدهم لهذا التوجه!

ثم جاء الموقف الذى اتخذه وفد مصر فى مؤتمر القمة العربية الطارئ، والمقررات التى صدرت عن المؤتمر بأغلبية ضئيلة والتصريحات والتحركات المصرية التى رافقت ذلك وتبعته والحملة الاعلامية الرسمية المسفة والتى وصلت الى درجة الهجوم على شعب عربى، لتكشف عن تناقض شديد، بينها وبين الخطوط الرئيسية التى دعا الرئيس القمة للانعقاد على أساسها.. فاذا بالقمة تستجيب لاستفزازات السياسة العراقية، فترد عليها بالانحياز الكامل ضدها، وتتجاهل الغزو الامريكى والوجود الاجنبى بشكل حال دون صدور قرار متوازن، يحفظ وحدة الصف العربى، ولايسد باب الحوار مع بغداد، ولا يشجعها على المضى فى موقفها، واذا بهذه المقرارت تطالب العراق بالانسحاب دون أية أشارة الى حقوقه التى كانت سبب الأزمة، والتى اعترفت بها الكويت- طبقا لرواية الرئيس مبارك- واذا بها تعطى ضوءا أخضر لتشكيل قوة مسلحة عربية من الدول الراغبة فى ذلك دون أن تشترط انسحاب القوات الأجنبية لتحل محلها القوة العربية، بل ودون تحديد للجهة التى يحق لها اصدار الأوامر لهذه القوة..

فكيف حدث هذا الانقلاب غير المنطقى

موقفنا

وغير المبرر فى السياسة المصرية؟.. وهل لذلك صلة باللقاء الذى تم بين الرئيس مبارك ووزير الدفاع الامريكى «شينى» عشيه الدعوة لعقد القمة العربية؟.. وهل يمكن مع هذه النتيجة تفنيد الاتهامات لمصر ،بأنها دعت الى عقد القمة لاعطاء غطاء عربى للتدخل الأمريكى؟!.

وتدل كل الشواهد على أن القوة المصرية التى سافرت الى السعودية ستعمل - عمليا ومهما قيل- فى ظل قيادة القوات الأمريكية المتعددة الجنسية ويكفى التصريح الذى أدلى به قائد القوات الامريكية ، وقال فيه أن وجود هذه القوات العربية رمزى، وأنها ستعمل فى اطار خطة مشتركة، ومعنى ذلك أن مصر معرضة للاشتباك فى حرب قد تنشب فى أية لحظة فى الخليج..

فمن الذى يتحمل مسئولية اقحام القوات المسلحة المصرية فى حرب تدور بين أشقاء، ويسيل فيها دم العرب العراقيين والكويتيين والسعوديين والمصريين، بسلاح عربى، وبيد جنود كان الظن الا يرفعوا السلاح الا فى وجه اسرائيل.. ودفاعا عن الارض العربية



المغتصبة؟!

إن القول بأن مهمة القوات المصرية، مهمة دفاعية محضة، يتجاهل أن الخيط بين الهجوم والدفاع رفيع للغاية، يسهل للأهواء الأجنبية أن تـوفر ظروفه ودواعيه فى مناخ ملئ بالتوتر، وهواء مزدحم بالشرارات التى قد تشعل السهل كله.

ومرة آخرى: من هى المؤسسة الدستورية أو التنفيذية التى حددت الخط السياسى الذى اتبعته مصر أثناء انعقاد القمة العربية، وماهى الظروف التى جعلت الرئيس ينقلب عن السياسة التى عرضها فى بيانه الصحفى، وتنتقل بالتالى السياسة المصرية من موقع الوساطة بين اطراف الخلاف، واعطاء كل ذى حق حقه الى موقع الانحياز الذى يقلل من تأثير العرب على السياسة العراقية، ويساعد على تدويل الأزمة؟ ثم: ماهو التفسير الذى تعتمده السياسة المصرية لتأييد القمة العربية لقرارى مجلس الأمن بشأن الأزمة.. وهل يعنى هذا أن تشارك الدول العربية فى فرض الحصار على العراق. بما فى ذلك الطعام والدواء وتجويع شعبه؟..

ثم: ألم تفكر السياسة المصرية لحظة فى أن هناك اكثر من مليون مصرى، يقيمون الآن فى منطقة الأزمة المباشرة ، يتطلب الامر وضعهم فى الاعتبار عند اتخاذ أى موقف؟!

تلك بعض من علامات التعجب والاستفهام والاسترابة التى تزحم الشارع المصرى، وتبحث عن أجابة عاجلة، تتمثل فى موقف مصرى جديد تجاه الأزمة، لايحركه الغضب لكرامة الرئاسة المصرية والتى يتعرض لها الاعلام العراقى بطريقة مسفة، أو البحث عن دور يثبت لحلفاء مصر فى الغرب أنها مازالت مؤثرة فى أمتها، اذ أن مايصون كرامة مصر ورئاستها، ومكانتها فى أمتها هو الا تتمحور، او تفقد قدرتها على أن تظل أخا كبيرا، قادرا على جذب الجميع الى رؤاه، بسياساته المستقلة، وقراراته العادلة، وانتمائه أولاً واخيراً لأمته، موقف يعيد المظلة العربية فوق الأزمة ، تلك المظلة التى كانت قبل القمة مليئة بالثقوب.. فاختفت تماما بعدها!

اليسار

تقارب بين التجمع والشيوعيين والعمل والاخوان المسلمين

واتفاق كامل بين الحكومة وحزب الوفد الجديد

مع بداية الشهر (اغسطس) وقع انقلاب مفاجئ في اهتمام الاحزاب والقوى السياسية في مصر. فتحولت جميعها من الاستعداد لانتخابات مجلس الشعب، والنقاش حول الدوائر والمرشحين والضمانات ومحاولة استكشاف كل حزب لحلفائه وخصومه، والتنبؤ بمواقف الحكومة وحزبها ورئاسة الجمهورية واعادة الحسابات على ضوء هذه المواقف.. تحولت الى متابعة محمومة لتطور الأحداث في منطقة الخليج أولا، ثم على امتداد الساحة العربية كلها، وكانت البداية اجتياح القوات المسلحة العراقية في الساعات الأولى من فجر يوم الخميس ٢ أغسطس للكويت وتوالت الأحداث بصورة مذهلة، وصلت ذروتها بالهجوم الامريكي وبمساندة الغرب، على المنطقة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا. وعاش الرأى العام في مصر هذه الأحداث بكل مشاعره وأحاسيسه. وأصبحت القضية هي الموضوع الوحيد الذي يشغل بال المواطنين والأحزاب والقوى السياسية، وتراجعت الى أجل قضايا الانتخابات والأسعار وصندوق النقد الدولي.. وشهدت مقار الأحزاب اجتماعات ومناقشات وبيانات. ودعى رئيس الجمهورية يوم الاربعاء رؤساء الأحزاب للاجتماع معه في الاسكندرية، وحدد موعدا للاجتماع الساعة الحادية عشر صباح اليوم التالي (الخميس ٩ أغسطس)، وفجأة، وبعد أقل من ساعه- تعدل الاجتماع ليصبح في نفس اليوم (الاربعاء ٨ أغسطس)، بعد ساعتين في القاهرة. وساد الجو السياسي مناخ من التوتر والقلق، ومازال مسيطرا حتى اليوم (٢٠ أغسطس) في انتظار ما تسفر عنه الأحداث التي سيطرت على الساحة العالمية كلها.

وقد اتفقت المواقف في البداية، ولكن سرعان ما ظهر التمايز والتباين بين الأحزاب والقوى السياسية.

الحكومة والمعارضة .. معا

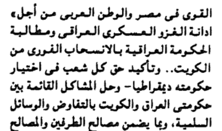
فبعد بيان وزارة الخارجية المصرية مساء الجمعة ٣ أغسطس، والذى أدان الغزو العراقي وطالب بانسحاب القوات العراقية.. عبرت ثلاثة أحزاب عن موقفها في بيانات عاجله صدرت يوم السبت ٤ أغسطس.

أذاع «خالد محى الدين» الامين العام لحزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي»، تصريحا باسم الحزب، طالب بالانسحاب الفوري للقوات العراقية من الأراضي الكويتية والى الحدود التي انطلقت منها قواته في ١ أغسطس ١٩٩٠- وذلك ضمانا لمصلحة الأمة العربية ومصلحة العراق نفسه. ودعى« كل القيادات والقوى العربية وكل القوى والمنظمات السياسية والشعبية والجماهيرية لبذل جهدها لاحتواء هذه الأزمة ولشل أي احتمال لأى تدخل أجنبي في المنطقة. ذلك التدخل الذى سيكون خطرا على كل المنطقة العربية وعلى كل المسيرة العربية وعلى انتفاضة الشعب الفلسطيني الباسلة » وأكد التصريح «أن حزب التجمع يؤكد على أن الشعب الكويتي سيبقى دوما صاحب الحق في اختيار نظام الحكم الذي يريد. »

ونشرت جريدة «الوفد» تصريحا لفؤاد سراج الدين رئيس الحزب، أعلن فيه «استنكار الوفد للغزو العراقي للكويت» ووصف الهجوم العراقي «بأنه عمل عدواني على دولة شقيقه ذات سيادة» وقال ان «العراق قدم بعدوانه على الكويت أقوى الحجج لاسرائيل على صحة ماتدعيه من وجود نوايا عدوانية عند العرب» وطالب العراق بسحب قواته فورا من الأراضي الكويتية بدون قيد اوشرط»

وأصدرت السكرتارية المركزية «للحزب الشيوعي المصري» بيانا حول الغزو العراقي وما «أدت اليه هذه الاحداث المأساوية من إتاحة الفرصة لاحتمالات تدخل عسكري من جانب القوى الامبريالية وخاصة الولايات المتحدة واسرائيل». ودعى البيان الى حشد

موقفنا



القوى فى مصر والوطن العربى من أجل» ادانة الغزو العسكرى العراقى ومطالبة الحكومة العراقية بالانسحاب الفورى من الكويت.. وتأكيد حق كل شعب فى اختيار حكومته ديمقراطيا- وحل المشاكل القائمة بين حكومتى العراق والكويت بالتفاوض والوسائل السلمية، وبما يضمن مصالح الطرفين والمصالح العربية كلها..»

وأصدر عدد من المثقفين المصريين بيانا شجب فيه الغزو العراقى للأراضى الكويتية الذى «يعرض الأمن العربى لمخاطر جسيمة من جانب الامبريالية الأمريكية، كما يحرف الأنظار عن الصراع العربى الاسرائيلى والانتفاضة الفلسطينية الباسلة..» وحذر البيان من خطر التدخل الامريكى وقال «إن الأحداث الأخيرة لفتت الأنظار الى خطورة الأنظمة الدكتاتورية وتورطها فى مغامرات عسكرية، والى هشاشة الأنظمة العشائرية فى الخليج، وإستعدادها للجوء الى عدو العرب الأول «الولايات المتحدة» لطلب المساعدة والعون العسكرى عند الشدة، والى عدائها الأصيل للديمقراطية والأساليب الدستورية والبرلمانية للحكم...» وختم المثقفون بيانهم قائلين..«ولاشك أن حكام الكويت بإصرارهم فى الشهور الأخيرة على إهدار الدستور واعتقال قادة المعارضة وتزوير الانتخابات وفرض الرقابة على الصحف لسنوات، إنما يتحملون قدرا من المسئولية فى تداعى الأحداث..(إقرأ نص البيان الذى لم تنشره الصحف الحكومية أو الحزبية)

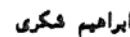
وفى اليوم التالى (الاحد ٥ أغسطس) عقدت الامانة المركزية لحزب التجمع أول اجتماع لها «لدراسة أخطر موقف يواجه الأمة العربية ويهدد مصيرها منذ هزيمة ٥ يونية ١٩٦٧ التى مازلنا نعانى من أثارها حتى اليوم» وذلك كما جاء فى البيان الصادر عنها عقب الاجتماع. وقد ركز البيان على أنه بدون حل عربى سريع سيفرض الحل الدولى نفسه بما فى ذلك احتمال استخدام القوة العسكرية الأجنبية وأشار البيان الى بعض النتائج السريعة للأزمة وفى مقدمتها.. انفراط عقد التضامن العربى وتزايد احتمالات تفجر الصراعات العربية واستشراء الصراعات الطائفية والعراقية بمشاركة قوى خارجيه. وعاد البيان الى التنبية الى الاخطار التى تتعرض لها الانتفاضة الفلسطينية وقضية الشعب الفلسطينى. وأكد على نفس المطالب الواردة فى تصريح الأمين العام.

ونشرت «الشعب» (يوم الأربعاء ٨ أغسطس) بيان حزب العمل الذى طالب بالانسحاب الشامل للقوات العراقية، ومع المطالبة بالانسحاب «نرى ضرورة التوصل الى حل عادل للخلافات الاقتصادية والبترولية بين العراق وبعض الدول الخليج الأخرى بهدف تحقيق استقرار للمنطقة وأخوة قومية» ونوه البيان «بأن عالمنا العربى محتاج أكثر من أى وقت مضى الى الديمقراطية التى نجزم بأنها لو كانت متوفرة فى النظم العربية لوضعت الكثير والكثير من المحددات على هذه التصرفات والقرارات الفردية التى بكل أسف تتحمل الدول والشعوب نتائجها.»

وأصدر الاخوان المسلمون بيانا نشر فى نفس اليوم قالوا فيه.. «فوجئنا بالغزو العسكرى العراقى للكويت، فكان هذا عملا مروعا ومثيرا للدهشة ومخيبا للآمال» وطالبوا العراق «بسحب قواتها من الكويت والامتناع عن التدخل فى شئونها.»

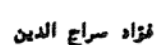
خالد محيى الدين



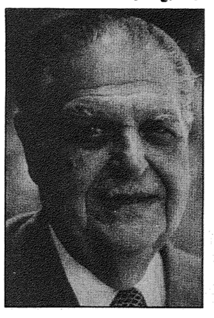


ابراهيم شكرى





فؤاد سراج الدين



الجو السياسى

انقلاب فى المواقف

ووقع تطوران كانا كفيلين بفرز جديد فى المواقف

التطور الأول دعوة الاسرة الحاكمة فى السعودية الولايات المتحدة الأمريكية لارسال قوات برية وجوية وبحرية الى الأرض والفضاء والمياة الاقليمية السعودية بحجة حماية المملكة من غزو عراقى محتمل. وفى الواقع لم تكن هذه دعوة سعودية، ولكنها كانت قرارا أمريكيا نفذته السعودية.

التطور الثانى، هو استجابة مصر لطلب أمريكى أيضا بتوفير تغطية عربية مصرية أساسا - للقوات الامريكية باستصدار قرار

بيان من المثقفين المصريين

الموقعون على هذا البيان - من كتاب وصحفيين وفنانين واساتذة جامعات - يشجبون الغزو العراقى للأرض الكويتيه، ويرون فى هذا العمل غير المسئول تدخلا سافرا فى الشئون الداخلية لقطر عربى شقيق خلافاً للاعراف والمواثيق الدولية وميثاق جامعة الدول العربية وكافة الاتفاقات الثنائية التى وقعها العراق مع الاقطار العربية المجاورة، فضلا عن أن هذا الغزو وعواقبه يعرض الأمن العربى لمخاطر جسيمه من جانب الامبريالية الامريكية كما يحرف الانظار عن الصراع العربى الاسرائيلى والانتفاضة الفلسطينية الباسلة وعن مشكلة هجرة اليهود السوفيت الى أرض فلسطين وتوطينهم فى الأراضى المحتلة بدعم وتمويل أمريكى.

ولهذا فاننا نطالب العراق بسحب قواته فوراً وبدون شروط من أراضى الكويت واللجوء الى اسلوب التفاوض والحوار لحل المشاكل المعلقة بين البلدين بمساعدة الجامعة العربية والاقطار الشقيقه ذات الصلة.

إن التطور السريع للاحداث منذ بداية الغزو العراقى للكويت، بمافى ذلك التصريحات العدائية للمسئولين الامريكيين والاستعدادات العسكرية والبحريه الضخمه للأساطيل الامريكية المتجهة حاليا الى الخليج بتفاهم تام مع بعض الدول الخليجية، إنما صحفية وكاتبةيوضح خطورة الموقف وقابليته للانفجار فى أى لحظة، والمدى الذى يمكن أن تمضى اليه واشنطون خصوصاً والغرب عموما فى مساندة انظمة حكم عشائريه غير ديمقراطية فى تلك المنطقة الحساسة من الوطن العربى. فثمة خشيه حقيقية من أن تزعم وشنطون خلال الايام القليله القادمة أن القوات العراقية قد قامت بعبور الحدود السعودية لاستخدام هذا الزعم تكأة لإنزال قواتها برا ثم الزحف الى الكويت خصوصا أن سفير الكويت فى واشنطون طالب رسميا بتدخل امريكا عسكريا كما تواترت الأنباء عن موافقة الحكومة السعودية على نزول القوات الامريكية فى أراضيها بعد تردد.

ان الاحداث الاخيرة قد لفتت الانظارالى خطورة الأنظمة الدكتاتورية وتورطها فى مغامرات عسكرية و الى هشاشة الانظمة العشائرية فى الخليج، واستعدادها للجوء الى عدو العرب الاول «الولايات المتحدة» لطلب المساعدة والعون العسكرى عند الشدة، والى عدائها الاصيل للديمقراطية والأساليب الدستورية والبرلمانية للحكم، الامر الذى يتنافى مع الاستقرار الحقيقى ويفضح نفاق السياسة الامريكية فى موقفها من قضية الديمقراطية. ولاشك أن حكام الكويت باصرارهم فى الشهور الاخيرة على اهدار الدستور واعتقال قادة المعارضة وتزوير الانتخابات وفرض الرقابة على الصحف لسنوات انما يتحملون قدراً من المسئولية فى تداعى الاحداث، ونحن نأمل أن يكون ماحدث درساً لكل حكام الخليج والاقطار العربية الاخرى فى خطورة الحكم دون ديمقراطية حقيقية تقوم على أسس دستورية وبرلمانية صحيحة كأحد الشروط الرئيسية لتحقيق الاستقرار السياسى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

* د. عبد العظيم أنيس
كاتب واستاذ جامعى
* محمود أمين العالم
كاتب وصحفى
* فريدة النقاش
صحفية وكاتبه
رئيس تحرير «أدب ونقد»
* د. لطيفة الزيات
كاتبة - استاذة الأدب
الانجليزى - جامعة عين شمس
* حسين عبد الرازق
كاتب وصحفى
رئيس تحرير «اليسار»
* أبو سيف يوسف
صحفى وكاتب
* صلاح عيسى
صحفى وكاتب
* حلمى شعراوى
كاتب - مدير مركز
البحوث والدراسات العربية
* عبد الغفار شكر
باحث وكاتب
* أمينة النقاش
صحفية وكاتبة

الجو السياسى

بالأغلبية من الجامعة العربية بإرسال قوات للسعودية تقف جنبا الى جنب مع القوات الأمريكية.

وجاء رد الفعل الأول والاسرع من «السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى» التى وزعت بيانا بالبريد يوم السبت ١١أغسطس أدانت فيه «كل محاولات التدخل الأجنبى وخاصة التدخل الأمريكى فى المنطقة العربية، وإدانة استدعاء القوات الأمريكية الى السعودية، وإدانة قرار أغلبية الجامعة العربية بتقديم مظلة لهذا التدخل بالاعلان عن مشاركتها فيه، بينما كان من الضرورى اعلان ضرورة انسحاب القوات الأجنبية من السعودية، وتقديم بديل عربى لها، وليس تابع عربى ومظلة عربية تحاول أن تضفى مشروعية زائفة على هذا الغزو الاستعمارى». كما أدان البيان موقف النظام المصرى.. اذ سمح بتقديم هذا الغطاء للأمريكيين، واذ سمح بجعل المياه والأجواء المصرية معبرا مباحا أمام قوات التدخل الأمريكية». وأكدت السكرتارية المركزية فى بيانها على موقفها المبدئى بادانة الغزو العراقى والمطالبة بانسحاب القوات العراقية

واجتمعت الامانة العامة لحزب التجمع الوطنى يوم الاحد ١٢ أغسطس فى اجتماع طارئ واستمر الاجتماع ٦ ساعات مشحونة بالمناقشات والآراء وفى النهاية، أصدرت بيانات حول الأزمة وافقت فيه على تصريح الأمين العام وبيان الأمانة المركزية، وأكدت على الموقف المبدئى لحزب التجمع برفض التدخل العراقى فى الكويت «والمطالبه بانسحاب القوات العراقية على أساس التوصل الى تسوية سلمية مشرفة ومحققة لمصالح مختلف الاطراف، واحترام حق شعب الكويت فى اختيار نظام حكمه. ثم ركز البيان وبإستفاضة على الوجود العسكرى الأجنبى والأمريكى خاصة ،و «هو خطر لايمكن السكوت عليه، وتمكين للأمريكيين من تحقيق مخططهم الاستعمارى بفرض وجود عسكرى مكثف فى الأرض العربية» وسجل البيان رفضه «لفتح الأجواء والمياه المصرية أمام القوات العسكرية الاجنبية المتجهة للتمركز فى أراض عربية، كما يسجل رفضه لقبول إشتراك القوات المسلحة المصرية كمظلة للوجود العسكرى الأجنبى، وليس كبديل له.» وطالب البيان بحل عربى يقوم على أساس.

- ابعاد الوجود الأجنبى عن المنطقة فورا
- انسحاب القوات العراقية من الكويت وحلول قوات عربية مشتركة محلها.
- اعادة روح الوفاق الى الصفوف العربية بهدف التوصل الى مخرج عربى محقق لمصالح مختلف الاطراف.
- تلافى امكانية وقوع تفجرات مماثلة بالعمل على اقامة نظام مؤسسى عربى ديمقراطى لضمان أن تكون الثروة العربية سبيلا لنهوض العرب جميعا، وليست سبيلا لتسيد بعضهم على بعض، أو توعد بعضهم لبعض»

واتخذ حزب العمل والاخوان المسلمون موقفا مشابها كلا على حدة. وأصبح واضحا أن كافة الأحزاب والقوى السياسية المصرية- عدا الحكومة وحزب الوفد- تتخذ مواقف متقاربة.. تركز على الأخطار الناجمة عن الغزو الاجنبى، وترفض مشاركة القوات المصرية فى تقديم المظلة لهذا الغزو الاجنبى، وتطرح قضية الديمقراطية وحماية الثورة الفلسطينية.. وفى نفس الوقت تطالب بإنسحاب القوات العراقية

اما الحكومة والصحافة الرسمية والوفد فقد اتخذت موقفا ثابتا يقوم على العداء المطلق ،لا للقيادة العراقية الحالية فحسب ولكن للعراق وشعب العراق وأصبحت قضيتها اسقاط النظام وتدمير القوة العراقية، والتخويف بالوجود العسكرى الأمريكى والترويج له والحماس أيضا.. وأهم من هذا كله الدفاع عن نظم الحكم فى السعودية والكويت والخليج عامة.

وكما قال بعض المراقبين، ان الحزب السعودى الكويتى الخليجى فى مصر قوى جدا بصورة تفوق التصور. سواء على مستوى الادارة المصرية او الاعلام والصحافة. واذا كان البعض فى السابق قدر قوة الحزب العراقى فى مصر تقديرا مبالغا فيه، فان التجربة أثبتت أنه أقل كثيرا من المتصور فعدا استثناءات قليلة هنا وهناك، فقد صمت أنصار العراق أو عبروا عن رأيهم بطريقة فيها قدر كبير من الحياء، ويبدو أنهم ادركوا صعوبة الدفاع عن الغزو، وأن بعضهم حريص على علاقاته بالسلطة المصرية بنفس قدر حرصه على علاقاته ببغداد.»

بعض الدوائر السياسية تتوقع أن تنعكس هذه التطورات بالسلب على علاقات أحزاب المعارضة، خاصة العلاقات الودية بين حزب التجمع وحزب الوفد.

وتتوقع هذه الدوائر ايضا توترا فى العلاقات بين الحكم وحزبى العمل والتجمع نتيجة معارضتهما لسياسة الرئيس مبارك فى مواجهة الأزمة وتورطه فى قبول المطالب الأمريكية الخاصة بتسهيلات مرور القوات المسلحة الأمريكية فى مصر، وكذلك إرساله لقوات مسلحة مصرية الى السعودية.

يهمسون

* مصادر غربية أكدت أن مرتب أمير الكويت «جابر أحمد الصباح» يصل الى ٢٥ مليون دولار سنويا، وأن مرتب خادم الحرمين الشريفين (ملك السعودية) الملك فهد ابن عبد العزيز آل سعود يتجاوز ٥٠ مليون دولار.

* فى آخر لقاء تم بين الرئيس حسنى مبارك والرئيس صدام حسين قبل غزو العراق للكويت، قال صدام حسين للرئيس مبارك أن عائدات حكومة الكويت السنوية تكفى لسداد ديون العراق ومصر وكل البلاد العربية غير البترولية، واذا وزعت على شعوب الأمة العربية فسيكون نصيب مصر معونه سنوية ٧ مليار دولار تغنيها عن الحاجة وعن المساعدات الأمريكية والتى تصل الى ٢ مليار دولار. وأعاد رفع الشعار القديم لحركة التحرر العربى «بترول العرب للعرب».



حسين عبد الرازق

فى ٦ ساعات - من الثانية الى الثامنة من فجر الخميس، أغسطس- فرض رئيس مجلس قيادة «الثورة» فى العراق، الرئيس صدام حسين، على شعب الكويت والامة العربية والعالم واقعا جديدا. ووضع المنطقة على حافة الحرب، وأصبح الحديث عن رسم خريطة جديدة للمنطقة، وعن سقوط النظام الاقليمى العربى، وإختفاء هذه الدولة العربية أو تلك والتحالفات والمحاور الوليدة والانفجارات الداخلية، وعن تكريس إنفراد الولايات المتحدة الأمريكية بالساحة الدولية.. أمرا عادياً متداولا فى كل ركن من أركان العالم.

فلم يكن قرار «صدام حسين» بغزو الكويت وإحتلاله وضمه بعد ذلك، مجرد إجتياح لدولة عربية تقف آثاره عند حدود دولتين عربيتين متجاورتين، أو منطقة الخليج.. بل كان زلزالاً وصلت آثاره الى العالم كله، وطرح عددا من القضايا المتفجرة، بدءا من العلاقات بين الدول العربية بعضها البعض. وطبيعة الحدود بينها وما يقال عن الوحدة والحقوق التاريخية، وقضية توزيع الثروة بين دول النفط قليلة السكان و الدول العربية الأخرى التى تتركز فيها الحضارة والكثرة العددية وطبيعة أنظمة الحكم هنا وهناك والديمقراطية الغائبة بدرجة أو أخرى على إمتداد الأمة العربية، والاستقلال والتبعية، وموقع القضية الفلسطينية. والأنتفاضة و «العدو» الاسرائيلى فى سلم الاهتمامات العربية..وصولا الى موضوع النفط، أسعاره وانتاجه وتسويقه والسيطرة عليه، وأثره على السياسات العالمية، والعلاقات بين الشمال والجنوب، وموقع الاتحاد السوفيتى (الدولة العظمى الثانية بعد الحرب العالمية الثانية) فى ظل ما يقال عنه توازن المصالح والتفكير السياسى الجديد، ومدى حرية السياسة الأمريكية على إمتداد المعمورة.. إلى غير ذلك من القضايا الهامة.

وإذا كان من الصعب فى لحظة كتابة هذا التقرير (٢٠ أغسطس ١٩٩٠) الاحاطة بكافة الآثار المترتبة على هذا الحدث، خاصة مع تلاحق التطورات بصورة يصعب الامساك بها، فهناك عدد من الحقائق والاجابات على اسئلة عديدة طرحت فى الساحة السياسية، تسهل متابعة الأحداث القادمة، والتنبؤ بالبدائل المختلفة المتوقعة، وتحديد مواقف صحيحة، خاصة ومصر تقع فى بؤرة الأحداث، وتملك بدرجة أو أخرى التأثير فى مجريات الأحداث.

ثلاث قضايا

لقد بدأت الأزمة العراقية الكويتية فى منتصف شهر يوليو، وتركزت حول ثلاث قضايا.

·الأولى قضية الأسعار وحصص البترول، فقد اتهم «صدام حسين» دولتى الكويت والامارات العربية المتحدة بإغراق سوق النفط العالمى بإنتاجهما، مما أدى الى خفض الأسعار، وكلفت هذه «المؤامرة» العراق ١٤ مليار دولار خسائر فى عائدات البترول.

وصعد «صدام» من إتهاماته، فقال ان دول الخليج تتآمر مع الولايات المتحدة وإسرائيل لإضعاف الاقتصاد وإعاقة بناء الجيش العراقى.

·الثانية قضية الديون. فالعراق يطالب بالغاء ديونه للكويت المترتبة على الحرب العراقية الإيرانية (٨ سنوات) وتقدر هذه الديون بما يتراوح بين ١٥ و١٨ مليار دولار.

·الثالثة قضية الحدود. فمنذ إستقلال الكويت عام ١٩٦١ لم تحدد بصورة نهائية الحدود العراقية الكويتية. ورغم تراجع العراق عام ١٩٦٣ عن المطالبة العلنية بأجزاء من الاراضى الكويتية، ظلت هناك محاولات لضم المنطقة الحدودية الكويتية جنوب العراق، وكذلك جزيرتى «بوبيان، ووربه» كمنفذ بحرى مباشر الى الخليج.

وظهرت إشارات واضحة فى الأسبوع الأخير من شهر يوليو، لتدهور سريع فى الموقف، مع وجود حشود عسكرية عراقية كبيرة على الحدود الكويتية. وصاحبها تحرك آلة الاعلام العراقية ضد الكويت وحكام الخليج.

ونجح الملك فهد والرئيس حسنى مبارك فى ترتيب لقاء عراقى كويتى فى «جدة» يحضره كل من نائب الرئيس العراقى «عزه ابراهيم» وولى عهد الكويت ورئيس وزرائها «سعد العبد الله الصباح». وإنتهت الجلسة الأولى التى عقدت يوم ٣١ يوليو بالفشل فقد تمسك الجانبان كل بموقفه. ومع ذلك إتفقا على استئناف المباحثات فى بغداد.

وبعد ساعتين من إنقضاء منتصف ليله ٢أغسطس إجتاحت القوات العراقية الحدود الكويتية وإنطلقت بسرعة هائلة

إلى مدينة الكويت، وأعلنت بغداد أن القوات العراقية «زحفت الى الكويت استجابة لنداءات من الشعب الكويتي الحر الذى أطاح بالنظام القائم هناك» وأن «الحكومة المؤقتة الجديدة ناشدت العراق تقديم المساعدة ودعم النظام وحمايته ضد أى شخص قد يفكر فى التدخل فى الشئون الداخلية الكويتية» وأن «القوات العراقية ستنسحب من الكويت فى غضون عدة أيام أو أسابيع بعد استعادة الأمن. وأن القيادة العراقية ستترك الشعب الكويتى كى يقرر شئونه الخاصة.

وأذاع راديو بغداد بيانا منسوبا الى ما أسماء «حكومة الكويت الحرة المؤقتة» هاجم فيه الحكم الكويتى» «غير أن المستعمر الأجنبى سلط زمرة من بعض آل الصباح عازمة على إحتكار مقاليد الحكم ونهب ثروة البلاد». وأضاف ان «الفئة الحاكمة كانت سنيدة الأجنبى قبل الاستقلال وخادمة لكل القوى الأجنبية الطامعة فى الكويت وفى المنطقة.وربطت هذه الفئة كل مصالح الشعب الكويتى بالمصالح الأجنبية، بل حتى بالمصالح الصهيونية».

وفى« الساعة الثامنة من صباح الخميس ٢ غسطس كانت القوات العراقية قد إجتاحت الكويت كلها بما يقرب من ١٠٠٠٠٠ جندى وأكثر من ٣٠٠ دبابة، واستولت على قصر «الدسمان» وكل المراكز الرئيسية فى البلاد. ليطرح السؤال الأول الكبير.. لماذا؟

حسابات صدام

من المؤكد أن هناك أسبابا إقتصادية تقف وراء الغزو العراقى للكويت.فقد أصبح فى حكم العلم العام أن العراق خرج بديون ثقيلة من حرب الثمانى سنوات مع إيران. فديونه للدول الغربية تتراوح مابين ٦٠و٧٠ مليار دولار. ومايقرب من هذا الرقم ديونا للسعودية ودول الخليج العربى. وتحتاج العراق الى ما يقرب من نفس الرقم لاعادة بناء وتعمير العراق وتنمية بنيته الأساسية التى دمرتها الحرب.

واستيلاء العراق على حقول النفط فى الكويت، يضع تحت يده إحتياطيا يماثل الاحتياطى السعودى. كذلك تحكمه فى الأرصدة والودائع الكويتية والتى تقدر بحوالى ٩٥ مليار دولار يحل مشاكل الديون والقروض ومصاعب البناء فإذا أضفنا الى ذلك سيطرته على ٢٥٪ من نفط المنطقة وبالتالى الدور الأساسى الذى يلعبه فى تحديد الأسعار والانتاج واحتمال تصاعد اسعار البترول، لبدا واضحا أن «الكويت» تصبح الثمرة اليانعة التى تخرج العراق من كل مشاكله الاقتصادية. وهناك منطق ساد فى بغداد طويلاً ووجد صدى لدى الدول العربية، يقول أن العراق (بقيادة صدام) أوقف زحف الخطر الايرانى وحمى الخليج من «الأصولية الخومينية»، ومن حقه أن يشارك فى ثروات الخليج ومصادر قوته.

وكان «طارق عزيز» نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية العراق واضحا عندما قال فى القمة العربية الطارئة القاهرة... «إن الوضع الاقتصادى كان قد وصل الى حالة بالغة السوء، وأننا وصلنا الى مرحلة لم نعد نثق فيها بوعود دول الخليج بأنها ستساعدنا على الخروج من الأزمة».

ويضيف مصدر عراقى مسئول..« أمريكا تريد تركيع العراق، واستخدمت الأسرة الحاكمة فى الكويت. إن الشيخ جابر يقول أن موازنته تعانى عجزا ولايقدر على المساعدة. عندهم مائة مليار دولار استثمارات فى الخارج من أين جاءت هذه الأموال؟. اليست أموال الشعب الكويتى؟. ويقول عندهم عجز ثم يزيد الانتاج حتى هبط سعر البترول من ١٨ إلى ١١ دولار..»

وساند هذه الأوضاع الأقتصادية رؤية سياسية لأوضاع المنطقة وظروفها فى هذه المرحلة، جعلت غزو الكويت- من وجهة نظر القيادة العراقية ممكنا، بل مكسبا مؤكدا للعراق.

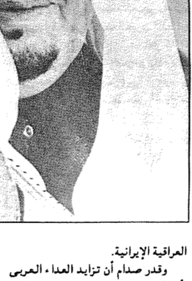
فحكام العراق قدروا أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تقامر بدخول حرب فى منطقة الخليج ومواجهة أقوى جيوش المنطقة تسليحا، وأكثرها تدريبا على القتال وإجادة له من خلال ٨ سنوات من المعارك الطاحنة، وأكبرها عددا. خاصة والولايات المتحدة لاتملك تواجدا عسكريا كبيرا فى المنطقة.











ودعم من هذه الحسابات نجاح صدام فى تحسين علاقاته بالمملكة العربية السعودية فقد وقع معها ميثاق عدم إعتداء، واتفاقية لترسيم الحدود، تنازل فيها عن كل مطالب العراق السابقة. وبالتالى فقد ظن أنه قد تم تحييد السعودية، خاصة فى وجود صراع خفى بين ال سعود وآل الصباح فى الكويت.

واستكملت بغداد الصورة بالتقارب الذى تحقق منذ أبريل الماضى فى العلاقات مع إيران. بدءا من (تبادل) الرسائل بين صدام وحكام طهران– وبمبادرة منه– الى التنسيق فى الأوبك بعد إجتماعات سرية بين البلدين، وصولا إلى التوصل الى تفاهم للعودة الى اتفاقية الجزائر (١٩٧٥) بين الشاه وصدام، والتى كان الغاؤها من جانب العراق هو بداية الحرب العراقية الإيرانية.

وقدر صدام أن تزايد العداء العربى لأمريكا بعد قطعها المحادثات مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومساندتها عمليا لحكومة شامير اليمينية المتطرفة و لاسرائيل ضد المنظمة، رغم مبادرة السلام الفلسطينية والتنازلات الواسعة التى قدمتها المنظمة، يشكل أرضية صالحة لغزو الكويت واسقاط العراق لأحد الأنظمة المرتبطة بأمريكا. خاصة وهناك تقارب واضح وقوى بين العراق والمنظمة، بل ونوع من التحالف غير مسبوق. وتواجه الحكومات العربية الصديقة والتابعة لأمريكا خاصة مصر والسعودية نوعا من العزلة فى ظل الأزمة الفلسطينية الأمريكية. وقبل الغزو بأيام كان الصراع بين المنظمة والحكومة المصرية قد وصل الى درجة الحدة بعد أن اتهمت القيادة الوطنية للأنتفاضة الحكومة المصرية بأنها «دمية فى أيدى الولايات المتحدة الأمريكية» وأن الولايات المتحدة قد إستخدمت الرئيس حسنى مبارك كأداة طيعة فى أيدى الادارة الأمريكية لتنفيذ برنامجها وتعميم تسوية كامب ديفيد فى المنطقة العربية وتعريبها».

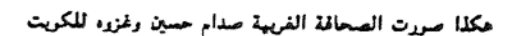
وأعطت كل هذه الظواهر «صدام حسين» يقينا بقدرته على تكوين جبهة راديكاليه (أو متشددة) ضد الولايات المتحدة الأمريكية التى هددت العراق وشنت عليه حملات دولية مع اسرائيل فى الفترة الأخيرة.. وتضم هذه الجبهة مع العراق كل من منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة ياسر عرفات وايران. وقد تكسب الى صفها فيما بعد الجزائر،

وليبيا، وكلاهما سيستفيد مع ايران من ارتفاع أسعار البترول بعد غزو العراق للكويت ولم تستبعد بغداد كسب سوريا في المستقبل.

ويقودنا ذلك الى عامل ثالث يكمن خلف قرار الغزو، وهو تطلع «صدام حسين» الى أن يقود العراق تحت قيادته العالم العربي. محققا بذلك حلم حزب البعث والطموحات القومية القديمة. وهو حلم تجدد في بغداد بعد خروج مصر من الساحة العربية وتوقيعها صلحا مع اسرائيل، والأزمة الأقتصادية التي أقعدتها. ولاتخفي العراق وأجهزة إعلامها الرسمية طموح الرئيس صدام للزعامة العربية فهو صاحب النصر العربي على «الغزوة الفارسية» ويملك أكبر جيوش العرب وأقواها جميعا، ويتحدى اسرائيل وأمريكا، وأخيرا ها هو يتحدى العروش العربية ويطالب بالثروة من أجل فقراء وجياع الأمة. أنه باختصار ناصر جديد، كما تصوره أجهزة الدعاية العراقية.

الرهان الخاسر

ورغم نجاح صدام في إجتياح الكويت في ٦ ساعات وإحتلالها، وهو أمر طبيعي نظرا لصغر وضعف الجيش الكويتي (٢٥ ألف جندي- ٢٧٥ دبابة بريطانية الصنع- ٥٠٠ مصفحة وناقلة جند- ٩٦ مدفع ثقيل- ٢٨ هليوكوبتر (جازيل)- ٣٠ طائرة مقاتلة (ميراج إف -١)- ٣٠ طائرة سكاى هوك- ٤ بطاريات صواريخ- أرض- أرض سوفيتيه (مزوج ٧)- ٨ زوارق هجومية فرنسية الصنع) مقارنا بالجيش العراقي الذي يزيد عنه ٤٠ في كل شئ تقريباً... فقد واجه «صدام» بعد ساعات موقفا وأوضاعا لم تكن في الحسبان.



هكذا صورت الصحافة الغربية صدام حسين وغزوه للكويت



لقد ووجهت القوات العراقية بأشكال مختلفة من المقاومة الكويتية، وربما كان أخطرها وأبعدها أثرا، رفض كل القوى والشخصيات المعارضة في الكويت التعاون مع الغزو وتشكيل الحكومة التي أعلنت عنها العراق «حكومة الكويت الحرة المؤقتة»، مما ترك الغزو العراقي عاريا بلا أي غطاء.

كان رهان «صدام» يقوم على وجود معارضة واسعة للحكم القائم في الكويت (حكم آل الصباح) شاركت فيه القوى القومية والناصرية والتقدمية والليبراليه والاسلامية ورجال الأعمال، وإنصبت على المطالبة بعودة الحياة النيابية ورفض المجلس النيابي المؤقت الذي أمر بتشكيله أمير الكويت، وانتشار الفساد في الحكومة، وسوء الادارة الاقتصادية. وكان قد التقى في بغداد بعدد من هذه القيادات منذ شهور. وأشاعت «بغداد» عبر بعض الصحفيين العرب وثيقى الصلة بها أن احمد الخطيب وجاسم القطامي واحمد الربعي وغيرهم من الوجوه الوطنية المرموقه للكويت هي التي شكلت الحكومة. ولم تصمد الاشاعة طويلاً.

فقد أصدر الدكتور أحمد الخطيب وجاسم القطامي بيانا باسم «التجمع الديمقراطي» و «التجمع الوطني» ضد الغزو. وطالب البيان «بضرورة الانسحاب العراقي من الأراضي الكويتية في أسرع وقت ممكن وترك الكويتيين يقررون مصيرهم بأنفسهم بعيدا عن أي تدخلات وضغوط» وأضاف البيان.. ان القوى الوطنية التي عانت في الوقت ذاته من غياب الديمقراطية ومن الفراغ الدستوري الذي عاشته الكويت منذ حل البرلمان في ١٩٨٦ وتعليق الحياة النيابية وفرض الرقابة على الصحف، إلا أنها ترى أن القضية الملحة الأن والتي يجب أن تلتف



حولها القوى الخيرة فى بلادنا، هى قضية الانسحاب العراقى من الأراضى الكويتية وإنقاذ أهلنا مما يعانونه من مصائب وويلات، وكذلك قضية حل المشكلات المعلقة بين الكويت والعراق، بما يتفق مع مصالح الشعبين الشقيقين والمصالح القومية العليا.»

وأدلى أحد قادة التيار الاسلامى فى الكويت بتصريح صحفى أعلن فيه أن «الاسلاميين يتمسكون بالدستور الكويتى والنظام القائم. نعم كنا معارضة ونطالب بمزيد من الحريات والاصلاح ولكن كان يمكننا التفاهم مع الحكومة القائمة. إما مع قوة عسكرية فسيكون ذلك صعباً جدا». وقال حول احتمال مشاركتهم قوى سياسية سواء اختلفوا معها فى الماضى- خاصة اليساريين- فى مواجهة الاوضاع الجديدة.. «هذه خلافات نضعها اليوم خلف ظهورنا فالمصيبة أكبر منها، والبلد نفسه الذى كنا نختلف فيه وله أصبح مهددا»، وأكد أن «جميع رجال المعارضة الكويتية رفضوا ترؤس الحكومة العراقية، بينهم النواب السابقون.. احمد السعدون، احمد الخطيب، احمد الربعى، جاسم القطامى».

وعندما أعلنت بغداد عن تشكيل الحكومة العسكرية برئاسة العقيد «علاء حسين على» بعد ٧٢ ساعة من الغزو، ولدت ميته فاقدة لأى مصداقية. وسواء كان أعضاء هذه الحكومة كويتيين، كما تقول بغداد، أو عراقيين كما يجمع أهل الكويت، فقد إعتبرها الجميع داخل الكويت وخارجه، مجرد «دمية» عراقية. وفقدت بغداد بذلك أول حججها للغزو، وهو مساندة الحكومة الثورية، الجديدة، التى لم تكن موجودة فجر يوم ٢ أغسطس، ولم توجد أبدا.

المفاجأة الثانية التى واجهتها عملية الغزو، كانت هروب الشيخ جابر الصباح أمير الكويت وولى عهده ووزرائه وأركان حكمه. فالخطة العراقية قامت على أسر (أو قتل) أمير الكويت والعائلة الحاكمة. ولذا بمجرد تقدم القوات العراقية عبر الحدود، وقبل أن تصل الى مدينة الكويت بساعات، تم اسقاط مظلى وهجوم بالطائرات على قصر «الدسمان» مقر إقامة الأمير، ولكن الفريسة كانت قد غادرت العش قبل وصولهم. ويقال أنه غادر القصر بالسيارة بناء على رسالة عاجلة من المخابرات المركزية الأمريكية أيقظته من نومه ونقلته بسرعة الى السعودية، قبل وصول المظليين عبر الحدود البريه.

وجاء رد الفعل الدولى العنيف، ليضيف عاملا جديدا هاما للصورة فبعد ساعات أصدر مجلس الأمن قرارا بالاجماع (١٤ عضوا من ١٥ نتيجة غياب مندوب اليمن لعدم تعليمات من حكومته) بإدانة الغزو وضرورة الانسحاب الفورى للقوات العراقية وعودة الحكم الشرعى للكويت. وشارك فى إصدار القرار الدول الخمس دائمة العضوية، بما فى ذلك الولايت المتحدة والاتحاد السوفييتى وتبارت دول العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه فى إدانة الغزو ومطالبة العراق بالانسحاب. وقررت الولايات المتحدة الأمريكية تجميد كافة الودائع العراقية والكويتية (حتى لاتقع فى يد الحكومة العراقية) وتجميد ممتلكات العراق وأصوله فى الولايات المتحدة وفروع البنوك الأمريكية فى الخارج وتبعتها الدول الغربية الواحدة إثر الأخرى. وأعلن الاتحاد السوفييتى وقف صادراته من الأسلحة الى العراق ردا على غزو قواته للكويت. وأعلن شيفرنادزه وزير الخارجية السوفييتى، أن الغزو العراقى للكويت «يتناقض ومبادىء التفكير السياسى الجديد، ومبادىء العلاقات المتحضرة بين الدول». وتحدثت الصحف السوفيتية عن الاتجاه الى الغاء معاهدة الصداقة السوفييتية العراقية وقال معلق سوفيتى معروف «فلاديمير ميخايلوف» ضربة أخرى تنزل بالعرب وبوحدتهم ومصالحهم الحيوية. والمفارقة المأساوية- التى تكاد أن تصبح قاعدة- هى أن الضربة ينزلها العرب أنفسهم بأنفسهم..».

وأصدر وزيرا خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بيانا مشتركا من موسكو جاء فيه.. «ترى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى أن المجتمع الدولى يجب ألا يكتفى بإدانة هذا العمل، بل يرد عليه باتخاذ خطوات عملية. ويقدم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة اليوم على خطوة غير مألوفة، فيوجهان نداء مشتركا الى الأسرة الدولية كلها للإنضمام اليهما، ووقف كل



الزلزال

أربع مراحل للهجوم الأمريكى على العراق

١- نشر القوات فى المنطقة بغطاء عربي
٢- حصار أمريكى كامل لضمان تنفيذ قرار مجلس الأمن
٣- تشديد الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية على العراق
٤- غزو أمريكى شامل للعراق!

صادرات السلاح الى العراق. ويدعو الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة المنظمات الاقليمية وفى مقدمتها جامعة الدول العربية وكل الدول العربية وحركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامى إلى اتخاذ كل الخطوات الممكنة لتنفيذ قرار مجلس الأمن».

وشنت الحكومات الغربية حملة ضارية ضد العراق ورئيسها صدام حسين، ووصفت الصحافة الغربية صدام حسين.. بالدكتاتور - والكذاب - ولص بغداد - وقاطع الطريق...

وبعد أيام قليلة صعد المجتمع الدولى من موقفه ضد الغزو العراق . فأصدر مجلس الأمن قرارا شبه اجماعى بفرض عقوبات اقتصادية وتجارية على العراق (صوت ١٣ لصالح القرار، إمتنعت كوبا واليمن)

وأضافت منظمة العفو الدولية «الأمنستى» عنصرا آخر ضد العراق، عندما أذاعت بيانا من لندن قالت فيه أنها «تلقت أنباء عن قيام القوات العراقية فى الكويت بإعتقال مئات من المنفيين العراقيين، أعيد بعضهم الى العراق، حيث سيسجنون ويتعرضون لخطر التعذيب، وفى بعض الحالات للاعدام.»

وأصدر مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية، واجتماع وزراء خارجية الدول العربية فى القاهرة قرارات بالأغلبية بإدانة الغزو العراقى والمطالبة بإنسحاب القوات العراقية وعودة الشرعية للكويت. ورغم التباين فى مواقف الحكومات العربية، فقد رفضت جميعها الغزو العراقى، ووقفت الأغلبية بقيادة مصر والسعودية موقفا عدائيا ضد العراق، بينما انحازت منظمة التحرير الفلسطينية والاردن للعراق، واتخذت الجزائر وليبيا واليمن، موقفا يعطى لخطر التدخل الأجنبى الأولويه فى الاهتمام.

وجاء القرار العراقى بضم الكويت اليها ليزيد من العزله والحصار. وصوتت جميع الدول الأعضاء فى مجلس الأمن، بما فى ذلك اليمن وكوبا ضد هذا القرار.

العدوان...

وازداد الأمر تعقيدا وخطورة، باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية منذ الساعات الأولى لاستخدام القوة المسلحة والتواجد العسكرى فى المنطقة.

الإدارة المصرية: الخطة الأمريكية تقوم على تكسيح العراق بضربة جوية

وقد عقد الرئيس الأمريكى «جورج بوش» فى خلال ال ٧٢ ساعة الأولى ثلاثة إجتماعات لمجلس الأمن القومى لبحث التحرك الامريكى العسكرى والسياسى والاقتصادى ضد العراق وفى منطقة الخليج والشرق الأوسط عامة. وحضر هذه الاجتماعات « ريتشارد شينى » وزير الدفاع و«الجنرال كولين باول» رئيس هيئة الأركان المشتركة ، « الجنرال توماس كيلى» المسئول عن قسم تخطيط العمليات العسكرية فى وزارة الدفاع «جيمس بيكر» وزير الخارجية، القاضى «وليام وبستر» مدير وكالة «الستى -أى- ايه» و«جون سنونو» رئيس موظفى البيت الأبيض» ومستشار الأمن القومى» الجنرال برانت سكوكرافت».

وعلى أثر هذه الاجتماعات بدأ الحشد العسكرى الأمريكى فى الخليج. ووصل فى الاسبوع الأول الى حوالى ٦٠ ألف رجل و٦٥ سفينه حربية تضم على الأقل ٦٥ قطعة قتالية رئيسية، الى جانب مالايقل عن ٥٠٠ طائرة قتالية، وتشمل هذه القوات وحدات برية من ٣٠ ألف جندى أضيف اليهما خلال الاسبوع الثالث من شهر أغسطس ٤٥ ألف من مشاة البحرية (المارينز) وجميعهم مزودون بالدبابات الخفيفة وعربات القتال وناقلات جند مدرعه ومدفعية ميدان وأنظمة دفاع مضادة للمدرعات والطائرات، وقذائف صاروخية. أما الوحدات الجوية فتشمل أسرابا من طائرات (ف-١٥) و(ف-١٦ فالكون) و(ف-١٦ إيجل)، و(ف-١١) وهى القاذفات الهجومية الاستراتيجية التى استخدمت عام ١٩٨٦ لقذف ليبيا منطلقة من قواعدها فى بريطانيا،





ـ وتخش أمريكا .. تحتل العراق .. وساعتها ناخد فلوسنا من بنك الرافدين بالدولار !!

والقاذفات الاستراتيجية الثقيلة من طراز (ب-٥٢)، وأخيرا الطائرات الشبح (ف-١١٧) والتى استخدمت فى غزو بنما. بالاضافة الى ٤٠٠ طائرة أخرى على متن حاملات الطائرات التابعة للبحرية الأمريكية، من بينها مابين ٣٠٠-٣٢٠ طائرة قتالية. ويتكون الاسطول البحرى حاليا من ٤٣ سفينة بينها ٣ حاملات طائرات وسفينة إقتحام برمائى حاملة لطائرات عمودية (هليوكوبتر) وبارجة واحدة و٤ طرادات و ٩ مدمرات و٢٢ فرقاطه. ويصل هذا الاسطول الى ٥٠ من بينه ٤ حاملات طائرات بعد انضمام حاملة الطائرات التابعة للأسطول السادس، وبعض هذه السفن مزود بصواريخ كروز (أرض-أرض) يصل مداها الى ٤٥٠ كيلو مترا. وقد أعلن مسئولون أمريكيون أن خطة البنتاجون تتضمن ارسال قوات يصل عددها ٢٥٠ الف رجل الى منطقة العمليات فى الخليج خلال ٦ أو ٨ أسابيع.

ومن الواضح أن الحشد الأمريكى (والغربى) والذى شمل وحدات بريطانية وفرنسيه واسترالية و..و... من الضخامة والشمول بحيث يتجاوز استعراض العضلات أوإثبات الوجود أووقف تقدم القوات العراقية، أو حتى مهمة الردع الدفاعى.

المخابرات الأمريكية كانت تعلم بالغزو واكتفت «واشنطن» بتحذير أمير الكويت عند بدايته !

ويجمع المعلقون العسكريون الأمريكيون والغربيون على أنه لايوجد خطر هجوم عراقى على السعودية. فرغم وصول القوات العراقية الى المنطقة المحايدة على مسافة ٦ و٨ كيلومتر من الحدود السعودية، فالمعلومات الأمريكية لاتشير الى نية القوات العراقية توسيع اطار عملياتها خارج الكويت. وتؤكد صور الأقمار الصناعية الأمريكية أن العراقيين لم يرسلوا مدرعات الى المنطقة المحايدة، واكتفوا بمجرد دوريات وانتشارهم لايشير الى أى استعداد هجومى.

ويؤكدون أن الولايات المتحدة عازمة على القيام بعمل عسكرى واسع. وكما تقول «الواشنطون بوست».. الولايات المتحدة على وشك الدخول فى التزام عسكرى دائم واسع النطاق فى منطقة خطرة».. ويضيف «سيث كارلوس»- المحلل فى مؤسسة دراسات الحرب البحرية»- أن الكفة الراجحة هى حدوث مواجهة عسكرية بين الولايات المتحدة والعراق وربما على نطاق واسع. «ويقول «بارى روبن»- المحلل فى معهد سياسات الشرق الأدنى فى واشنطون- «أن الوضع الحالى لايمكن أن يستمر أكثر من بضعة أيام، فنحن فى طريق للتصعيد يفضى الى العنف»

الاهداف المعلنة

ورغم أن الأهداف الأمريكية المعلنة على لسان الرئيس بوش هى:

- السعى لتأمين انسحاب فورى كامل غير مشروط للقوات العراقية من الكويت
- عودة الحكومة الشرعية الكويتية لتحل محل نظام «الدمية»
- الالتزام بأمن الخليج واستقراره، والمحافظة على صداقة عدد من الدول العربية فى المنطقة.
- حماية أرواح الرعايا الأمريكيين فى الخليج.
- ابقاء طرق الملاحة فى الخليج مفتوحة.
- حماية تدفق النفط من منطقة الخليج الى الولايات المتحدة والدول الأخرى.

الا أن الهدف الحقيقى لهذا الحشد الأمريكى، هو ضمان السيطرة على مناطق النفط ، ومنع «صدام حسين» من التحكم فى طاقة حيوية بالنسبة لأمريكا والعالم الغربى، وتوجيه ضربة قاصمة للعراق، الذى تجرأ فى الفترة الأخيرة على تحدى الولايات المتحدة الامريكية والاعلان عن قيام صناعة لاسلحة الحرب الكيماوية والتلويح باستخدامها ضد اسرائيل اذا ما هاجمته، وفى نفس الوقت

الزلزال

مخاوف أمريكية من سعى صدام بعد السيطرة على الخليج إلى إلى التفكير فى هزيمة إسرائيل

تثبيت أوضاع الحكومات التابعة فى المنطقة وزيادة اعتمادها على الولايات المتحدة.

وتشير مصادر أمريكية الى أن المخابرات المركزية كانت على علم بالهجوم العراقى وأبلغت به الحكومة الأمريكية، التى لم تحرك ساكنا واكتفت بإبلاغ أمير الكويت بعد بدء الهجوم لتمكنه من الهرب، وتركت «صدام حسين» يغزو الكويت.. معتبرة أن هذه فرصة ذهبية تقدمها لها بغداد لتنفيذ استراتيجيتها الجديدة فى المنطقة.

ولم يكن صدفة الأمر الذى أصدره «بوش» بأن تبدأ أجهزة المخابرات الأمريكية التخطيط والتنفيذ لعمليات سرية تهدف الى زعزعة نظام الرئيس صدام حسين وازاحته من السلطة مستخدمة كافة الوسائل والأساليب عدا «القتل». وقال بوش فى تبريره لهذا القرار، أن صدام سعى لتحويل العراق الى «دولة عربية كبرى» وأنه وضع نفسه فى موقع يمكنه من التحكم بأسعار النفط العالمية.

ويضيف «روبرت ج ساميولسون» فى الواشنطون بوست.. «القضية المهمة ليس زيادة أسعار النفط بعشرة دولارات للبرميل، ولكن الانقلاب الحاد فى ميزان القوى بالشرق الأوسط، والذى سيحول البترول الى سلاح استراتيجى، ويجعل قيام حرب كبرى بين العرب واسرائيل أمرا لا يمكن تجنبه.. فاذا مابقى صدام حسين فى الكويت، فسيصبح فى وضع يحدد حجم البترول الذى يسمح بتدفقه وسعره. وسيسعى لتحقيق طموحه بالسيطرة على العالم العربى بالعمل على هزيمة اسرائيل. وكلما استقرت سيطرته على الخليج سيندفع الى الغرب، وستجد اسرائيل نفسها مضطرة للاندفاع نحو الشرق.»

ويقول «جيم هوجلاند».. «اننا بصدد حالة نموذجية، تكون فيها الولايات المتحدة غير عاقلة اذا لم تستخدم القوة.. فالتدخل العسكرى ربما يكون الطريق الوحيد لتكتسب الولايات المتحدة المصداقية والاحترام..» وطبقا لمعلومات الادارة المصرية ، فان الخطة الأمريكية تقوم على ضرب أهداف صناعية وعسكرية ومنشآت اساسية فى العراق عن طريق غارات جوية أمريكية وقذائف صاروخية، تنطلق من البحر (الخليج) وبعض البلاد المحيطة بالعراق من بينها اسرائيل .

واذا كان ذلك هو الهدف الرئيسى للولايات المتحدة، فالادارة الأمريكية- رغم حرصها على تجنب الضربة البرية لصعوبتها فى مواجهة الجيش العراقى الذى يتجاوز عدده المليون وخمسة الاف دبابة و ٦٠٠ طائرة قتالية - لا تستبعد من خطتها إمكانية القيام بمثل هذه الضربة لطرد العراق من الكويت، كملجأ أخير..» فأى صراع يظل محكوما بنوايا طرفيه وخططهما وقدراتهما معا، ولايمكن أن يكون قابلا للتحكم فيه من جانب طرف واحد من دون الآخر.

وطبقا لما أذاعته أجهزة الاعلام وبعض تصريحات رسمية أمريكية، فالخطة العسكرية تقوم على مراحل متتابعة.

المرحلة الأولى: تقتصر على نشر القوات العسكرية برا وبحرا او جوا فى المنطقة، والحصول على تغطية عربية ضرورية من وجهة النظر الأمريكية.

وقد نجحت الادارة الأمريكية فى تنفيذ هذه المرحلة. فبعد زيارة «تينى»





المبادرة المقبولة الآن :
١ - إلغاء قرار العراق بضم الكويت والانسحاب
٢ - ضمان عربي لأمن الكويت وحق شعبه في اختيار حكومته
٣ - خطة لدعم الإقتصاد العراقي واسقاط ديونه
٤ - تسوية الخلافات العراقية الكويتية
٥ - انسحاب القوات والأساطيل الأمريكية من المنطقة

لكل من السعودية ومصر والمغرب، تلقى البيت الأبيض طلبا من «السعودية» لإرسال قوات أمريكية للمملكة للدفاع عنها ضد خطر الغزو العراقي وقام المغرب بتقديم التسهيلات الضرورية للطائرات الأمريكية المتجهة للمنطقة تنفيذا لاتفاق وقع بين الدولتين عام ١٩٨٢، وقبلت مصر مرور الطائرات الأمريكية في فضائها الجوي، ومرور حاملة الطائرات (ايزنهاور) التي تسير بالوقود الذري من قناة السويس في طريقها الى الخليج، ولتوفير التغطية العربية استصدرت مصر والسعودية والمغرب بالتعاون مع دول الخليج والصومال وجيبوتي وسوريا، قرارا بإرسال قوات عربية الى السعودية. وصدر القرار من إجتماع القمة العربي الذي دعى اليه الرئيس مبارك، بهدف الحصول على هذا القرار، الذي لم يحظ الا بالأغلبية، ومازال الخلاف حول اعتباره قرارا من الجامعة العربية من عدمه مستمرا. ولكن المهم أن قوات مصرية ومغربية وصلت الى السعودية ، ووفرت المظلة العربية المطلوبة. ثم تبعها قوات بنجلاديش وباكستان فقدمت مظلة اسلامية إضافية.

أما المرحلة الثانية: فتتأسس على قيام الولايات المتحدة الأمريكية بفرض حصار كامل على العراق لضمان تنفيذ قرار مجلس الأمن بفرض المقاطعة الاقتصادية والتجارية. وعلى هذا الطريق نجحت الولايات المتحدة في قفل أنبوب البترول العراقي الى السعودية ومنع تصدير البترول منه. كذلك منع تصدير النفط عبر الأنبوب المزدوج الذي ينقل البترول العراقي من حقول النفط في كركوك الى ميناء «يمور طالق» التركي على البحر الأبيض المتوسط. ثم شرعت في اعتراض السفن في الخليج وخليج عمان والبحر الاحمر لاستكمال الحصار، متجاوزة بذلك قرار مجلس الأمن، ومتجاهلة اعتراض الأمين العام والاتحاد السوفييتي وفرنسا. أي فرضت نفسها بالتعاون مع بريطانية شرطيا دوليا في المنطقة.

والمرحلة الثالثة: المتوقعة بعد فرض الحصار وتشديد الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية على العراق.. هي القيام بجهد أمريكي غربي منظم لتوجيه ضربات عسكرية متتالية على البنية التحتية العراقية بجوانبها العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.. بهدف تدميرها والقضاء على القوات المسلحة العسكرية وحقول البترول وكافة المنشآت الاقتصادية وطرق المواصلات.. الخ.

المرحلة الرابعة: والأخيرة في حالة عدم انسحاب العراق من الكويت.. محاولة اخراج القوات العراقية بالقوة من الكويت عن طريق غزو مباشر أمريكي بري وجوي وبحري، وبمساندة القوات العربية والاسلامية في السعودية.

ولا تستبعد الخطة الأمريكية- اذا فرضت الضرورة ذلك - تحول المواجهة الى عملية غزو شاملة للأراضي العراقية تحت شعار تحرير بغداد من «صدام حسين».. في حالة فشل كل المحاولات والوسائل الأخرى.

انتهى حلم إدارة مبارك في القيام بدور عربي ودور أساسي في انجاز التسوية

المواجهة العربية الأمريكية

ولاشك أن هذا «الغزو» الأمريكي للمنطقة والحشود الضخمة غير المسبوقة قد ازاح للخلف موضوع الكويت والغزو العراقي، ليضع المنطقة كلها على حافة مواجهة أمريكية عربية، لقد تطورت الأحداث بصورة سريعة ومفاجئة،فرضت على المنطقة أوضاعا جديدة، ومازالت هناك عديد من الاحتمالات تحوم في سماء المنطقة.

واذا حاولنا وسط هذه الرمال المتحركة أن نرصد بعض نتائج هذه الأحداث المأساوية، فسنجد أمامنا عددا من الحقائق يصعب تجاهلها.

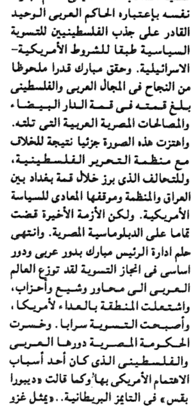
** أول هذه الحقائق هو انهيار النظام العربي، وتفكك الجامعة العربية، وتراجع العمل العربي المشترك حتى في صورته الدنيا التي كان عليها عقب قمة بغداد، واختفاء عملي للاتحادات العربية التي قيل أنها الطريق الى تقوية الجامعة العربية والعمل الوحدوي.

فمجلس التعاون الخليجي فقد مبرر وجوده كتحالف أمني ضد الخطر الايراني والعراقي اساسا فقد ثبت عمليا عجزه، ووقفت قوات «درع الجزيرة» المشتركة عاجزة عن الرد. وتوزعت دول «مجلس

التعاون العربي» فوقفت الحكومة المصرية في مواجهة حكومة العراق، وإختار الأردن واليمن موقفا وسطا يراه البعض أقرب الى العراق لاسباب مختلفة ولم يكن اتحاد دول المغرب العربي أحسن حالا فالحسن انحاز للسعودية ومصر، والجزائر وليبيا ركزت على الخطر والغزو الأمريكي أكثر من تركيزها على الغزو العراقي وامتنعت موريتانيا وغابت تونس.

** ويرتبط بهذا التدهور العربي العام، لنجاح الولايات المتحدة الأمريكية في الامساك بقوة بالأنظمة العربية التابعة والصديقة، وتكثيف تبعيتها لها، وبصفة خاصة مصر والسعودية ودول الخليج.

ونبدأ بمصر لقد قامت دبلوماسية الادارة المصرية في ظل رئاسة مبارك، على السعي لعودة مصر الى الساحة العربية وتحقيق علاقات طبيعية وهادئة مع كافة الانظمة العربية الحاكمة، على أساس أن يسود «الاعتدال» والتقارب مع الغرب السياسة العربية كلها. وبالنسبة للقضية المحورية في العالم العربي وهي



قضية الشعب الفلسطيني، قدم مبارك نفسه بإعتباره الحاكم العربي الوحيد القادر على جذب الفلسطينيين للتسوية السياسية طبقا للشروط الأمريكية-الاسرائيلية. وحقق مبارك قدرا ملحوظا من النجاح في المجال العربي والفلسطيني بلغ قمته في قمة الدار البيضاء والمصالحات المصرية العربية التي تلته. واهتزت هذه الصورة جزئيا نتيجة للخلاف مع منظمة التحرير الفلسطينية، وللتحالف الذي برز خلال قمة بغداد بين العراق والمنظمة وموقفها المعادي للسياسة الأمريكية. ولكن الأزمة الأخيرة قضت تماما على الدبلوماسية المصرية. وانتهى حلم ادارة الرئيس مبارك بدور عربي ودور اساسي في انجاز التسوية لقد توزع العالم العربي الى محاور وشيع وأحزاب، واشتعلت المنطقة بالعداء لأمريكا، وأصبحت التسوية سرابا. وخسرت الحكومة المصرية دورها العربي والفلسطيني الذي كان أحد أسباب الاهتمام الأمريكي بها. وكما قالت «ديبورا بقس» في التايمز البريطانية.. «يمثل غزو العراق للكويت ضربة لموقف الرئيس مبارك، كان حسني مبارك يحاول تقديم نفسه للغرب كمهندس الاعتدال العربي والتنازلات، وقد تناقص هذا الدور من قبل نتيجة لفشل الأميريكيين في دفع إسرائيل الى مائدة المفاوضات. وإنتهت سياسته الخارجية الى الفشل، ولكن هذه المرة على يد أخ عربي»

وقدرت الادارة المصرية أن هناك في ظل هذه التطورات خطرا في تراجع المعونات الأمريكية لمصر، لقد تمسكت الادارة الأمريكية في السنوات الأخيرة بعدم المساس بالمعونة التي تمنحها لاسرائيل ومصر، ورغم تخفيض المعونة الخارجية عامة، ورغم ضغوط الكونجرس لكي يشمل التخفيض مصر، وأصبح أمرا متوقعا أن تستجيب الادارة الأمريكية الى ضغوط الكونجرس أمام فشل السياسة المصرية، وهو أمر بالغ الخطورة في ظل الأعباء الاقتصادية الجديدة المترتبة على غزو الكويت، والتناقص الكبير المتوقع من تحويلات المصريين في الكويت والعراق والخليج كله، وكذلك تناقص عدد السفن التي تعبر قناة السويس.

واستغلت الادارة الأمريكية قلق الحكومة المصرية وارتباكها، لتفرض بعد زيارة «ريتشارد شيني» على القاهرة على الرئيس مبارك تقديم التسهيلات المطلوبة للقوات الأمريكية (المرور في الأجواء المصرية ومرور حاملة الطائرات آيزنهاور في القناة) وإرسال قوات من مصر للسعودية لتقديم الغطاء العربي المطلوب. واستجابت الحكومة المصرية بسرعة، ودبرت عقد القمة العربية لتقديم غطاء عربي واه لذهاب القوات المصرية الى الخليج في تعاون وتنسيق تام مع الولايات المتحدة الامريكية. وهي المرة الأولى منذ تولى مبارك للسلطة يتخذ مثل هذا القرار الخطير، وقد اتخذه دون مشاركة من أي مؤسسة مسئولة..





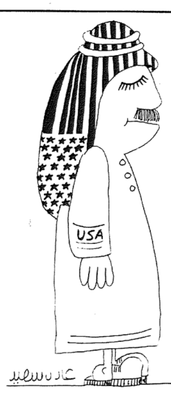
فمجلس الشعب مغيب نتيجة للحكم ببطلانه، ومجلس الوزراء لادور له فى السياسة الخارجية، ولم يستشر مبارك زعماء المعارضة فى هذا الاجراء أو غيره..

ولم يكن حظ الحكم السعودى أفضل من حظ الحكم المصرى، لقد نظر الى السعودية لسنوات عديدة خاصة فى ظل غياب مصر بعد اتفاقيات كامب ديفيد، بإعتبارها الدولة الكبرى القائدة فى المنطقة العربية، وأخذت تلعب دورا متزايدا فى السياسة العربية وانفقت مئات المليارات من الدولارات على بناء قواتها المسلحة، واعتبرت إحدى القوى العسكرية القوية وقوة الدفاع الأساسية عن دول الخليج، ومع أول ضربة إنهارت السعودية. وصرخ النظام الحاكم يطلب حضور قوات برية وجوية وبحرية للدفاع عنه، وأعلن وزير الدفاع الأمريكى أن قواته ستبقى فى السعودية ربما لسنوات قادمة.

وتحالف حكام السعودية ومصر ومعهما المغرب وسوريا ودول الخليج فى القمة الطارئة لاصدار قرار إرسال قوات عربية الى السعودية وتمرير هذا القرار بأى ثمن وبسرعة، وكان «بوش» واضحا عندما قال للصحفيين «أن اجراء الجامعة العربية مرض لغاية، وأثار لدينا تفاؤلا كبيرا فى شأن مستقبل القوة». وأعلنت «مادلين خيتز ووتر» الناطق باسم البيت الأبيض، أن بوش تحدث مع الرئيس حسنى مبارك وأشاد «بدوره البناء فى ضمان إصدار القمة العربية قرار إرسال قوات عربية للمشاركة فى قوة متعددة الجنسية» وقالت وكالة الأنباء الفرنسية..» إن وصول القوات المصرية الى الخليج جعل الجمهور الأميركى يشعر بالانفراج بعد أن كان خائفا من رؤية الجنود الأمريكيين يحاربون لوحدهم».

** وأدت هذه التطورات الى بروز محور جديد فى الساحة العربية يضم مصر والسعودية والمغرب وسوريا (ودول الخليج). وهو محور يضم ثلاثة من الدول المعتدلة الحليفة لأمركيا والتابعة، ودولة راديكالية تعارض السياسة الأمريكية فى المنطقة هى سوريا. وقد اتخذت سوريا هذا الموقف من زاويتينة الاولى التصدى لمحاولة العراق أن تكون القوة العربية الاساسية فى المنطقة. والثانية العلاقات العميقة مع السعودية التى تقدم أكبر دعم لسوريا منذ هزيمة ١٩٦٧. وقد التقط «بوش» الخيط بسرعة وأجرى حسب ماقال «محادثات جيدة» مع الرئيس حافظ الأسد فى اتصال هاتفى، أبلغه خلاله ارتياحه الشديد «كوننا ننظر الى المسألة بالطريقة نفسها. واننى مرتاح جدا الى قرار الجامعة العربية خلال القمة».

** انقسام الشارع العربى والقوى السياسية حول التطورات الهائلة التى هزت العالم العربى هزا فبعض القوى السياسية وجماهير واسعة فى الاردن والجزائر وتونس واليمن ولبنان، وجماعات الاسلام السياسى، إستجابت لحملة «صدام حسين» ضد الانظمة الخليجية والتدخل الأمريكى. ووجد نداؤه الذى قال فيه «لقد تغير حال العرب على مستوى الشعب والأمة وعلى مستوى الحاكم، بعد أن دخل الأجنبى ديار العرب، وبعد ان قسمها الاستعمار الغربى الى دويلات ضعيفة. نصب عليها العوائل التى قدمت له خدمات، سهلت له مهمة إحتلال أرض العرب. وقد رأى الاستعمار مصالحه فى البترول وتأمين المواقع الجغرافية على سواحل البحار والمحيطات والخلجان عندما أنشأ تلك الدويلات البترولية، وبذلك أبعد الثروة عن الكثرة من أبناء الأمة والشعب. وانتشر الفساد المالى والاجتماعى فى تلك الدويلات وفى أوساط الكثرة فى الأقطار العربية. وأصبح هذا الوسط ينخر فى جسم الأمة».. وجد صدى لدى قطاعات معينة فى الوطن العربى. كما وقعت استجابة أيضا فى بعض المواقع لدعوته للعرب والمسلمين أن «يثوروا على الظلم والفساد والخيانة والغدر، ثوروا ضد حراب الأجنبى التى أهانت مقدساتكم، أبعدوا الأجنبى عن ديارنا الشرقية المقدسة



وافضحوا الحكام الذين لايعرفون النخوة، وثوروا على من يقبل أن يستعرض أمراء البترول نساء العرب بسوء ويدفعهن الى الفحشاء».

وبالمقابل فقد رفضت قوى سياسية وقطاعات جماهيرية عريضة هذا المنطق. وحملوا صدام حسين بغزوه الكويت المسئولية عن التدخل الامريكى والسيطرة الكاملة على منابع النفط والمنطقة برمتها، وربطوا بين ضرورة انسحاب صدام من الكويت وانسحاب القوى الأجنبية. ورفضوا منطق تغيير نظم الحكم بالقوة الخارجية أو تحقيق الوحدة العربية بالضم.

** ولعل أثر هذه الأحداث السلبى على قضية الشعب الفلسطينى ودور اسرائيل فى المنطقة، هو من أخطرها قاطبة. لقد استفادت اسرائيل الى أبعد حد من غزو العراق للكويت ، ومن الغزوة الامريكية للمنطقة، وهربت من حصار السلام الذى فرضته المبادرة الفلسطينية. وسارع المسؤولون الاسرائيليون لاغتنام الفرصة فأكد أكثر من متحدث رسمى أن الغزو العراقى برهن على أن العراق وليس اسرائيل هى مصدر الاضطربات فى الشرق الاوسط. وأوضحوا أن الاضطرابات

الحالية ستخفف من الضغط الامريكي على اسرائيل لبدء مفاوضات مع الفلسطينيين وستعيد الحياة لدور اسرائيل كشريك استراتيجي لواشنطون في الشرق الاوسط، ودعى وزير خارجية اسرائيل الى تعزيز التنسيق بين اسرائيل والولايات المتحدة.. «فاسرائيل اكثر من أي وقت مضى ورقة استراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة. لان العراق لايهدد بلادنا فقط، وإنما أيضا الدول العربية المعتدلة». وكتبت صحيفة (دافار)..«إن القدرات العسكرية الاسرائيلية تمثل القوة الوحيدة القادرة على وقف توسع العراق في الشرق الاوسط» وأضافت..«بات لاسرائيل الأن بعض الفرص للحصول على ضوء أخضر أمريكي لقصف منشآت الاسلحة غير التقليدية في العراق لاجبار هذا البلد على الانسحاب من الكويت».

ويصل الأمر إلى ذروته بقول «آباإيبان» وزير خارجية اسرائيل السابق» أن الفرصة سانحة لدعوة العرب الى الاعتماد على اسرائيل في حماية أنفسهم، خاصة الأردن».

هل هناك مخرج؟!

إن الصورة لحظة اعداد هذا التقرير (٢٠ أغسطس ١٩٩٠) تبدو بالغة القتامة وكل الاحتمالات مخيفة، ومازال احتمال الحرب وعدوان أمريكي على العراق هو الارجح.

ولم تنجح مبادرات «صدام حسين» المتتالية في تغيير الموقف، فلا دعوة تحرير الحرمين نجحت في تعبئة العالم العربي ولا الدعوة الى الانسحابات المتزامنة، الانسحاب الاسرائيلي من فلسطين والجولان وجنوب لبنان، والانسحاب السوري من لبنان، والانسحاب العراقي والايراني الى الحدود قبل الحرب، والترتيبات الخاصة بالكويت، لم تزد عن كونها عملا إعلاميا ناجحا وأخيرا جاء القرار الذي اتخذه صدام حسين بأنهاء حالة الحرب مع ايران والافراج الفوري عن الاسرى والانسحاب العراقي من الاراضي الايرانية والعودة الى اتفاقية الجزائر ١٩٧٥. وربما يحقق هذا القرار انفراجا في العلاقات مع ايران وشعبية داخل العراق مع عودة عشرات الآلاف من الاسرى العراقيين وتحرير لمئات الألوف من الجنود وآلاف من الدبابات والمدرعات ودفعهم الى داخل العراق، ولكنه في الحساب النهائي- وحسب التصريحات الايرانية- لن يغير من موقف ايران ضد احتلال الكويت والالتزام بقرارات المقاطعة بل ان هذه المبادرة قد



تنقلب ضد «صدام حسين» في المستقبل فهي إعلان بعبثيه حرب استمرت ٨ سنوات وزاد الموقف قتامة بالاعلان عن احتجاز رعايا الدول الغربية في الكويت والعراق كرهائن. مما عبأ العالم كله ضد حكومة صدام

وقد تكون المبادرة الوحيدة المقبولة الآن، هو قبول الحلول الوسط العربية والتي تدور حول مجموعة من المبادئ هي:

١- اعلان العراق الغاء قرار ضم الكويت وسحب قواتها من الكويت

٢- ضمان عربي لأمن الكويت وسيادته على أرضه واحترام حدوده الدولية وحق الشعب الكويتي في اختيار حكومته والنظام الذي يرتضيه.

٣- وضع خطة لدعم الاقتصاد العراقي في مواجهة التحديات واسقاط ديونه لدول الخليج

٤- تسوية الخلافات العراقية الكويتيه بما يحقق مصالح الطرفين

٥- انسحاب القوات والأساطيل الأمريكية والأجنبية فورا من المنطقة وحلول قوات من الجامعة العربية محلها اذا اقتضت الضرورة.

وليس صحيحا أن انسحاب العراق الآن سيقضي عليه. بل على العكس فاستمرار التصعيد وتطبيق العقوبات الاقتصادية والتجارية والحصار، والعدوان الأمريكي على العراق، والغزو الامريكي للمنطقة هو الكارثة الحقيقية.

لقد قال باحث بريطاني في المعهد الملكي البريطاني للشئون الدولية «فيليب ربنر».. «اذا هزم العراقيون فسيضعف العالم العربي لعشر سنوات مقبلة. إن العراق- مهما كان رأيك فيها- هي الدولة العربية الوحيدة الآن ذات الامكانيات المستقلة»

وليس من حق الرئيس صدام حسين، أو اى من الحكام العرب في هذه الناحية أو تلك، أن يدمروا العراق، تحت أى حجة كانت.



اغتيال شهدى عطية الشافعى



٢ الوحدة على ورقة انفصال

صلاح عيسى

٦

تفرغ شهدى عطيه خلال السنوات الثلاث التى فصلت بين خروجه من السجن ورجوعه إليه بلاخروج، للعمل السياسى التنظيمى، كأحد المناضلين المحترفين المتفرغين فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى أولا، ثم فى الحزب الشيوعى الموحد فالحزب الشيوعى المتحد، وأخيرا فى الحزب الشيوعى الذى أعلن فى ٨ يناير ١٩٥٨..

وكان قد تزوج فى عام ١٩٥٥ من سيده مصرية، هى السيدة روكسانا بتريوس، ورزق منها بابنته الوحيده «حنان»..

وفى عام ١٩٥٧، أسس مكتب «مصر للترجمة والنشر»، وكان يقوم بنشر عدد من الكتب التقدمية، ويقدم خدمات ترجمه لعدد من المؤسسات.

وكانت الرياح السياسية مواتيه.. وكل شئ يبدو وكأنه على مايرام.

٧

بشرت الرياح السياسية التى جاءت بعام ١٩٥٨، بأنه سيكون عام الأنتصار والازدهار لحركة التحرر الوطنى العربية، تتوثق فيه الوحدة بين مركزها – وهو سياسة عبد الناصر التحررية، ونظام حكمه الوطنى فى القاهرة– وبين محيطها الضيق الذى يتكون من الحركات القومية والتقدمية والشيوعية فى أقطار عربية عديدة، وبين الأثنين والمحيط الاوسع، وهو جماهير الشعوب العربية، فتستقيم– بتلك الوحدة– خطواتها فى اتجاه هدفيها الاساسيين: تحرير أقطار الامة العربية من الاستعمار والأحلاف الأجنبية، وتأكيد استقلالها الوطنى.

ولكن الرياح جاءت بما لاتشتهى السفن، فانتهى العام الى نتائج لم يكن أكثر المتشائمين يتوقعها.. وقبل أن تسقط آخر ورقه من تقويم عام ١٩٥٨ عن الحائط، كانت عواصم الخلاف قد مزقت حركة التحرر الوطنى العربية، وبددت وحدتها، وقادتها الى معارك طاحنه بين القاهرة وبغداد، وبعض القوميين والشيوعيين، فتتها الى شظايا متناثرة..

وكان العام – ١٩٥٨– قد بدأ والحديث عن الوحدة المصرية السورية، يتصاعد من مجرد شعارات سياسية الى خطوات تنفيذية،

بينما كان الحوار بين فصائل الحركة الشيوعية المصرية، حول الاندماج فى حزب واحد، قد انتهى الى اتفاق.. وبعد أسبوع واحد من بداية العام، كان «الحزب الشيوعى المصرى»، الذى يضم الكتلة العظمى من المنظمات الشيوعية المصرية، قد أعلن فى ٨ يناير ١٩٥٨، وفى أول فبراير ١٩٥٨، كانت اتفاقية الاندماجيه بين مصر وسوريا قد وُقعّت..

وكان منطقيا أن يدعو هذا التواكب بين اندماج «مصر» و«سوريا» فى دولة واحد تحت قيادة عبد الناصر الوطنية، واندماج المنظمات الشيوعية المصرية لأول مرة فى حزب واحد الى تفاؤل عارم فى صفوف الحركة الشيوعية المصرية، انطلاقا من أن وحدة القطرين العربيين المتحررين، سوف تقوى من مركز حركة التحرر الوطنى العربية، فتصبح أكثر قدره على مواجهة أعدائها من الاستعماريين وعملائهم، وأكثر قدره على اجتذاب الأقطار العربيه المترددة فى عدائها للاستعمار، كما أن وحدة المنظمات الشيوعية فى حزب واحد، ستقوى من دور الشيوعيين فى التأثير على الحياة السياسية.

على أن أسبابا كثيرة، كانت تنبئ بأن استقرار الوحدة المصرية السورية، كاستقرار الوحدة بين المنظمات الشيوعية، أمر مشكوك فى بقائه بعيداً عن عواصف النشأة، وعقد التكوين، وأوهام الساسة، وعفن الشهوات والأطماع..

أحد أهم هذه الأسباب، أن نصيب الضغوط الخارجية بين دوافع اتمام الوحدتين، كان أكثر من نصيب القناعات الداخلية، بل إن مفهوم كل طرف من أطراف الوحدة لها، لم يكن يتطابق مع مفهوم الآخرين لها إلا فى شئ واحد وهو سعى كل منهم لدمج الآخر فى ذاته، وإلحاقه به، وحرمانه من كل حق له فى المشاورة أو المشاركة.

فقد اندفعت كل من «سوريا» و«مصر» للتوحد فى ظل الحملة المحمومة التى شنتها الولايات المتحدة الامريكية وحليفاتها فى الغرب، على نظام الحكم فى كل منهما فى

أعقاب فشل عدوان السويس، ورفض «عبد الناصر» لمشروع «ايزنهاور»، وبروز سياسة الحياد الايجابي، وتحرر سياسة مصر الخارجية، وتجارتها الدولية- وخاصة السلاح- من التبعية للغرب، وهي خطوات تجاوب معها الحكم الوطني في سوريا، وسار على دربها فبرزت مواقعه المعارضة للأحلاف الأجنبية، وسعى- هو الآخر لكسر احتكار السلاح، وتحرير السياسة الخارجية، وتنمية اقتصاده من خلال القروض والمعونات غير المشروطه من المعسكر الشرقي. مما جعله هدفا لمؤمرات استعمارية متوالية، تسعى للأنقلاب عليه من الداخل، أو تهديده من الخارج، ليغير سياساته المعادية للاستعمار، أو لاستبداله بحكم موال للغرب.

ووصلت هذه المؤمرات الى ذروتها بالحشود العسكرية التركية على الحدود السورية، التي تواكبت مع تحركات للاسطول الأمريكي السادس على سواحلها، مما أعاد للأذهان أجواء التوتر التي سادت المنطقة خلال الترتيب للعدوان الثلاثي على مصر، فأسرعت سوريا تطلب قوات عسكرية مصرية لحمايتها من التدخل الأجنبي، تنفيذا لميثاق عسكري كان قد وقع في أكتوبر ١٩٥٥. وبوصول القوة العسكرية المصرية، وتراجع التهديدات الأجنبية، اشتعلت المشاعر الوحدوية السورية المتوهجة دائما، وتدافع الضغط السوري الشعبي والرسمي على «عبد الناصر» لكي يقبل بشكل من أشكال الوحدة بين البلدين.

وكان عبد الناصر قد صد بلطف اكثر من محاولة بذلها السوريون في هذا الصدد خلال الفترة بين عامي ١٩٥٥ و١٩٥٧، متعللاً بأن الرأى العام المصري يحتاج الى وقف يتم فيه التمهيد لاتمام هذه الخطوة.. لكن تردده أخذ يتناقص تدريجيا خلال عام ١٩٥٧، بعد أن نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في تفتيت الحلف العربي الرباعي، الذي كان عبد الناصر قد أقامه في مواجهة حلف بغداد، فخرجت منه «السعودية» ثم «الأردن» وأعلنتا موافقتهما على «مشروع ايزنهاور»، بينما تصاعدت الضغوط الداخلية والخارجية على سوريا، بشكل بات معه الحكم الوطني القائم فيها مهددا- من وجهة النظر الناصرية- بخطر الانقلاب عليه من قوى موالية للعراق، أو للسعودية، أو خطر الاندفاع في مزيد من التقارب مع الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية مما يزيد من ثقل ونفوذ الحزب الشيوعي السوري.

وكان الحكم الوطني في سوريا آنذاك، واجهة مدنية تتشكل من وزارة مؤتلفة، يلعب الدور الرئيسي فيها، «التجمع القومي»، الذي يضم- داخل الوزارة- ممثلين للحزب الوطني وحزب البعث العربي الاشتراكي والمستقلين، وتدعمه وتؤيده- في مجلس النواب السوري- أغلبية برلمانية تضم نوابا من عدد آخر من الأحزاب، كان بينهم النائب الشيوعي الوحيد «خالد بكداش»، وهو نجم كان يحظى بتأييد جماهيري عريض في الشارع السوري، الذي كانت معارك عبد الناصر ضد الاستعمار قد أشعلت عواطفه..

وخلف هذه الواجهة المدنية، كانت هناك لجنة تضم القواد الخمسة للفروع الرئيسية للجيش السوري، تقبض بيدها على مقاليد الأمور، فهي أقرب ماتكون الى المصطلح الذي كان شائعا آنذاك «مجلس قيادة الثورة»، فهي تملك سلطتي السيادة والتشريع، فتوجه سياسة الحكم، وتراقبه ولا تستطيع الوزارة أن تبرم شيئا في المسائل الأساسية، أو تتخذ إجراء يتعلق بالقوات المسلحة، اذ كان كل عضو من أعضائها قد أختير لموقعه باعتباره ممثلا لكتله سياسية من كتل الضباط.

وقد اندفع هؤلاء الضباط- في نهاية ١٩٥٧- يلحون على الحكومة السوريه، وعلى عبد الناصر في اتخاذ خطوات حقيقيه في اتجاه مشروع الوحدة بين البلدين، بعد أن تزايدت الضغوط الأجنبية عليهم، وبدالهم أن ميزان القوة بين الكتل العسكرية في الجيش السوري قد يختل في أية لحظة لغير صالحهم، بفعل أي تدخل خارجي أو قلاقل داخلية، وأن العاصم الوحيد من هذا الخطر، هو أن تتحد مع حليفتها القوية ذات القيادة الشابة الصاعدة، وبذلك تخف الضغوط الاستعمارية عليها، وتستقر أوضاعها الداخلية..

وكان هذا الدافع العام يخفي في ثناياه دوافع ذاتية، راودت- بدرجات متفاوته- أطراف التجمع القومي المدنيين والعسكريين، في أن ينفرد كل منهم- بعد الوحدة- بحكم سوريا، دون شركائه الآخرين، وفي أن يعتمده عبد الناصر ممثلا للدولة الموحدة في الأقليم السوري، وهو هاجس كان يلح بقوة على حزب البعث العربي الاشتراكي، ذي الطموحات القومية، الذي كان متيقنا أن دولة الوحدة سوف تخلي له الساحة السورية من منافسيه، وتسمح له بأن يمد نفوذه الايديولوجي الى مصر، انطلاقا من رؤيه كانت تقول أن عبد الناصر زعيم قومي بلا نظرية وبلا حزب، وأن البعث حزب قومي وله نظرية ولكنه في حاجه الى زعيم قومي.

أما «عبد الناصر» فقد ظل مترددا في قبول الوحدة، ومتعللا بالاسباب ذاتها التي استخدمها- فيما بعد- للتشهير بموقف الشيوعيين العرب عموماً من قضية الوحدة، وهي ضرورة وضع ظروف التجزئة في الاعتبار، والتدرج في أشكال من التعاون ثم التنسيق ثم التكامل الاقتصادي، قبيل التفكير في ادماج الدولتين، وهي مرحلة كان عبد الناصر يقدر أنها في حاجة الى خمس سنوات على الأقل. وفي مرحلة تاليه، أصر على أن تكون الوحدة «فيدرالية» تحتفظ كل دولة من دولها بحقوقها وبرلمانها، ويرأسها

رئيس وحيد ينسق الدفاع والسياسة الخارجية.

ومع أن «مجلس قيادة الثورة السورى» وافق على ذلك، الا ان عبد الناصر فاجأهم بموافقته على الوحدة الاندماجيه، وبشروطه لابرامها، وفسر انقلاب موقفه، بقوله لعبد اللطيف البغدادى، انه بقبوله لهذه الوحدة الفدرالية مع سوريا، سيكون مسئولا عن كل مايجرى بها، بينما لن تكون له سلطة فيها أو سيطرة على أمورها، اذ ستكون هذه السلطة فى يد حكومة سورية قد تسئ استخدامها فيتحمل هو المسئوليه، أما الوحدة الاندماجية، فهى تعطيه سلطات على سوريا، تتوازى مع مسئوليته عنها.

وهكذا وافق الضباط السوريون، ثم الحكومة السورية، على حل الاحزاب السياسية السورية، والأخذ بنظام الحزب الواحد، وهو «الاتحاد القومى» ووافق الضباط على أن يترك القوات المسلحة، الراغب منهم فى الاشتغال بالسياسة.. ووافقوا على أن تكون الدولة المتحدةجمهورية رئاسية، احتفظ عبد الناصر فى دستورها المؤقت بسلطات واسعه، اضاف اليها فى الاحكام الانتقاليه، حق اختيار أعضاء مجلس الأمة، وأعلن حاله الطوارئ، ليحصل على سلطات تبيح له بناء دولة الوحدة.

وقد جرى كل شئ بسرعة مذهلة، وبطريقة اعترف الجميع فيما بعد انها لم تكن مدروسة ، وأثبتت نتائجها صحة قول «باتريك سيل» بأن الوحدة المصرية السورية كانت فخاً متقنا لخداع النفس.. ذلك أن كل الأطراف التى وقعت عليها، لم تكن تتصرف بمنطق أنها توحدت مع آخرين، ولكن بمنطق أنها وحدت الآخرين فيها.

وهكذا فاز عبد الناصر بموافقة السوريين على حل الأحزاب ، ليندمج الجميع فى حزبه الوحيد «الاتحاد القومى»، وبذلك تتسع رقعه تلك الكتل الموحدة من البشر، التى لاتعرف تمايزا طبقيا أو تنوعاً فكرياً ولايشغلها شئ عن تحقيق طموح عبد الناصر فى بناء دولة كبرى، ترفرف عليها أعلام الاستقلال الوطنى وتحقق الرخاء لمواطنيها..

وقبلت جميع الأحزاب السورية- فيما عدا الحزب الشيوعى السورى- ذلك وقد أضمر كل منهم فى نفسه نية السيطرة على الاتحاد القومى ليكون لافته يتقنع بها حزبه..

وكان لابد أن تمر الشهور والسنوات ليكتشف الجميع أن ماوقعوه فى أول فبراير ١٩٥٨ كان وثيقة وحدة، كتبت على ورق انفصال..

٨

على أن الشيوعيين المصريين لم يكونوا فى حاجة الى سنوات ليكتشفوا أن وحدتهم كانت هى الأخرى زواجاً على ورقة طلاق، ووحدة على ورقة من دفتر الانفصال، فبعد أقل من ستة شهور على إعلان وحدتهم، سمع الجميع دوى الانفصال..

وكانت الوحدة بين المنظمات الشيوعية المصرية قد تمت هى الأخرى بضغوط خارجية عنيفة، دفعتها الى الاندماج، دون أن تضع فى اعتبارها أن ظروف الانقسام الطويلة، قد أسست أوضاعا، وزرعت أفكارا، وخلقت أوهاما، تتطلب وضعها فى الاعتبار قبل القفز الى الاندماج

وفضلاً عن الضغوط التى مارسها الحزبان الشيوعيان الفرنسى والايطالى على قادة تلك المنظمات لاتمام الوحدة، فقد تعرضوا لضغط من داخل منظماتهم، مارسه كثيرون من أعضائها، ممن جمع بينهم- على اختلاق منظماتهم- النشاط شبه العلنى الذى توفرت للشيوعيين ظروفه، خلال الانفراجة الديمقراطية النسبية التى اعقبت حرب السويس، فلم يجدوا مبررا لاستمرار الأنقسام، بعد أن اتفقت معظم المنظمات الشيوعية فى تقييمها لثورة ٢٣ يوليو باعتبارها حلقه من حلقات الثورة الوطنيه تقودها برجوازية وطنية، وهو الموضوع المحورى الذى كان يدور عليه الخلاف بين هذه المنظمات.

وقد فات هؤلاء أن سنوات التجزئة الطويلة، كانت قد تركت رواسبها فى الافكار السياسية، وفى البنى التنظيمية.. وأيضا فى النفوس البشرية..

أما ومن حق الشيوعيين أن يخضعوا كغيرهم لنوازع الضعف البشرى، فقد كان منطقيا أن تقبل المنظمات الثلاث الكبيرة على الوحدة، وكل منها يعتبر نفسه التيار التاريخى الذى اثبت صحة أفكاره، وسلامة سياساته، فهو يوحد الآخرين فيه، ولايتوحد معهم، وهو يقبل- عند صياغة الخط السياسى للحزب، أن يتراجع عن بعض أفكاره السياسية، ليلتقى مع الآخرين ظاهريا ، لكنه لاينوى الالتزام بشئ، سوى بأفكاره الاساسية، التى ستعطيه الوحدة الفرصة لنشرها بين قواعد التنظيمات الأخرى، وبذلك ينتصر على الجميع، فيدمجهم فيه.

وهكذا لم تأخذ الوثائق السياسية للوحدة بين الشيوعيين، حقها من النقاش، بينما تزايدت المناورات التنظيمية، واندفعت كل منظمة تنافس الأخرى فى تقديم قوائم باسماء أعضائها، فتضخم من حجمهم، لتفوز بنصيب اكبر من مقاعد اللجنة المركزية، وتستطيع بذلك أن تسيطر على توجيه الحزب، وأن تدمج الآخرين فيها..

ولم يكن غريبا مع ذلك، أن تسير عملية ادماج المستويات التنظيمية ببطء نسبى بسبب عدم القدرة على تحقيق الانسجام بين أعضاء ينتمون لتنظيمات مختلفة النشأة، وتغلب عليهم روح التنافس معاً، مما جعل عملية الادماج، لاتبشر بنتائج ايجابية..

وكما أن الوحدة المصرية السورية قد أزعجت الاستعمار رغم هشاشة الاسس التى اقيمت عليها، فقد أزعجت الوحدة بين الشيوعيين «عبد الناصر»، فمع أنهم كانوا يؤيدونه، الا أنه خشى أن تؤدى وحدتهم الى تقويتهم ، فلا يستطيع أن يصفيهم بسهولة، خاصة وأن معظم القوى السياسية الاخرى كانت قد جمدت نشاطها أو صفته تماما، وهو ما يعطيهم فرصة ملء الفراغ السياسى، فيتغلغلون فى الشارع المصرى.



٩

لم يؤثر اعتراض الحزب الشيوعى السورى، على الأسلوب الذى تمت به الوحدة السورية المصرية، على موقف الحزب الشيوعى المصرى من تلك الوحده، بل استقبلها ببيان حماسى، دعا فيه أعضاءه الى أن يكونوا فى طليعة الذين يصوتون ب «نعم» فى الاستفتاء على اعلان الجمهورية العربية المتحدة، وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها، بل إنه ضعّف من أثر اعتراض الحزب الشيوعى السورى على الأسلوب الذى تمت به الوحدة، لافتا النظر الى خطأ تناول قضية الوحدة من زاوية حل الاحزاب، وتجاهل الاثار الهامه لتأسيس دولة الوحدة، على ميزان الصراع بين حركة التحرر الوطنى والاستعمار فى المنطقة.

ويخلو النصف الأول من عام ١٩٥٨، من أية اشارات على تأثير موقف الحزب الشيوعى السورى على العلاقة بين عبد الناصر والشيوعيين المصريين، أو على موقف كل منهما من الآخر، فقد واصلوا تأييده بحماس، وصل الى ذروته عندما انتصرت ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨، ليتغير بانتصارها ميزان القوى فى المنطقة، فتكسب حركة التحرر الوطنى العربية رافدا جديدا فتيا، وتتلقى قوات الاستعمار لطمة، بانتقال مركز حلف بغداد الى الصف المعادى لها، ويثور غبار التدخل الأجنبى فى سماوات المنطقة وتمخر الاساطيل على شواطئها، ثم يهدأ ذلك كله بعد حين..

ومن سوء الحظ أن عبد الناصر سرعان ماغير نظرته الى ثورة العراق، وبدلا من أن يعتبرها رافداً جديداً لحركة التحرر الوطنى العربية، نظر اليها باعتبارها منافساً لقيادته، ومركزا لحركة التحرر، قد يهمش من دوره ونفوذه.

كانت ثورة العراق قد انتصرت بدعم وتأييد جبهة وطنية تضم عددا من الشخصيات والاحزاب الوطنية والقومية، عسكرية ومدنيه، شاركت كلها- بعد انتصار الثورة- فى الوزارة، وحصلت على حقوقها الديمقراطية فى شرعية وجود أحزابها، وحقها فى اصدار الصحف، وفى تنظيم الجماهير، وفى المشاركة فى رسم السياسية العامة لحكومة الثورة.

وكان منطقيا أن تتحفظ تلك القوى عندما أسرع فرع حزب البعث فى العراق، وهو أحد الأحزاب القومية التى شاركت فى الجبهة التى خططت للثورة ودعمت انتصارها، ليطالب بانضمام العراق للجمهورية العربية المتحدة، وفى وحده اندماجية فورية، اذ كان معنى حماسها لمثل هذا الشعار، أن تتنازل عن شرعية وجودها، وعن حقها فى المشاركة فى التأثير على السياسة العامة للبلاد، كما حدث مع الأحزاب والقوى السياسية السورية، بعد انضمامها للجمهورية العربية المتحدة، والواقع أن «حزب البعث» لم يكن بدعوته يقصد التنازل عن وجوده، بل كان يسعى لتأكيد هذا الوجود وحده والغاء الآخرين، ولأن العلاقات بينه وبين «عبد الناصر» كانت فى ذروة توثقها آنذاك، حتى أنه ترك له سوريا يحكمها نيابة عنه، ودون منافس أو شريك، فقد أسرع فرعه القطرى يدعو الى الانضمام الى الجمهورية المتحدة، ليتخلص هو الآخر من منافسيه، فيخلو له وجه العراق كما خلا له وجه سوريا من قبل، ويتحقق التطابق بين الزعيم القومى الذى لاحزب له، والحزب القومى الذى لازعيم له.

وتداعت الأحداث فى سرعة مخيفة خلال الشهور القليلة التى تلت انتصار الثورة، فانقسمت الجبهة التى قادتها الى قسمين يدعو أحدهما الى الوحدة الفورية الاندماجيه مع مصر وسوريا، ويدعو الآخر الى وحده فيدرالية، تصبح فيها العراق جمهورية لا أقليم، ولاتفقد أحزابها فى ظلها شرعية وجودها، أو تحكم من خلال حكم شمولى. وانقسمت زعامة الثورة الى جناحين، تبنى عبد السلام عارف، وجهة النظر الأولى.. وتبنى عبد الكريم قاسم وجهة النظر الثانية..

ومع تزايد تدخلات الأجهزة الناصرية فى الشئون الداخلية للعراق، نشبت الصدامات بين الشيوعيين والبعثيين وبين «عبد الكريم قاسم» و«عبد السلام عارف»، فصفى الأول الثانى، وعزله عن مناصبه، ثم قبض عليه وقدمه الى المحكمة، التى كانت السبب فى تفجير الخلاف العلنى بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم.

وهكذا جاءت الحالة العراقية بنموذج جديد لحكم تحررى معاد للاستعمار واللاقطاع، ومع ذلك فهو يحافظ على الديمقراطية السياسية، ويقبل بتعدد الأصوات الوطنية، فلايشترط حل الاحزاب، ولايفرض على الجميع أن يندمجوا فيه قسراً، وهو نموذج اثار إحساس عبد الناصر العالى بالمنافسة، ولادراكه أنه به من المزايا ماقد يجعله اكثر جاذبية للأقطار والشعوب العربية، من مشروعه، فقد سعى لتحطيمه، أما تأثيره على الحزب الشيوعى المصرى، فقد كان حقيقيا، اذ أثار حماسه، وأخرجه من حالة من الميوعة السياسية واكبت الاعلان عن تأسيسه، فدفعته لتأييد غير مشروط لعبد الناصر، فاستيقظ ليجدد المطالبة ببرنامجه الديمقراطى، الذى كاد ينساه.

وببروز خط انتقاد عبد الناصر فى أدبيات الحزب الشيوعى المصرى، بدأت حلقات الأزمة التى انتهت فيما بعد بانفراط الحزب، وكشفت عن أن وحدته قد قامت على أساس من الهواء، وأنها كانت- كالوحدة المصرية السورية- وحدة على ورقة انفصال..

فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨، خطب عبد الناصر فى عيد النصر ببورسعيد، فانتقل بهجومه من الحزب الشيوعى السورى، الى الحزب الشيوعى المصرى، ووصف الشيوعيون العرب بأنهم عملاء، وأعلن أن المعركة بين القومية العربية والاستعمار قد انتهت بالانتصار، وأن المعركة بينها وبين الشيوعيين

قد بدأت، ولن تنتهى إلا بالانتصار عليهم..
وفى تاريخ لاحق كتب «محمد حسنين هيكل»- لسان حال عبد الناصر- يقول ان على الشيوعيين أن يضعوا على أفواههم أقفالا من جديد..

١٠

بعد منتصف ليلة ٣١ يناير ١٩٥٨، وبنفس الخطة التى اتبعها اسماعيل صدقى فى تصميم حملته الشهيرة على الشيوعيين، هاجمت قوات الأمن المصرية منازل ١٦٣ من قادة الحركة الشيوعية المصرية، فاعتقلتهم جميعا، وفتشت بيوتهم، وضبطت آلافا من الاوراق المخطوطة والكتب والمنشورات والأوراق التنظيمية.

وكان شهدى عطية الشافعى، قد استقبل فى منتصف الليل، فى شقته بشارع القصر العينى، جندى الحراسة، الذى يمر للاطمئنان على وجوده فى منزله، ويوقع على دفتر خاص بذلك، تنفيذا للعقوبة التكميلية التى قضت عليه بها المحكمة، وهى وضعه خمس سنوات تحت رقابة الشرطة، ثم عاد ليكتب بيانا سياسياً يعلق به على خطاب عبد الناصر فى عيد النصر..

وفى الساعة الثانية والنصف صباحا قبضوا عليه..

وفى الثامنه مساء كان يقف أمام «صلاح نصار» وكيل أول نيابة أمن الدولة ليقول له «اننى أومن بالشيوعية كنظرية.. وأومن بأن تطبيقها فى مصر الآن، وفى ظروفها الراهنة، انما يكون بالتدعيم والتأييد الصادق الخالص للحكومة الوطنية التى يرأسها الرئيس عبد الناصر، لمواجهة العدو الأول وهو الاستعمار والصهيونية والرجعية!!

وأضاف «شهدى» شارحا أفكاره السياسية، التى كانت أحد أسس الخلاف الذى انتهى الى عدم استمرار الوحدة، واستقلاله هو ومجموعة من زملائه الذين كانوا يشكلون فيما قبل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)- فقال انه يدعو للتعاون التام بين كافة القوى والطبقات، باعتباره السبيل لمكافحة الاستعمار وتقدم البلاد، فى تحالف يضم كل الطبقات التى تستطيع أن تلعب دوراً تقدمياً فى الانتاج، ويعادى الطبقات الرجعية التى تعرقل نمو الاقتصاد القومى.

وأضاف: أنه يؤمن بأن الخلافات التى قد تنشأ فى ظل الحكم الوطنى الحالى، يمكن أن تحل بالتفاهم والاقناع، وأن محاولة حلها بالقوة، فهى تفتح المجال، للخطر المتزايد من جانب الاستعمار والرجعية

وعلى سبيل ابراز التمايز بين ماكان يقول به، ويقول به الآخرون، فقد قال أنه يقرأ بعض نشرات الحزب الشيوعى المصرى، التى تصله بالبريد، وانه لايوافق على مسلك هذا الحزب، وعلى مايسميه مطالبه الديمقراطية، لأن الدعوة الى هذه المطالب فى الظروف التى تجتازها البلاد، غير ملائمة.. وأضاف أنه يعتقد أن الوحدة بين مصر وسوريا، خطوة تقدمية فى قضية الوحدة العربية، ولذلك فان ماسمعه من آراء الحزب الشيوعى السورى بشأن هذه الوحده، تجعله يحكم بأن موقفه خاطئ!..

وبعد سته أسابيع من اعتقاله، قال فى ختام اقواله التى أدلى بها بعد مواجهته بالمضبوطات

- أنا شخصياً اعتبر أن تقديمى للمحاكمة اليوم بتهمة قلب نظام الحكم بالقوة، أو بتهمة معاداتى لنظام الحكم الحالى، أكبر هزيمة لى فى حياتى ، لأنى اعتبر أن كل معاداة للحكم القائم، أو محاولة لاضعافه، فى مصاف الخيانة.. سواء للقضية الوطنية، أو القضية الاشتراكية.

وأشار الى أنه ومن سماهم بأنهم جزء ممن رآهم فى الاعتقال، ممن وقعوا نداء للرئيس يجددون به موقفهم فى تأييده، هم من أشد أنصار الحكم القائم اخلاصا وتأييدا، لاطمعا ولاخوفا وانما بناء على عقيدة واضحة بأن التحالف مع الحكومة القائمة هو الوسيلة الوحيدة لمواجهة أى مغامرة استعمارية من جهة، ولبناء الاقتصاد الوطنى من جهة أخرى، وهو تحالف ليس موقوتا، ولاهو مناورة أو تكتيك.

وقال شهدى عطيه:

- نحن نستطيع اقناع الجماهير بعدم اللجوء لسلاح الاضراب لمطالبها السياسية أو الاقتصادية، لأنها مربوطة باشتراكها الحماسى البناء فى معركة التصنيع، وغيابنا فتره بسبب الاعتقال يتيح لفئات الرجعية خارج الحكم أو داخله، ويتيح للآراء المنحرفة الخاطئة أن تلعب دوراً فى عزل الشعب عن حكومته الوطنية، ولو توفرت الثقة، لاستطعنا أن نلعب دوراً فعالاً فى النطاق العربى، لكشف أية آراء متمردة، وبيان أهمية الوحدة بين العرب، وخاصة بين الجمهورية العربية والعراق..

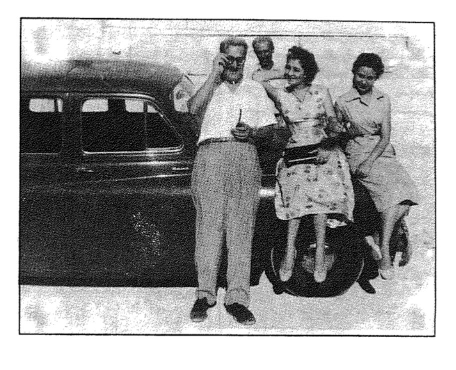
وقد ظل «شهدى عطية» يردد هذه الآراء، رغم أن السياط التى نالته، لم تقل عن السياط التى نالت الذين كانوا يتمسكون ببرنامج المطالب الديمقراطية..

لكن قانون العصر الناصرى، كان يرفض كل وحدة، وكل تحالف، مشروطا كان أم غير مشروط..

ولهذا فإن الشوم الذى قتل شهدى بعد ذلك التاريخ بعدة شهور، كان هو التعليق الوحيد على غزليته التى لم تجد فؤاداً يخفق.

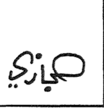
وتلك قصة أخرى

البقية فى العدد القادم





«السيده نزيهه» المسئولة عن نزاهة الإنتخابات .



يا نزيهه وخَبّريني ◆ عن حال الإنتخابات
قالوا الحكم الشمولى ◆ أبوه السقا مات
لكنى شايفه عايش ◆ يلعب بالدستورات
ويزوّر فى المجالس ◆ ويزوّر فى الحكومات

إسمع يابن المدعومه ◆ يامعارض للحكومه
ومُعطل للمسيره ◆ ومزعج للسلطات
الإنتخابات نزيهه ◆ بالزور وبالشومات
!

المصلحه واحده ، إنت بتحب قعدة الكرسى ، وانا بحب القعده الحلوه !

نزيهه

كرسى الحكم

يا نزيهه أنا عارف إنك « مسجله آداب »

وانا عارفه إنك « مسجل خطر » !

المعارضه

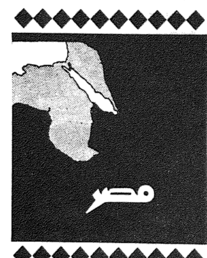
إنت يا «نزاهه» إسم على مسمّى ، زيّي!

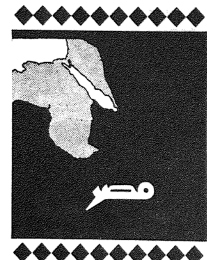
نزيهه

نزاهة الحكم



حجازي





الرئيس وفكرة المشروع القومي

من السد العالى إلى تعمير سيناء..

تبارى رؤساء تحرير الصحف الحكومية وكبار كتابها فى التبرير لماطرحه الرئيس حسنى مبارك فى خطاب ٢٣ يوليو، عندما أبدى دهشته من مطالبة بعض المواطنين والكتاب له بطرح مشروع قومى يلتف حوله الشعب المصرى كما حدث بالنسبة للسد العالى. وأكد الرئيس أنه نفذت فى عهده عشرات المشروعات القومية الضخمة تكلفت مليارات الجنيهات كمشروع مترو الانفاق وتطوير شبكة التليفونات والصرف الصحى.. الخ. وجاءت كتابات الصحف الحكومية لتؤكد حقيقة أننا نعيش عصر سيادة الشخصيات الباهته التى تفتقر الى الطموح القومى والخيال السياسى. عصر سيادة منطق الواقعية البليدة والحسابات الصماء التى تعجز عن أن تكتشف من معادلة موازين القوى الحاليه قدرة الشعب على قلب هذه الموازين اذا أحسن التعامل معه والثقة فى قدراته غير المحدودة.

فليس المقصود من فكرة المشروع القومى هو مجرد تنفيذ مشروعات خدمية أو انتاجية تتوفر لها الاعتمادات المالية فتطرح فى مناقصات لتتولى تنفيذها شركات المقاولات بأقل الاسعار، بل المقصود هو اشراك الشعب فى التفكير والعمل لتحقيق انجازات هامة من خلال مشروعات كبرى تضمن المصالح القومية العليا للوطن وتنعكس على حياة المواطنين، وتكفل هذه المشاركة تعبئة الشعب واثارة حماسة لتجاوز موقف المتفرج أو موقف اليائس المحبط الى موقف المشارك.

ليست القضية هنا هى فقط حجم

عبد الغفار شكر

الاعتمادات المالية أو نوعية التكنولوجيا المستخدمة، وانما كيفية اكتشاف العامل المشترك الذى يجمع ابناء الشعب فى لحظة محددة، بصرف النظر عن مواقعهم الطبقية أو انتماءاتهم، وأن يتجسد هذا العامل المشترك فى هدف محدد وواضح يتحمس الجميع للمشاركة فى تنفيذه والتعاون معا من أجل انجازه، بالرغم من خلافاتهم، والمثل واضح أمامنا فى مشروع السد العالى والجهود الذاتية للشعب المصرى فى بناء مشروعات الخدمات فى اطار خطة التنمية فى الستينات، وكذلك فى اعادة تعمير المانيا بعد الحرب سواء

فى القسم العربى أو القسم الشرقى بالرغم من اختلاف نظمها الاجتماعية. والشرط الاساسى لامكانية صياغة مثل هذا المشروع القومى هو وجود هدف حقيقى تطرحه قيادة حريصة على الصالح المشترك للشعب، قيادة قادرة على الابداع فى فهم خصوصية اللحظة التى تمر بها بلادها على وتأثيرها السيكولوجية الاجتماعية للشعب (النفسية الاجتماعية للجماهير من مشاعر وآمال وتطلعات) وطرح المشروع الذى يلمس الوتر الحساس فى النفسية الاجتماعية للجماهير فيفجر طاقاتها ويحرك مشاعرها للعطاء والتضحية والمشاركة الواعية.

فهل فى مصر اليوم مثل هذا المشروع؟

نعم..انه مشروع شق ترعة السلام الى سيناء لاستزراع ٤٠٠ ألف فدان بتكلفة تتجاوز الف وخمسمائه مليون جنيه الذى تحدث عنه الرئيس مبارك فى خطابه الأخير. فكيف يتحقق ذلك؟

سيناء خط الدفاع الأول

كان خلو سيناء من الكثافة البشرية نقطة الضعف الاساسية فى امننا القومى وهناك اجماع قومى على أن اقامة مجتمع جديد فى سيناء يعيش سكانه على الزراعة والصناعة والتعدين والسياحة أمر ضرورى كحماية لبوابة مصر الشرقية من الغزو، ومن المؤكد أن استصلاح هذه المساحة يمكن أن يكون الخطوة الانسانية لاقامة هذا المجتمع الجديد فى حدود

نصف مليون مواطن (مائة الف أسرة تعمل في الزراعة والصناعة والسياحة وفي الانشطة المكملة لها من تجارة وخدمات وصرف.. الخ...)

ومن خلال ذلك سوف نتمكن من سد الفجوة في احتياجاتنا الغذائية من الخارج وسنتمكن من توفير فرص عمل حقيقية جديدة للشباب من الخريجين والفلاحين والعمال والحرفيين، كما ستتوفر فرص مماثلة للراغبين في استثمار مدخراتهم في الزراعة والصناعة والخدمات. وهكذا فاننا نجد أنفسنا أمام مشروع قومي له ثلاثة أهداف أساسية:

- اقامة مجتمع جديد من الاسر الشابه يكون خط الدفاع الأول عن مصر
- تحقيق زيادة في الانتاج القومي يدعم الاقتصاد المصري ويسد الفجوة الغذائية بما يحد من اعتمادنا على الخارج (التبعية)
- توفير فرص عمل حقيقية لاكثر من مائة ألف شباب

ان هذه الاهداف كفيلة بجذب اهتمام ومشاركة دائرة واسعة من المصريين يستوى في ذلك انصار الحكم ومعارضوه، بل ويلتقي في اطاره حتى المعارضون للصلح المنفرد مع اسرائيل ومعارضو التطبيع، انه نموذج للمشروع القومي الذي يدعم استقلال مصر موضوعيا ويقوى قدرتها على الدفاع عن استقلالها السياسي ودعم استقلالها الاقتصادي.

حسنى مبارك



دور هام للشباب

وهناك وسائل متعددة للمشاركة الشعبية في مثل هذا المشروع القومي من أهمها

١- اقامة معسكرات للخدمة العامة التطوعية يشترك فيها الشباب من الخريجين وطلبة الجامعات والمدارس الثانوية على افواج للقيام بأعمال غير فنية كتمهيد الطرق الترابية وشق الترع وزراعة الجسور بالاشجار.

٢- اقامة مزرعة للشباب على مساحة ٥٠٠٠ فدان يتواجد فيها عدد محدود من الخريجين وتتتابع افواج الشباب للقيام بالاعمال الموسمية من زراعة وري وخدمة وحصاد.

٣- اقامة مراكز تدريب مهني تابعة لوزراة الاسكان والتعمير ووزارة الزراعة والصناعه تستقبل افواجا من الشباب لتعلم مهن مختلفة لها علاقة بالانشطة الاقتصادية المزمع التوسع فيها وتعد القوى العاملة المؤهلة فنيا والمستعدة للاستقرار في المنطقة.

٤- طرح مساحات من الأرض المستصلحة للبيع في حدود
٥ - ١٠ فدان لاصحاب المدخرات الراغبين في الانتقال الى المنطقة وتخصيص مساحة للتوزيع على الخريجين

٦- تنظيم رحلات نهاية الاسبوع بواسطة المدارس والجامعات والاندية ومراكز الشباب والاحزاب لزيارة المنطقة، وتعميق ارتباط الاجيال الجديدة بسيناء كجزء من أرض الوطن يتحمل مسئولية الدفاع عنه ضد الغزو الأجنبي، واثارة اهتمام الأجيال الجديدة بعملية تعمير سيناء وضرورة اقامة مجتمع جديد فيها.

يتطلب تنظيم عملية اشتراك الشباب بجهوده التطوعية في تعمير سيناء، واستصلاح الأرض الجديدة اقامة جهاز فعال يضم خبرات قادرة على التفاهم مع الشباب في اطار ديمقراطي، ومستعدة لاستثمار هذا النشاط في تربية الشباب في اطار مجموعة من القيم الانسانية العامة مثل العمل الجماعي، والسعي لخدمة الآخرين، والربط بين المصلحة الشخصية ومصالح المجتمع، واكتساب خبرة القيادة من خلال الادارة الذاتية لمعسكرات العمل التطوعية وإدارة الشباب بواسطة الشباب أنفسهم، وتنمية الاستعداد للحوار والاستماع الى الآخرين والقبول برأى الأغلبية وهي جميعا قيم انسانية ايجابية لازمة لتنشئة الاجيال الجديدة باعتبارها أساس التكوين الشخصي الذي يسبق الاختيار السياسي، من هنا فان هذا الجهاز لايكمن أن يكون مجرد جهاز وظيفي تابع للمجلس الاعلى للشباب أو أن يكون تابعا للحزب الوطني فيحوله الى عملية سياسية تبعده عن الهدف الأساسي منه، ولهذا فان أفضل السبل لذلك هي تأسيس جمعية للخدمة العامة التطوعيه يشرف مجلس ادارتها على هذه العملية ويقبل في عضويتها كل قادر على المساهمة بصرف النظر عن انتمائه الحزبي. ومن المؤكد أن هذا هو الجزء الشاق والصعب في المشروع كله.

وهنا قد يطرح سؤال عن كيفية تمويل عملية اشتراك الشباب بجهوده التطوعية في مثل هذا المشروع القومي. والاجابة ببساطة ان اي مشروع انتاجي أو خدمي ينفذ في بلد رأسمالي أو اشتراكي يخصص نسبة معينة من التكلفة الاجمالية لتحضير البيئة الملائمة لنمو المشروع وتقبله في المجتمع المحيط به، ولهذا فانه ليس من المعقول أن ينفذ هذا المشروع الضخم دون أن تخصص نسبة من تكلفته الاجمالية لهذا البعد الاجتماعي الذي يشكل ضرورة حيوية لنجاح المشروع نفسه، فضلا عن أنه سيزوده في النهاية بالقوى العاملة المؤهلة للاستقرار في مناطق الاستصلاح الجديدة، واذا تم تخصيص نصف في المائه من تكلفة المشروع لهذا الجانب فانه سيوفر حوالي سبعة ملايين جنيه تكفي لتمويل مشاركة الشباب في المشروع لمدة تزيد عن خمس سنوات.

حول المشروع القومي للنهضة:

لن يحلق طائر مكسور الجناح

فريدة النقاش

المشروع القومى... المشروع القومى... هذه هى كلمة السر فى الحياة السياسية المصرية حكومة ومعارضة والتى لم تتراجع قليلا الا بانفجار أزمة الخليج.

ويؤكد حكامنا، وعدد متزايد من الكتاب والمفكرين، أن لدينا مثل هذا المشروع، بدليل أننا أنفقنا مليارات الدولارات على مشروعات البنيه الأساسية، وانشاء المصانع، واستصلاح الأراضى.. فيبدو كأنما الشعب المصرى هو ناكر للجميل، لأنه عازف عن الغناء لكل هذا الانجاز، ويجد «إبراهيم نافع» نفسه مضطرا لطرح السؤال على هذا النحو.. لماذا لانغنى؟.

والجواب ليس فى حاجة الى اجتهاد فالشعب لايغنى لأنه يسقط يوما بعد يوم فى لجة المعاناة والعجز عن العيش، وارتفاع الاسعار والتضخم والبطالة.. وفوق ذلك كله فى اللامبالاة المطلقة ازاء وعود الحكومة وكشف حسابها المزوق بعناية، ودعوتها الملحة لكى نغنى معا والتى لا أساس لها فى واقع الحياة اليومية للعاطلين والخائفين من المستقبل وهم أغلبية

وإضافة الى الخطأ الجوهرى الذى يتمثل فى إختزال فكرة المشروع القومى أو مشروع النهضة فى مجموعة من الانشاءات التى تقوم بها عادة كل الحكومات رجعية وتقدميه، فان الخطأ الآخر والجوهرى أيضا يتمثل فى المساواة بين كل الطبقات الاجتماعية وقدرتها جميعا على النهوض بأعباء المشروع القومى وقيادته سواء كانت مصالحها تتحقق فى ظل التبعية أو فى ظل الخروج منها.

والمشروع القومى أوسع مدى بكثير من جملة إنشاءات. إنه حالة من التعبئة الشاملة مادية ومعنوية، تنخرط فيها كل الطبقات والفئات صاحبة المصلحة فى انجاز أهداف تتفق عليها، والدخول فى مباراة تفجر طاقات الناس، وتثير الخيال الشعبى، ويصبح العمل الجماعى سمة رئيسية لها، كما كان الحال فى مقاومة الاحتلال العسكرى للبلاد، أو إستعادة جزء من ثروتها الوطنية عند تأميم قناة السويس.

فهل يستطيع التحالف الطبقى الحاكم الآن أن ينجز مثل هذا المشروع؟.. وأن يضع أهدافا واضحة تلتف حولها الطبقات الشعبية والوطنية، مدركة أنها بانجاز هذه الأهداف انما تحقق مصالحها فى المستقبل القريب والبعيد فتعمل بكل طاقتها من أجلها وتتحمل فى سبيلها كل مشقة؟

خضوع لاندية

إن الاجابة هى كلا، بل والأكيد أن مثل هذا المشروع وبمثل هذه القيادة كان وسيبقى محكوما بالاخفاق.

لماذا؟

لأن السمة الرئيسية لهذه السلطة هى التبعية للأمبريالية الأمريكية وللسوق الرأسمالى العالمى.

وهنالك تواطؤ جماعى وصامت من قبل مخططى السياسات، وعدد متزايد من المفكرين والكتاب، ينفى وجود هذه التبعية، ويدعى أن العلاقة المتشابكة مع أمريكا هى علاقة ندية لاخنوع، وصداقة لاخضوع. وحقيقة الأمور، والتى تبرهن عليها وقائع يومية كثيرة، بدءا من كامب دافيد وتغيير التركيب المحصولى، وانتهاء بمرور السفن الذرية فى قناة السويس متجهة الى الخليج.. تقول لنا ان السلطة فى مصر لاتملك من أمر نفسها شيئا، وأن مصيرها يتقرر هناك فى واشنطن، وأن خطواتها تتحدد طبقا لما تفرضه أمريكا وصندوق النقد الدولى، مقابل معونات وقروض يبددها المتلاقون ويسددها الشعب الذى يزداد حاله سوءا يوما بعد يوم.

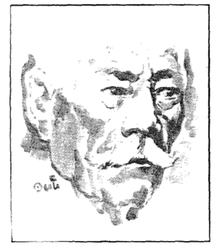
ولذا فان مثل هذه السلطة لاتملك ارادة مستقلة، وليست لديها بالتالى أى نية لتغيير السياسات، بما يؤدى الى فك روابط التبعية التى تشدها اليها بكل قوة مرتين: مره بحكم الروابط العضوية بين الأمبريالية والطبقة



محمد على

مشروعه ولد فى ظل

المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية



مشروعه نضج بين

ثورتى عرابى و١٩١٩



جمال عبد الناصر

النضال الشعبى ضد الاحتلال

والمضمون الاجتماعى والديمقراطى

ككل، ومرة أخرى بحكم المصالح المباشرة جدا لبعض أفرادها من تجار السلاح والوسطاء.

فهل يستطيع الطائر المكسور الجناح أن يحلق؟

هل تستطيع طبقة أسفرت إختياراتها السياسية والاقتصادية خلال عشرين عاما عن هذه النتائج، أن تقود مشروعا للنهضة يعبئ طاقات الشعب ضدها. أى أن تعمل ضد نفسها؟

واذا كانت الاجابة التى منحتها لنا التجربة تلو الأخرى تقول لا فهل يصبح محكوما على مثل هذا المشروع للنهوض أن يبقى حلما، أو صدى مزعجا لطبل أجوف يسمونه تمجيد الانجازات ، دون مساس بالركائز التى تقوم عليها السياسات؟

البديل النضالى

إن هناك بديلا لابد أن يتشكل،يضع للمشروع القومى المرتقب شروطا أساسيه تتمثل فى الاطاحة بالتبعية، والخروج من الفلك الأمريكى، وتحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى والثقافى.. أى أنه مشروع له خيارات مختلفة جذريا عن ماهو قائم، هو مشروع لتحالف طبقى آخر تتناقض مصالحه كليه مع مصالح التحالف القائم فى الحكم، إذ تتحقق مصالح الأخير فى التبعية فحسب.

فهل يبقى مثل هذا المشروع جنينا فى علم الغيب الى أن يصل التحالف الطبقى المأمول من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والرأسمالية الوطنية الى السلطة.. كلا.

فالقول بذلك قلب للمعادلة، لأن مثل هذا التحالف المأمول لن يصل الى السلطة بنفس شعارات واستراتيجيات وخيارات السلطة القائمة بل لابد له أن يتميز كلية عنها أى أن يكون مشروعا بديلا متكاملا ضد مشروعها التابع، يتشكل وتتضح معالمه، ويصبح جزءا من البناء الوجدانى والنضالى للطبقات الحليفة، وهي تخوض معركتها على كل الجبهات، من أجل الوصول الى السلطة.

ولعل مثل هذا التميز الظاهرى فى خطوط مشروع «الاسلام السياسى» هو مايجعله فى عيون الجماهير بديلا محتملا للسلطة القائمة أى بديلا يقوم على التغيير الشامل، هذا التغيير الشامل الذى تلقفه الاسلام السياسى بينما أخذ يتراجع كهدف ومصطلح من قاموس المعارضة الوطنية التقدمية بكل فصائلها.

ولابد أن نتذكر هنا أن مشروع «محمد على» لبناء مجتمع حديث كان جنينا أخذ ينمو فى رحم المواجهة الشعبية ضد الحملة الفرنسية، وأن مشروع الخلاص من الاحتلال البريطانى أخذ ينضج ببطء فيما بين الثورتين العرابية وثورة ١٩١٩، لتنجز الأخيرة بعض أهدافه. وأن مشروع ثورة يوليو الأكثر تقدما على الصعيدين الوطنى والاجتماعى قد نضج فى أتون النضال الشعبى المتصاعد ضد الاحتلال والذى اكتسب مضمونا إجتماعيا وديمقراطيا متزايدا بنت عليه ثورة يوليو وانتقصت منه.

ولعلنا سوف نتعلم أهم الدروس وأثمنها من آخر وأعظم مشروعات النهوض القومى فى العصر الحديث وهو المشروع الناصرى، الذى عبأ الطاقات من أجل التحرر الاقتصادى والسياسى الشامل وقطع شوطا كبيرا فى طريق تحقيق أحلامه، الى أن قطعت عليه الثورة المضادة الطريق، بعد أن كان غياب الشعب الكادح المنظم قد أضعفه، ورغم ذلك فان هذا الشعب قد منح للمشروع الناصرى قواه المادية والروحيه عرفانا منه بأنه انما كان بتوجه جذريا لتحقيق مصالحه الأساسية فى التحرر والتقدم الاجتماعى رغم الأخطاء الفادحة.

والطريق الوحيد المفتوح فى هذا العصر أمام مشروع قومى للنهضة الشاملة هو طريق الاستناد كلية الى الشعب الكادح المنظم لكى يحمل مثل هذا المشروع أنفاسه وبصمات إبداعه فى شتى الميادين بدءا من ثقافته ومعارفه وانتهاء بمثله العليا وبهذا يعتمد دائما وأبدا على حماية الشعب التى ستقطع وحدها الطريق على الثورة المضادة فى المستقبل، إن الطابع الأساسى للمشروع المرجو هو طابع نضالى لابلاغزى ولا إنشائى.

الصندوق يأمر.. والحكومة تبيع بالخسارة

المشروعات رابحة.. والحكومة تستجدى من يشترى!

بيع مشروعات المحليات يلهب الأسعار ويشرد العاملين

عبد الحميد كمال

لم تكن مفاجأة أن تعلن الحكومة المصرية عن بيع المشروعات المملوكه للمحليات بالمحافظات والتخلص منها لصالح القطاع الخاص.

كان لذلك مقدمات سياسية متعددة داخل مصر منها المحاولات المستمرة لعرض القطاع العام للبيع والهجوم على انجازات ثورة يوليو.. بالاضافة الى الاعلان عن بيع «التليفزيون المصرى» ومحاولة عرض بيع «قناة السويس» ... و«الاهرامات».. كما اعلن على لسان وزير الثقافة ،طرح بيع دور العرض السينمائية المملوكه للقطاع العام الى القطاع الخاص... مرورا بخصخصة كل شئ فى مصر «العلاج» و«التأمين» و«البريد» والامن «كيرسيرفيس» «امانكو» وغيرها من الشركات التى تزحف لتطبيق «الخصخصة»..

وكانت تصريحات «فرانك ويزنر» السفير الأمريكى بالقاهرة للصحف نحو التوجه للقطاع الخاص كمخرج للازمة الاقتصادية المصرية ملفته للنظر.. بالاضافة لما كشفت عنه «اليسار» فى عددها الثالث عن رسالة الادارة الامريكية من البيت الابيض للرئيس مبارك التى كانت تطلب تنفيذ تعليمات صندوق النقد الدولى الخاصه ببيع القطاع العام للقطاع الخاص»

سرعة التنفيذ

وعلى الفور اسرعت الحكومة بتشكيل لجنه خاصة من وزراء الزراعة والتخطيط والاقتصاد وشئون الهجرة ومجلسى الشعب والشورى والأمين العام للحكم المحلى برئاسة مساعد رئيس الجمهورية «المشير عبد الحليم أبو غزالة» وذلك لدراسة ومتابعة المشروعات المعروضه للبيع وسرعة تنفيذها فى فترة زمنية محدده»

وقد انتهت اللجنة المشكلة برئاسة المشير ابو غزالة والمشرفة على بيع القطاع العام والحكم المحلى الى تقسيم المشروعات الى ثلاث شرائح الشريحة الاولى وهى التى تقدر قيمتها اقل من ٥٠ الف وعددها ١٣١٥ مشروع قيمته ٥ر٢١ مليون جنيه و ٢١٢ مشروعا يقدر قيمتها من ٥٠ الى ١٠٠ ألف بأجمالى ٣ر١٤ مليون و٢٦١ مشروعاً تزيد قيمتها عن ١٠٠ ألف بأجمالى ٥ر٣٢٢ مليون قد وضعت اللجنه خطة زمنية تصل الى ثلاث سنوات للأنتهاء من هذه المشروعات على أن يتم الاتصال بالمصريين فى الخارج لعرض هذه المشروعات عليهم.

وعلى الفور عقدت عدة اجتماعات مع المحافظين برئاسة رئيس مجلس الوزراء لبحث ودراسة بيع المشروعات المملوكه للمحليات بالمحافظات ويقيم دورها تمهيدا للبيع للقطاع الخاص وتمليكها للافراد.

وبنفس السرعة ظهرت تصريحات رئيس الوزراء -«المصور ٤ مايو»- «لقد توسعت المحليات فى المشروعات توسعا كبيرا الى حد كان صعبا علينا حصرها بدقة» واضاف.. وطبقا لاخر حصر تم اليوم تصل مشروعات المحليات ٢١٠٠ مشروع.. تبدأ من منحل عسل صغير الى مزرعة تربية ماشية بما لايزيد عدد رؤوسها عن ٢٠ رأسا وهناك بعض المشروعات الضخمة ومشروعات صغيرة القيمة مثل الفنادق الاقليمية ومشروعات النقل الداخلى بالمحافظات»



ووصف رئيس الوزراء بعض المشروعات بأنها «عزب»... كما ألمح رئيس الجمهورية فى خطابه بمناسبة عيد العمال (أول مايو الماضى) بأن مشروعات المحليات أصبحت مرتعا للنهب والسرقة من القائمين عليها وطالب بتحديد مواعيد نهائية للتخلص من هذه المشروعات...

وجاءت السرعة فى طرح مشروعات المحليات والقطاع العام على هوى الجانب الأمريكى فعبر «وليام سوكنز» الرئيس الجديد لهيئة التنمية الامريكية عقب مقابلة للرئيس مبارك خلال الايام القليلة الماضية- وكما نشر الاهرام «١١ يونية ١٩٩٠- «عن شعوره بالسعادة بعد ان علم بشكل غير رسمى بتقدم المحادثات بين مصر وصندوق النقد الدولى واشار الى الخطوات التى اتخذتها مصر لتمهد لاستثمارات اكثر للقطاع الخاص»

حقائق عن المشروعات

بالرغم من تصريح رئيس الوزراء د. عاطف صدقى بأن حجم المشروعات قد بلغ حوالى ٢١٠٠ مشروع، كانت الصحف تتحدث عن ارقام مختلفة ومتضاربة عن حجم المشروعات نشر انها ١٥٢٧و ١٥٦٨ ويغض النظر عن الرقم الحقيقى للمشروعات الا ان الثابت أن هذه المشروعات التى أقيمت بموافقة الحكومة وسياستها . وكما اعلن «من اجل تنمية المحافظات وتنمية موارد الصناديق المحلية ومن اجل خدمة الجماهير..» والثابت ايضا ان هذه المشروعات تمت دراسة جدواها الاقتصادية وانها طرحت من أجل توفير فرص عمل للشباب بالمحافظات وأن كافة هذه المشروعات تم افتتاحها بشكل اعلامى كبير وضخم من أجل توفير الامن الغذائى ورفع المعاناة عن الجماهير.

المشروعات ناجحة

باعتراف رئيس الوزراء د. عاطف صدقى «فان معظم المشروعات بالمحليات ناجحة، وان حجمها ٢٠٣٣ برأسمال يصل الى حوالى ٦٠٠ مليون جنيه، ومن خلال التصريحات الرسمية المعلنة فان المشروعات الخاسرة بالمحليات ٢٧٤ مشروعا فقط، أى ان نسبة المشروعات الناجحة ٨٦٫٥٪ بينما المشروعات الخاسرة بلغت ١٣٫٥٪ فقط اذن لماذا نبيع هذه المشروعات ؟؟...

كما ان محافظ البحيرة د. عادل الهامى قال ان لدينا ١٠٦ مشروعات ولن نبيع الاخمسة مشروعات فقط وهى مشروعات رابحة ايضا

وصرح المستشار فكرى عبد الحميد محافظ الغربية، «الأهرام» فى منتصف ابريل الماضى بأنه توجد مشروعات ضخمة للأمن الغذائى ستطرح للبيع رغم انها لم تحقق أى خسائر منذ انشائها، وتقيم محطة انتاج البيض بكفر الشيخ سليم طاقتها ٣٠ مليون بيضه سنويا ومحطة دواجن سيرباى بطنطا طاقتها ٥ ملايين كتكوت فى العام بالاضافة الى مصنع الاعلاف ومحطة تسمين الماشية بالراهبين بسمنود ومحطة تربية الارانب الى جانب ٥٤ مشروعا صغيرا بالقرى لعسل النحل وانتاج البيض والتسمين..»

وجاءت تصريحات السكرتير العام المساعد لمحافظة دمياط مؤكده على ان مراكز توزيع الامن الغذائية والأخشاب ومواد البناء وخامات الحرفيين وخدمة تجار الاثاث كلها مشروعات رابحة كذلك مصنع الكليم والسجاد ومشروعات الابقار والمناحل الثمانية وتربية الارانب والميكنه الزراعية ومشروع تربية ملكات النحل التى تخصصت فيها محافظة دمياط وتقوم بتوريد الملكات الى محافظات مصر كذلك مشروع النقل الداخلى الذى ينقل ١٤ الف مواطن يوميا بين القرى والمراكز كلها مشروعات رابحة «الا ان الاتجاه الحالى هو تخلص الوحدات المحلية من ادارتها ، وكذلك فالثابت أن هناك تسع محافظات لن تبيع وحداتها ، وهى القاهرة والاسكندرية والسويس والبحيرة ومطروح والبحر الاحمر وجنوب سيناء وقنا وبالرغم من ان المشروعات غير خاسرة بالمحليات

وذكر عزت محمد على الامين العام للادارة المحليه بأنه تقرر عدم بيع أى مشروع خاسر للمحليات الا بعد اصلاحة ماليا واذا تعزر تجرى تصفيته وأضاف أن هناك عدة اقتراحات حول اسلوب بيع المشروع سيتم مناقشاتها فى اجتماع رئيس الوزراء والمحافظين عقب عيد الاضحى المبارك ومايهمنا ان نشير الى أن بيع مشروعات المحليات ليس بسبب الخسائر كما يصرح المسؤولون وكما أشرنا من قبل حول نسبة المشروعات الناجحة والخاسرة وقد أكد على ذلك تصريح الامين العام للادارة المحلية فى الصحف القومية.

ولعل ذلك يؤكد وجهة نظرنا بأن الدافع وراء بيع هذه المشروعات هو توجهات امريكا وصندوق النقد الدولى.

والمحافظات التى ستبيع وحداتها التى تقل قيمة المشروع فيها عن ٥٠ الف جنية كمرحلة اولى هى:

بورسعيد ٨ مشروعات-الاسماعيلية ٣٤مشروعات- القليوبية ١٤٩ مشروعات- الشرقية ١٧١مشروعات- الدقهلية ١٠٥مشروعات-دمياط٥١ مشروعات- المنوفية ٥٥ مشروعات- الغربية ٧٢ مشروعات- كفر الشيخ ٩٠ مشروعات- الفيوم ٦٧ مشروعات- الجيزة ٢٠ مشروعات- الوادى الجديد ٤ مشروعات-شمال سيناء ٢٠ مشروعات- بنى سويف ٥٨ مشروعات- المنيا ١١٠مشروعات- اسيوط ١٠٦مشروعات -سوهاج ١٠١مشروعات- قنا ٧٨ مشروعات- اسوان ١٦ مشروعات- واجمالى ١٣١٥ مشروعا

وبالرغم ان مشروعات المحليات الناجحة المعروضة للبيع والتى بلغت قيمتها ٢١ مليون و ٤٨٠ الف جنية فان أهمية هذه المشروعات من ناحية أن أغلبيتها مشروعات لانتاج الدواجن واللحوم الحمراء والاسماك والعسل والبيض وتغليف وتعليب مواد غذائية.. ومشروعات نقل الركاب ومصانع اعلاف واستصلاح أراضى... والمشروعات التى عرضت على مجلس الوزراء وعلى لجنه بيع القطاع العام لبدء التنفيذالفعلى لبيعها هى؛

تسمين والبان ٣٢مشروعا القيمة بالالف ٩٢٦- لحوم بيضاء «دواجن ١٣١مشروعا القيمة بالالف٣٧٥٠ - انتاج بيض ٢مشروعا القيمة بالالف ١٦- تحضين كتاكيت ٢٠مشروعا القيمة بالالف٥٣٠- ارانب٢٢مشروعا القيمة بالالف١٨١- بط ٩مشروعا القيمة بالالف ٨٥- مزارع سمكية ١مشروعا القيمة بالالف١١- حمام ٧مشروعا القيمة بالالف٧- مناحل ٤٢٨مشروعا القيمة بالالف٣٧٩٧ -مخابز نصف آليه ١٥مشروعا القيمة بالالف ٤١٩-مجازر اليه ١مشروعا القيمة بالالف٢- مصانع مواد غذائية ٢مشروعا القيمة بالالف٢٩- حبوب زراعية ١مشروعا القيمة بالالف٢٣- مشاتل ١مشروعا القيمة بالالف٢- منافذ امن غذائى ٢مشروعا القيمة بالالف٣٦ - تعليب وحفظ٣مشروعا القيمة بالالف٧٧- اعلاف ٣مشروعا القيمة بالالف١٢١- مكينة زراعية ١٠٨مشروعا القيمة بالالف١٦٣٤ -



استصلاح اراضى ١مشروعا القيمة بالالف١٦- مصانع ثلج ٤مشروعا القيمة بالالف٥٧- سوق تجارى ١٢مشروعا القيمة بالالف٢٠٥- مصانع طوب١٦مشروعا القيمة بالالف٢٣١- مصانع بلاط ١٦مشروعا القيمة بالالف٣٥٤- ورش تجاره ١٤٩مشروعا القيمة بالالف٢٦٨٤- نقل ركاب ٢٦١مشروعا القيمة بالالف٥٣٠٣- سياحة ١مشروعا القيمة بالالف٣٤- أخرى ٧٧مشروعا القيمة بالالف٩٣١- الاجمالى ١٣٥مشروعا القيمة بالالف٢١٤٨٠-

أى أن حوالى ٥٠٪ من المشروعات المعروضة للبيع وهى حوالى ٦٥٨ مشروعا تقوم ببيع مواد غذائية «لحوم حمراء دواجن عسل أرانب بط وسمك.... وان ٥٠٪ من المشروعات هى مشروعات استصلاح اراضى ونقل ركاب وانتاج اعلاف واسواق تجارية اى انها مشروعات تقوم بخدمة الجماهير بالمحافظات بأسعار تقل عن اسعار القطاع الخاص.

تناقض التصريحات

واذا كانت المبررات التى تقدم لبيع مشروعات المحليات بالمحافظات هى ايجاد سيولة ماليه لحل المشاكل الاقتصادية وأن «حصيلة البيع» ستدخل ضمن «صندوق حصيله بيع المشروعات من أجل انشاء مشاريع جديدة فاننا نرى تناقضات فى تصريحات المسئولين.. ففى الوقت الذى يعلن فيه رئيس الجمهورية فى خطاب عيد العمال أن «البيع سيكون وفق اسعار السوق..»

نجد ان تصريح رئيس الوزراء لجريدة الأهرام «٣٠ ابريل الماضى» عقب اجتماع المحافظين «سيتم تقديم تيسيرات للمستثمرين الجدد بالاضافة الى الاعفاء الضريبى لمدة خمسة سنوات من ضريبة الارباح التجارية والصناعية..

بينما يؤكد فؤاد اسكندر وزير الهجرة وشئون المصريين واحد اعضاء اللجنة المشرفة على بيع القطاع العام ومشروعات المحليات فى تصريح لمجلة أخر ساعة - ١٣ يونية الماضى- «هناك تقييم مبدعى دفترى لكل مشروع وفى كل محافظة ستكون هناك لجنه بموجب اللائحة للتصرف فى ممتلكات الحكومة والتقييم المبدئى وفقا لما يراه كل محافظ فى المحافظات وسيعرض فى المزاد العلنى بسعر أساس القيمة الدفترية...»

وعلى النقيض تماما يؤكد محافظ الغربية المستشار فكرى عبد الحميد.. «أن محطة سبرباى للبيض مقامة على مساحة ٤٨٠ قيراطا كان سعر القيراط وقتها ١٧٥ جنيها الان تبلغ قيمة ساحتها نحو ٣ مليون جنيه»

اذن التصريحات متضاربة بين سعر السوق والقيمة الدفترية والتسهيلات والتيسيرات.. لكن المعلوم والثابت ان كافة مشروعات المحليات قدم لها تسهيلات فى ثمن الأرض والمرافق التى حصلت عليها (الكهرباء والمياه والصرف الصحى وخدمة الطرق.. الخ» بل وصلت الى تسهيلات فى مواد البناء بالسعر المدعم (اسمنت حديد تسليح واخشاب...، والبيع بالقيمة الدفترية سيحقق خسائر كبيرة فى حصيلة خريطة الاموال العامة بالاضافة الى الاعفاءات والتسهيلات وسوف تقلل فى النهاية مبرر ايجاد سيولة لحل المشاكل الاقتصادية.

وقد حزر عدد من الخبراء الاقتصاديين من بيع المشروعات على غير سعر السوق وعلى عكس كل التصريحات السابقة للمسئولين كان د. يوسف والى نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الزراعة والامين العام للحزب الوطنى اكثر وضوحاً فى مؤتمر النادى السياسى للحزب الوطنى بمحافظة المنوفيه حيث أعلن قائلا «سنبدأ فى تحويل مشروعات المحافظات من القطاع العام الى القطاع الخاص.. على أن تساهم السعودية وهيئة التنمية الامريكية فى مشروعات بديلة من أجل فرص عمل للشباب وسيحصل تمويل بعض المشروعات الى ٣ مليون جنيه عن طريق المعونة الامريكية لانشاء شركة للدواجن لتفريخ مليون كتكوت وانشاء ٦٤ عنبرا لتربية الدواجن ومشروعات لتحسين الماشية» وهكذا نبيع لنأخذ من التنمية الامريكية والسعودية،،

أما المستشار فكرى عبد الحميد محافظ الغربية فيقول فى حديث له عن مشروع المحليات سيكون استغلال عائد البيع فى مشروعات انتاج الملابس الجاهزه وتعبئة الخضروات وغيرها من

المشروعات التى تخدم المواطنين

وبعد،، فهل يحق لنا أن نتساءل لماذا نبيع مشروعات المحليات؟ طالما أن اكثر من ٨٦٫٥٪ من المشروعات ناجحه وتحقق أرباحا وتخدم الجماهير الشعبية؟

وطالما أن الحكومة تريد أن تقيم مشروعات بديلة ستكون تكاليف اقامتها أضعاف اضعاف ثمن مااقيم من مشروعات منذ سنوات؟؟

ولماذا نأخذ من اموال التنمية الامريكية والسعودية لبناء مشاريع جديدة ومن نفس نوع المشاريع السابقة (دواجن تسمين كتاكيت... الخ)

ولماذا تقدم تسهيلات فى البيع واعفاءات للمستثمرين الجدد؟ وعلى حساب من هذه التسهيلات؟!..

التوازن الاجتماعى للمشروعات المحليه

واذا كانت هناك خسائر مالية ضخمه ستكون فى الفرق بين بيع المشروعات واقامه اخرى جديدة.. فان هناك خسائر أخرى على جانبى الاستقرار والتوازن الاجتماعى فلاشك أن مشروعات المحليات تساهم فى رفع العبء عن الطبقات الشعبية بشكل او بأخر لانها تبيع منتجاتها بأسعار أقل من أسعار السوق بالنسبة للقطاع الخاص ومن هنا نرى الحشود والطوابير على شوادر اللحوم ومنافذ توزيع بيض المائدة وبيع منتجات الالبان والدواجن.. وبالتأكيد فان بيع هذه الوحدات للقطاع الخاص سوف يزيد من أسعار هذه المنتجات من اجل ان يحقق ارباحا أعلى ومن هنا سوف تزداد الأعباء الاجتماعية على الطبقات الشعبية.

بالاضافة الى مشروعات النقل الداخلى والخدمات التى كانت



- ياسلام .. مواطن صالح بصحيح .. منفذ تعليمات الصندوق بحذافيرها وعامل ترشيد استهلاك ..!!

تقدمها بأسعار أقل.. فما بالنا اذا تحولت هذه المشروعات التى تنقل ملايين المواطنين بين القرى والمركز داخل المحافظات يوميا وكيف سيدير القطاع الخاص مشروعات النقل؟

والعاملون بمشروعات الحكم المحلى والذين يقدر عددهم بحوالى ١٠٥ الف عامل على أقل تقدير وسيقوم القطاع الخاص بتخفيض هذه العماله مما يزيد من حجم مشكلة البطالة فى مصر.

البعد الديمقراطى

وهناك البعد الديمقراطى حيث تؤكد عملية بيع مشروعات المحليات على ضرب نص الدستور والقوانين المصرية..

فقد نص الدستور فى المادة ٣٠ على «الملكية العامه هى ملكية الشعب وتتأكد بالدعم المستمر للقطاع العام ويقود القطاع العام التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسيه فى خطة التنمية»

..كما أن المادة ٣٣ تنص على: «الملكية العامة حرمة حمايتها ودعمها واجب على كل مواطن وفقا للقانون باعتبارها سند الوطن واساسا للنظام الاشتراكى ومصدرا لرفاهية الشعب»

وينص قانون الحكم المحلى فى مادته الثانيه على «يتولى المجلس الشعبى المحلى للمحافظة فى حدود السياسة العامه للدولة الرقابة على مختلف المرافق والاعمال التى تدخل فى اختصاص المحافظة كما يتولى الاشراف على تنفيذ الخطط الخاصة بالتنمية المحلية ومتابعتها على النحو المبين بالقانون واللائحة التنفيذية وهى اقرار مشروعات خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشروع الموازنه للمحافظة وتنفيذها والموافقة على مشروع الحسابات الختامية. وتحديد «قرار خطة المشاركة الشعبية بالجهود والامكانيات الذاتية والموافقة على انشاء المرافق التى تعود بالنفع العام على المحافظة، واقرار وانشاء المشروعات الانتاجية وعلى الاخص المشروعات المتعلقة بالامن الغذائى..»

وبالرغم أن مشروعات المحليات تعتبر ملكيات للمجالس المحلية وهى التى تشرف عليها وتراقبها فان مجلس الوزراء ضرب بعرض الحائط صلاحيات هذه المجالس... ولم نجد أيا من المجالس المحلية فى طول البلاد وعرضها والتى تصل الى اكثر من ١٢٨٣ مجلسا، لم يناقش اى منها مستقبل هذه المشروعات ولم يعلق على مايحدث ويرجع ذلك الى المقدمات التى قامت بها الحكومة بالغاء «الاستجوابات» فى تعديلات قوانين المحليات وتحويل المجالس الى ادارات محلية..

كذلك جاء بيع مشروعات المحليات ضربا لتوصيات المؤتمر الثانى للحكم المحلى «يونية ٨٥» التى أكدت على:-

أهمية اعطاء الحق للمجالس المحلية بالمحافظات فى انشاء صناديق فرعية لتدعيم المرافق القائمة انشاء مشروعات جديدة بعد إقرارها من المجالس المحليه.

قيام المحليات بتشجيع اقامة المشروعات الصغيرة والريفية وتدعيم الجمعيات التعاونية وتنمية المجتمعات والمشروعات بالمحافظات وتذليل العقبات التى تصادفها

دعم مشروعات المحليات لزيادة صافى الايرادات التى يتم تنفيذها من الموازنة الاستثمارية على أن يئول صافى الايرادات لصناديق الخدمات والتنمية المحلية وغيرها من التوصيات

وبعد.. الايحق لنا أن نتساءل وأن نندهش مما يحدث طالما صندوق النقد يطلب ونحن ننفذ ونبيع ونخسر!!

مشكلة البطالة « ٤ »

النقابات
ومقاومة آثار التعطل

أمينة شفيق

خلال الاعداد الثلاثة الأخيره من «اليسار» تم تناول مشكلة البطالة من المنظور الاجتماعى العام. تم طرح أعدادها فى حدود ما هو متاح من إحصائيات ثم أخطارها الاجتماعية، وعناصر إستمرارها وتعاظمها فى مجتمع يتجه الى آليات اقتصاد السوق ولو الى حين آجل وممتد.

وفى هذا العدد نتقدم الى طرح وسائل مقاومة البعض من الاخطار الاقتصادية والاجتماعية وكذلك التأثيرات السلبية التى ستستمر هذه المشكلة تفرضها على تجمعات بشريه واسعه للشعب المصرى.

ولايمكن للافراد أن يمتلكوا وبمفردهم زمام المقاومة. وفالذى لابد وأن يتقدم للامساك بزمام المقاومة هو ذلك التنظيم المفترض أن يتصدى للدفاع عن المكاسب الحياتية اليومية للأفراد.

وإذا طرحنا جانبا المؤسسات السياسيه المتواجدة فى المجتمع سواء كانت علنيه أو سريه فإننا سنتجه فى هذا المقال فى المقام الاول الى التنظيم النقابى سواء كان المهنى او العمالى. ولاينبع طرحنا جانبا للمؤسسة السياسية الحزبية على أساس انعدام فاعليتهاولكن على أساس أن لكل منها توجهه المبنى على انتمائه وبالتالى فمناقشة هذا التنظيم يحتاج الى مراجعه شاملة لكل البرامج الحزبية. وهى مهمه صعبه فى إطار عام يشير الى أن الابنيه الحزبية لاتملك برامج محدده تمس او تناقش هذه المشكلة وخاصة تلك التى لاتنتمى فى توجهها الى القضايا الاقتصادية الاجتماعية من منطلق تعبوى تنموى.

فالواقع أن التنظيم النقابى هو التنظيم المنوط به حاليا التحرك للامساك بزمام المقاومة.

والسبب من وجهه نظرى هو أن هذا التنظيم سيواجه- ومع تعاظم أعداد المتعطلين والمتعطلات- هجوما شرسا على مكاسب المنتظمين فى صفوفه. واذا كان الهدف الاول لهذا التنظيم هو الدفاع عن مصالح الاعضاء المنضمين له وتدعيمها وتطويرها فإنه وفى سعيه الى هدفه هذا سيواجه ويتصادم مع آثار البطالة على هذه المكاسب.

وفى هذا المجال ستتم المواجهة على مستويين.

أولا مستوى النقابات المهنيه والتى تضم فى عضويتها الاف المهنيين والذين يحملون القابا مهنيه مرموقه وفى الوقت ذاته لايجدون فرص العمل اللازمة لممارسة هذه المهن، مما يضطرهم اما الى ممارسة أعمال فى خارج تخصصهم او أن يستمروا بلا عمل.. ولكن فى الحالتين يحملون مايسمى كارنيه عضوية نقابة مهنية.

وعلى سبيل المثال.. يحمل خرج كليه الطب بطاقه عضوية فى نقابة الاطباء ولكنه يمارس أعمالا لاتنتمى الى الطب بأى صله... مثل أعمال القيشانى أو النجارة.

او أن يحمل خريج كلية الهندسة بطاقة عضوية نقابة المهندسين ثم يعمل فى ورشه حداده

أو أن يحمل خريج كلية الحقوق بطاقة عضوية نقابة المحامين ثم نجده واقفا أمام كشك لبيع ساندويشات فول او كفته مشوية.

وهى أمثلة موجودة ومتواجدة فى الطريق العام ويمكن لاى إنسان رصدها بسهوله ويسر.

وبالرغم من أن هذه الامثله تندرج تحت مسمى البطالة المستتره او المقنعه الا أنها تمثل

مشكلة حقيقية بالنسبه لهذه النقابات المهنيه. حيث أنها، أي النقابات، تتضخم عضويتها وتنتفخ كالبالون مما قد يؤدي الى حدوث انفجارات. داخلية. وهو ما يحدث بالفعل. وهي إنفجارات تتحول الى صراعات حاده تحول هذه المنظمات النقابيه الكبيرة والتي لابد وأن تلعب دورا وطنيا تحرريا في المجتمع إلى أوعيه تتلقى مشاكل المجتمع دون أن تملك وسائل حلها.

وعلى سبيل المثال إنضم الى نقابة محامي القاهرة خلال سته شهور ١٥ الف محاميا بدون اى فرص لممارسة مهنتهم مما يقودهم الى مجرد الجلوس في ساحات المحاكم أو أمام مقار الشرطه في العاصمة. وأمام هذه الظواهر لايمكن لهذه النقابات أن تقف مكتوفه الايدى أمام هذا التدفق الهائل من الخريجين إليها... عليها أن تسعى وتأخذ المبادرة لشن هجومها على نظام التعليم ليس من أجل إلغاء مجانيته وإنما من أجل ترشيده بحيث يتم التوازن بين خريجيه واحتياجات المجتمع الحقيقية،

كما أن هذه النقابات لابد وأن تطرح على مجالس إداراتها مشكلة المتعطلين من أعضائها سواء كانوا يعانون من البطالة السافرة او المقنعه على أساس دراستها وايجاد الحلول الملائمه لها..

ففي مجال تعطل الاطباء، لابد للنقابة التي تضمهم أن تعيد دراسة مشكلتهم في إطار دراسة مشكلة العلاج ونظمه في البلاد،

فلا يعقل أن يتواجد في البلاد جيش من المتعطلين في صفوف الاطباء ثم نجد جيشا كاملا متكاملا من المرضى سواء كان ذلك في ريف مصر أو حضرها الفقير.. ولاشك أن



النقابات مسئولة عن النضال من أجل اقرار تأمين البطالة



- طبعاً كده أحسن بكتير.. أنا سرقت عشان ماكنتش لاقي وظيفة تأكلني عيش.. دلوقتي باكل عيش وحلاوه وصحتي ردت..!!

نقابه الاطباء تأتي في مقدمة الجهات التي تستطيع طرح حلول متكاملة للمشكلة ككل ومن كل جوانبها.. المريض والطبيب ونظام العلاج

وينطبق نفس الشيء على الوضع في صفوف المتعطلين من المهندسين والمحامين والزراعيين والتجاريين.. الخ.

ثانيا على مستوى النقابات العمالية والتي تضم في صفوفها العاملين في الوحدات الاقتصادية سواء كانت قطاعا حكوميا او عاما أو خاصا في طور الانتشار والنمو.

هذا القطاع الحيوى من منظماتنا الديمقراطية لابد وأن يبدأ مرحلة جديدة من نضاله بهدف فرض نظام عقد الاتفاقات

الجماعية التي تضمن فيها تلك الحقوق التي لايجب أن تتأثر من وجود هذا الجيش من المتعطلين.. مثل الاجور والمكاسب العيشية الاخرى.

إن شن هجوم من أجل عقد إتفاقيات عمل مشتركة بين النقابات والادارة هو الوسيله الحيوية والاساسية للدفاع عن الحد من المكاسب العمالية.. فالهجوم الحالي أفضل الاف المرات من دفاع مستقبلي مشكوك في فاعليته وتأثيره.

كما أن للتنظيم النقابي العمالي إمكانيات واسعه للتحرك من أجل محاولة حصر هؤلاء المتعطلين من غير صفوف المهنيين وإعطاء إطار عددي لهم ثم وسائل سعيهم لتحقيق «الرزق» اليومي. حتى هذه اللحظة استطاعت الدولة تقديم أرقام لحاملي الشهادات الجامعية والمتوسطه وذلك لامكانياتها الواسعة في حصر عدد الخريجين من الجامعات والمعاهد المتوسطه. وهو وضع أسهل من ذلك الوضع المتعلق بغير المهنيين والذين قد يتجاوز عددهم عدد خريجي الجامعات. وطالما لاتستطيع أو لاترغب الدولة في مصر حصر غير الجامعيين فإن النقابات العمالية والمنتشرة في كل مكان تستطيع المساهمه الجدية في ذلك.

إلا أن النقابات العمالية، وبصفتها المنظمات التي تضم العاملين جميعا طالما انتظموا في أعمال ثابته تجد نفسها أمام أهم المسئوليات في الامساك بزمام المواجهه والمفاوضة.. فهي الان مسئوله عن النضال من أجل إقرار وسن قوانين خاصة بتأمين البطالة.

وتنبع مسئوليتها هذه ليس فقط من كونها الجهة المنظمه للعاملين في قطاعات العمل ولكن لانها الجهه التي تخطط من خلال مسئوليها في الهيئه العامة للتأمينات

الاجتماعية لكافة فروع التأمينات.. تأمين الشيخوخه والاصابات الخ. كما أنها تعلم من خلال مندوبيها فى الهيئه بحقيقة حجم مدخرات العاملين فيها والفوائض المتراكمة منذ عام ١٩٦٠ وهو العام الذى أصبح فيه الاشتراك فى الهيئه إجباريا.

وفى إمكان هذه النقابات العمالية أن تفتح حوارا واسعا حول موضوع تأمين البطالة بحيث تتقدم الاراء المختلفة والخاصة بتحديد حجمه ووسائل وشروط صرفه وحتى لا يصبح مجالا للتلاعب فى المجتمع.

بالاضافة الى أن هذه المنظمات العماليه ذات الانتشار الاوسع فى صفوف الجماهير المنظمة وذات العلاقة الوثيقة بالاجهزة المعنية بالقوى العاملة، وهى وزارة القوى العاملة والتدريب المهنى لابد وأن تطالب وتضغط، وفى إمكانها ذلك، من أجل أن تعيد هذه الوزارة تنظيم مكاتب القوى العاملة فى المحافظات والمراكز بحيث نبدأ فى فتح سجلات لطالبى العمل المنظم والساعين له... وقد يقال ان بعض هذه المكاتب تلعب هذا الدور الان الا انه دور محدود ومكتبى فالمفترض فى بلاد تعانى من أزمة اقتصادية ومن وجود جيش من المتعطلين أن تعمل هذه المكاتب فى الميدان والشارع تنزل اليها ساعيه هى الى المتعطلين سواء كانوا من البطالة السافرة او المقنعه او المستتره لتبحث فى أعدادهم ورغباتهم وظروفهم.. ثم لتقدم فى النهاية حقائق وإحصائيات سليمه واكثر اقترابا من الواقع والدقة. والمهم فى هذا الشأن أن توجه هذه المكاتب جل جهدها فى صفوف هؤلاء المتعطلين الذين لايحملون شهادات جامعيه او متوسطه..أى هؤلاء الذين أسقطتهم الدولة بالفعل فى عمليات الرصد والاحصاء والحصر.

إن النقابات العمالية هى المنوط بها القيام بعمليات المطالبه والضغط فى هذا الشأن لانها فى البداية والنهاية صاحبة الولايه كما انها المظلة الديمقراطية الحاميه للعاملين الاكثر عددا من غير اصحاب الشهادات الجامعية او المتوسطة.

ثم نأتى لنقطة أخيره لابد للمنظمات النقابية مهنية كانت او عمالية أن تضعها فى حسبانها وهى تناقش قضية العمالة.. وهى تلك المتعلقة بحركة الهجرة الى بلدان النفط والتى اتسعت فى العقد السبعينى ثم بدأت فى الانحسار ولكنها لاتزال موجودة..

تتسم هذه الحركة الى يومنا هذا بالتلقائية.. فالباب المفتوح أمام المصريين للهجرة باب واسع وغير منظم بحيث تدنت ظروف وشروط العمل ثم تراجعت الاجور... ولان العرض اكبر من الطلب، فقد فرض أصحاب الطلب شروطهم وضغطوا بها على أصحاب العرض.

ولايجب أن نخضع لابتزاز الشروط السيئة الموجودة الان فى سوق العمل العربية- بل يجب أن نتعامل معها على أساس اننا نملك خبرة جيدة فى المنطقة ونحاول أن نحسن من تلك الظروف ونرفع من تلك الاجور. وقد قيل هذا الكلام فى السابق عندما ارتفعت أصوات فى مصر تطالب بأهمية أن تنتقل اليد العاملة المصرية الى بلدان النفط بناء على اتفاقيات ثنائية بين الحكومات وتشارك فيها المنظمات النقابية.

وترتفع نفس الاصوات الان لتطالب بحماية القوى البشرية المصرية وخاصة بعد إنحسار هذا السوق مما أدى الى عبور مشكله البطالة المصرية الحدود الوطنية لتتواجد وبنفس أشكالها وأنواعها فى عديد من الاقطار العربية الاخرى واذا كان للمصرى أن يعانى من البطالة فافضل أن يعانى منها فى بلاده وليس فى بلدان عربية لاتضم أهله وأقاربه.

والفكرة الاساسية وراء تنظيم الهجرة ليست فى المنع وانما فى التنظيم ففى حاله تدخل الدولة والتنظيم النقابى فسوف تحدث الموازنة فى عملية «التصدير» بين البعض من العاملين والبعض من المتعطلين. بحيث تصبح للهجرة فائدة اجتماعية فهى ستمد السوق العربية ببعض الخبرات، وليس فى هذا عيب، ولكن وفى نفس الوقت نرسل بعض هؤلاء المتعطلين لتخفيف العبء الاجتماعى الداخلى.

وبذلك لايتكرر ماحدث فى الماضى عندما استوعبت سوق العمل العربية غالبية عظمى من العاملين.. دون أن تمتد الى هؤلاء الباحثين عن العمل. مما أدى الى خلل فى قوة العمل المصرية مع الابقاء على ظاهرة التعطل...

إن هذه الاراء التى تطرح كموقف نضالى للنقابات ليست الحل لمشكلة البطالة وإنما هى مواجهة لبعض سلبياتها.. ولكن يبقى للمنظمات النقابيه المصرية مهنيه او عماليه النضال المستمر دفعا للحكومات المتتاليه والنظام الاقتصادى والاجتماعى المشكل لها لخوض المعركة جذريا حتى يتم الاستخدام الكامل والقضاء على كافة اشكال البطالة فى مصر.



- شحاتين إيه يا شاويش.. إحنا بنتمرن عشان لما نيجى نقعد بعد التخرج.. ما نزهقش من القعدة!!..

أبو قرقاص وصناعة المناخ (٣)

ظاهرتان
وراء مناخ الفتنة
فى الثمانينيات



د. يونان لبيب رزق

بامكان أى مراقب مدقق أن يستخرج من طوفان الاحداث التى عرفتها الثمانينات ظاهرتين كانتا فى رأينا وراء صناعة المناخ الذى أفرز الحوادث الطائفية الأخيرة فى المنيا وأبو قرقاص.

الظاهرة الأولى:

تتمثل فى هذا «النهج التحريضى» الذى سدرت فى اتباعه الزعامة الجديدة من رجال الدين بعد أن تقهقرت لها الزعامة المدنية عن موقعها، أو أضعف الايمان وقفت تتفرج عليها.

والدور الطبيعى لرجال الدين فى عصر ازدهار وقوة المدنية كان يقتصر على الجانب الاخلاقى من خلال استخدام علومهم لاشاعة قيم بعينها. وعندما كان يحدث فى بعض الحالات أن يشغل هؤلاء بالعمل السياسى فقد كانوا يشتغلون به فى الاطار العام للحركة الوطنية، ويصبحون بعض فصائل هذه الحركة لا زعاماتها، الأمر الذى جسدته أحداث ثورة ١٩١٩.

المشاهد فيما جرى خلال الثمانينات انهم قد تجاوزوا هذا الدور..

أولا: فيما أخذوا فى اشاعته من مناخ غيبى، وهو المناخ الذى تبارت فى صنعه كتابات واذاعات وفتاوى تتحدث عن زواج الجان وحرمان ابليس من الجنة وعذاب القبر..الخ...، هذا على الجانب الاسلامى، أما على الجانب الآخر فلعل مايثار بين الحين والآخر عن ظهور العذراء هنا أو هناك يقدم نموذجا على ذلك.

وبالاضافة الى ماأدى اليه هذا النهج من تغييب حقيقى للعقل المصرى وتعطيل لملكاته الابداعية فى عصر غزو الفضاء وعالم الكمبيوتر والهندسة الوراثية فقد اسهم فى نفس الوقت فى صنع مناخ التمايز الطائفى.

فبينما كان العالم الغيبى الذى بشر به رجال الدين من المسلمين مقصورا على أبناء دينهم مليئا بما يقطع بحرمان الآخرين، فقد كان عالم المعجزة الذى سعى رجال الدين الاقباط الى احيائه مليئا بأحلام اليقظة التى تنتهى بتنصير المسلمين أو بعضهم، ولعل شريط الكاسيت الذى انتشر منذ بضعة شهور وتروى فيه سيدة مزعومة تجربتها فى التحول عن الاسلام الى المسيحية بعد ظهور العذراء لها يقدم نموذجا لذلك ، ولعل قصة المسحوق الذى قيل انه كان يرش على ملابس المحجبات فيملأها بالصلبان يقدم نموذجا آخر لرد الفعل الاسلامى على قول رجال الدين الاقباط بصنع المعجزات.

ولنا أن نلاحظ فى هذا الصدد، وعلى الجانب القبطى أيضا، قضية على درجة كبيرة من الخطورة، وهى ماعمد اليه رجال الدين من تشجيع على اطلاق اسماء ذات طابع دينى بحت على مواليد الاقباط، واختفت أو أخذت فى الاختفاء تلك الاسماء المشتركة ذات الطابع العربى والتى انتشرت خلال الخمسينات والستينات، ونستطيع أن نؤكد ان مثل هذا النمط من الأسماء يخلق حاجزا نفسيا بين أبناء الوطن الواحد ويعمق من الشعور بالطائفية.

ثانيا: فيما قاموا به من عملية تحريضية واسعة، وهى مرحلة لم يشترك رجال الدين الاقباط فيها، ربما بحكم وضع أبناء دينهم كأقلية مما لايسمح لهم بالذهاب الى حد التحريض، ولكن شارك فيها علماء الدين من المسلمين ، وباصرار.

ونظن أنه لو عكف باحث على جمع ماقاله كل هؤلاء أمام ميكرفونات الاذاعة وكاميرات التليفزيون، أو فى أشرطة الكاسيت، أو على منابر الجوامع، وماكتبوه فى صحف سيارة أو كتب متداولة لتوفر له ملف مخيف من أقوال هؤلاء فى الطعن فى مواطنيهم الاقباط.

الاخطر من ذلك ان هذه العملية التحريضية قد انتقلت الى المدارس، وأخذ عدد من المعلمين على عاتقهم تحريض التلاميذ المسلمين على زملائهم الاقباط، بالرغم من ان هؤلاء المعلمين يحصلون على رواتبهم من الضرائب التى تتقاضاها الدولة من جميع المصريين، وبالرغم من أنه يتعلم على أيديهم جميع المصريين!

وعلى أى عاقل الا يتوقع من هذه العملية سوى الاسراع فى تفاقم المناخ.

أبو قرقاص

صناعة المناخ

- صدقنى.. اللبس هو اللى بيعمل كل البلاوى.. لازم يوحدوا زى المدارس !!..

الظاهرة الثانية:

شيوع جو عام من الانتهازية السياسية تملقا للزعامة الجديدة كانت جديرة بدورها فى صنع المزيد من التفاقم والحقيقة أنه صعب استثناء أيا من القوى السياسية المتواجدة فى حقل العمل العام من الاشتراك بقدر أو بآخر فى هذه الانتهازية، أجهزة حكومية ومثقفين على الجانبين وأحزاب سياسية.. الخ..

- الاذاعة المرئية والمسموعة كانت أخطر هذه الأجهزة التى ركبت موجه المد الانتهازى، ويثير الدهشة أن وزير الاعلام قد فاخر فى إحدى جلسات مجلس الشعب أن البرامج الدينية تحتل أكثر من ٣٠ فى المئة من مساحة البرامج المبثوثة عبر ميكرفونات الاذاعة وكاميرات التليفزيون. ويثير الانزعاج ان المسئولين عن هذا الاجهاز الاعلامى الخطير لم يدركوا فيما يبدو الآثار الخطيرة التى يمكن أن تترتب على مثل تلك السياسات، بل والتى ترتبت بالفعل عليها وكانت أحداث الصعيد أحد أعراضها..

فأن يقوم شيخ متحمس فى احدى قرى الصعيد أومدنه الصغيرة بالقاء خطبة الجمعة يحرض فيها المصلين على مواطنيهم الأقباط قد يكون أمرا محتملا، وأن يقوم معلم حتى فى مدينة كبيرة مثل القاهرة أو الاسكندرية بالطعن فى دين الآخرين قد يوصف بأنه عمل غير مسئول، اما أن يسمح جهاز كبير مثل التليفزيون له تأثيره الواسع، ومعلوم أن مايذاع عبر شاشاته يخضع لرقابة دقيقة.. ان يسمح مثل هذا الجهاز لعدد من رجال الدين باشاعة أغرب الأفكار الغيبية والحديث بلسان التحريض، فانه لابد أن يكون لهذا السماح عواقبه..

* جانب من هذه العواقب متصل بترسيخ مكانة رجال الدين واشاعة شعبيتهم والترويج لافكارهم، بالرغم من كل مايتناقض ذلك معه، ليس فقط من روح المعاصرة وانما أيضا من حركة التاريخ.

* الجانب الآخر مترتب على مايمكن أن تدخله هذه السياسات فى روع كثيرين من ان مايتم بثه عبر هذه الاذاعات المرئية والمسموعة انما هو سياسة حكومية مقررة، أو على الاقل يحظى برضاء الحكومة.

ويصل هذا التناقض فى سياسات الحكومة الى ذروة مأسوية فبينما يقوم أحد أجهزته الخطيرة بالمشاركة فى عملية التحريض، ولو من منطلق انتهازى، فان جهازا خطيرا آخر، وهو جهاز الأمن، عليه أن يقمع الواقعين تحت هذا التأثير!

* الجانب الثالث: فلابد ان مثل هذا البث الدعائى يصور الأمور لعناصر التطرف، أو بالأحرى عناصر التعصب، بأنهم يمكن أن يمارسوا أعمالهم ضد مواطنيهم الأقباط برضاء السلطة، أو على الأقل يمكن أن يصور لهم أن السلطة خائفة منهم ساعية الى استرضائهم بكل مايترتب على ذلك من شيوع احساس بغيابها مما يدفع فى قلوبهم الجرأة على ممارسة مثل هذه الأعمال.

الأخطر من ذلك ان مثل هذا البث الدعائى قد يدفع عناصر من الادارة الى التقاعس، وربما الى التواطؤ، ونظن ان بعض هذا حدث فى أبو قرقاص والمنيا.

* يبقى جانب على قدر كبير من الأهمية، وهوما ترتب على مثل هذا البث الدينى لدى الجانب الآخر.. أى لدى المواطنين الاقباط..

فان هؤلاء، وقد رأوا أنفسهم محرومين من مساحة فى الاذاعة والتليفزيون تعبر عنهم قد صنعوا لانفسهم اذاعة خاصة وتليفزيون ملاكى!

فقد أخذت فى الانتشار خلال السنوات الأخيرة مئات من أشرطة الكاسيت الدينية لدى الاقباط تمتلئ بالعظات والتفاسير، ولمعت أسماء عديد من رجال الدين، من القسوس والمطارنة، ناهيك عن شرائط الفيديو التى تمثل حياة القديسين والصلوات الشهيرة التى يقيمها البابا.. الخ..

بمعنى آخر فان سياسة أجهزة الاعلام الانتهازية فى اشاعة المناخ الدينى كانت تؤدى فى نفس الوقت الى تقليل مساحة المشترك بين كل المواطنين المصريين وتصنع فى ذات الزمن داخل البيوت المصرية مجتمعين منفصلين!

- ما استنته وزارة التعليم خلال

أبو فرقاص
صناعة المناخ

الثمانينات من سياسات ساهمت باليقين فى صنع المناخ.. واذا كانت وظيفة السياسات التعليمية صياغة عقل الأمة بشكل يدفع به للحاق بالعصر فان ما عمدت اليه تلك السياسات كان يسير فى طريق مخالف، وتخلى مؤسسة هامة من مؤسسات الدولة عن وظيفتها الحقيقية لايمكن توصيفه الا بأنه موقف انتهازى.

ويمكن أن نلمس بعض هذه السياسات فى جانبين على الأقل:

* التحول الذى أصاب دروس اللغة العربية لتصبح فى غالبيتها دروسا للدين، وبعد أن كانت هذه الدروس فيما قبل تبرز الأمجاد الوطنية وسير العلماء والمفكرين تحولت لتحث على مزيد من التدين مع أنه هناك دروسا بالفعل مخصصة لهذا الغرض.

* بدلا من تكريم طالب ابتكر جهازا، او استوعب نظرية علمية معقدة، نزلت ألوان التكريم على الطلاب من حفظة النصوص الدينية. ومع مافى مثل هذه السياسة من تغليب النقل على العقل وتكريم الاستظهار على حساب الابداع الفكرى فانها قد أدت الى نتيجة أخرى على الجانب القبطى..

ذلك انها قد فتحت الباب واسعا للمؤسسات الدينية لتستقطب صغار الشبان ليعكفوا على قراءة الكتب المقدسة ويتباروا فى تفسير آياتها، وينالوا بدورهم ألوان التكريم والمكافآت، «وما حدش أحسن من حد» وليدفع الوطن الثمن من وحدته التاريخية، فمن ذا الذى يهتم؟!

– نأتى بعد ذلك للمثقفين، يلفت النظر على وجه الخصوص من هؤلاء أصحاب المهن الحرة من صحفيين وأطباء ومهندسين وأساتذة جامعات.

ولما كانت الفئة الأولى من هؤلاء، الصحفيين، أشد هذه الفئات تأثيرا فان دورها فى خلق المناخ جدير بالرصد..

ربما يكون أظهرها فى هذا الدور تحول مجموعة من هؤلاء ،خاصة من أصحاب الأعمدة فى الصحف القومية ممن لم تكن لهم قبل الثمانينات أية توجهات دينية، ليتبنوا خلال هذا العقد تلك التوجهات ويصبحوا من أكبر دعاتها، ولانستطيع أن نصف هذا الانقلاب الا أنه موقف انتهازى على ضوء ماحصل عليه هؤلاء من مزايا كان أقلها الانتشار فى صحف دول البترول المحافظة، فى الوقت الذى كان يتعرض خلاله صحفيون آخرون لنيران المتطرفين لأنه لم يكن امامهم سوى أن ينبهوا للخطر المحدق بالوطن!

جانب آخر من الموقف الانتهازى لهذه الفئة من أصحاب المهن الحرة تبدى فى كتاباتها حول بيوت توظيف الأموال رغم انه كان لهم من ثقافتهم وتجربتهم مايؤكد خطورة الظاهرة على الاقتصاد الوطنى، غير أن المنافع الضيقة قد أعمت هؤلاء فسخروا أقلامهم للترويج لها بكل ماترتب على هذا الترويج من آثار وخيمة.

يتبع ذلك سائر الفئات من أصحاب المهن الحرة من الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات.

فقد نجحت بعض عناصر من هذه الفئات فى اضفاء الصبغة الدينية على نقاباتهم ونواديهم من خلال تنظيم جيد واستثمار سلبية الغالبية العظمى من أعضاء هذه النقابات والنوادى فى ممارسة حقها الانتخابى.

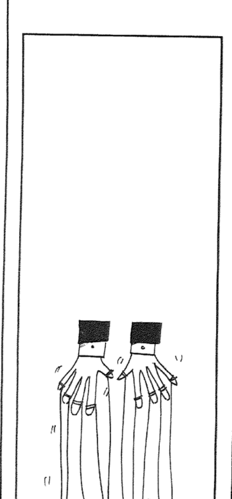
ويلفت النظر فى هذا النجاح أكثر من حقيقة، اذ تشير دراسة لاولئك الذين استولوا على العمل النقابى فى تلك الفئات انهم لم يكونوا فى أى وقت من أصحاب النشاطات الدينية المعروفة قبل الثمانينات

.. هذه واحدة أما الحقيقة الثانية فتؤكد على خطورة هذا النجاح بحكم مايشكله الأقباط من وجود قوى فى عضوية تلك النقابات لايتناسب مع نسبهم العددية، وما يستتبع هذا من أن تديين تلك المؤسسات المهنية لن يترتب عليه سوى توسيع الشرخ الحادث فى جدار وحدة الأمة.

– يبقى أخيرا الموقف الانتهازى للأحزاب السياسية، وهو موقف ليس فى حاجة الى رصد فان كمية التحالفات ومحاولة ركوب الموجة وتربية الذقون والانتقال من النقيض الى النقيض التى حفلت بها الثمانينات كانت تفوق تصور أى متابع لتاريخ الأحزاب السياسية فى مصر.

ماذا بعد؟

واذا كانت كل هذه العناصر قد ساهمت فى صناعة المناخ، واذا كانت هذه الدراسة القصيرة تسعى الى تسمية الأمور بأسمائها الحقيقية، فانه يبقى على كل الوطنيين الحريصين على أن تبقى مصر المحروسة محروسة أن يتحدوا هذا المناخ أولا ثم أن يعملوا على تبديده بعد ذلك، ولهم رصيد هائل من التاريخ المصرى، ودعم كبير من حركة التاريخ.!


بدون تعليق

حرية الفكر والأبداع بين رقابة الحكام .. وسيف الجماعات

هشام مبارك

في عام ١٩١١ صدرت لوائح التياترات؟ لتمثل قيدا على حرية الابداع، فبمقتضاها كان المسرح تابعا لوزارة الداخلية. فنصت هذه اللوائح على تواجد ثمانيه جنود وشاويش داخل المسرح لتنفيذ اوامر مدير الشرطة.. ويعد هذا التواجد الأمنى أول محاولة للرقابة على الفن والابداع، مستندة الى قانون فى القرن الحالى.

وبعد مضى ثمانين عاماً؟ لايزال نفق الظلام يخيم على النشاط الثقافى والفنى، ولاتزال حرية الفكر والابداع تحلق فى قفص الرقابة اللعين

ولاننا فى عصر «ديمقراطية الأنياب» فقد شاعت انواع متعددة من الرقابة. فهناك الرقابة على الصحف، واخرى على المسرح والسينما والتليفزيون، وثالثة على المطبوعات والكتب. وتتعدد اجهزة الرقابة فيوجد «مكتب الصحافة» فى وزارة الاعلام، وجهاز «مباحث امن الدولة» فى وزارة الداخلية، «وادارة الرقابة على المصنفات الفنية» فى وزارة الثقافة، ورقابة التليفزيون، وادارة البحوث والترجمة والنشر فى مجمع البحوث الاسلامية، وتتعدد شخوص الرقباء، فهناك الأشارات ذات اللون الاحمر والأخضر للسيد صفوت الشريف؟ وعساكر اللواء عبد الحليم موسى؟ وصكوك المنع والمنح للمستشار حمدى سرور؟ وعمامه الشيخ «جذر» فى مجمع البحوث.

ولأن الرقابة داء؟ مثل فيروس الكوليرا؟ فلم تعد ممارستها قاصرة على اجهزة الحكام فى بلادنا ؟ بل انتقلت الى طوائف من المحكومين أصيبوا بداء الرقابة على النشاط الفنى والثقافى وعلى الكلمة المقروءة والمسموعة. ففى الصعيد والجامعات تمارس بعض الجماعات التى تحمل اسم «الجماعات الاسلامية» دور الرقيب، بنشاط معهود. شاهرة فى وجه المبدعين، الشومة والجنزير، فضلا عن سلاح التكفير.

وبين رقابة الحكام، ورقابة الجماعات يدور هذا التحقيق.

ممنوع من الغناء

يفرض الحكام فى بلادنا رقابتهم على الفكر والأبداع، استنادا الى قوانين لقيطة، لاتنسب لها من الدستور او مواثيق حقوق الأنسان فقانون العقوبات، يعاقب بالحبس كل من «غنى» وأدى ذلك الى اثارة الفتنه، هذا هو نص المادة ١٠٢ من قانون العقوبات. ولايسأل القارئ عن الفتن، فهى خاضعة لتقدير الحكومة فأغنية تنتقد سياسة الحكومة أو مسئول فى الدولة قد تؤدى الى فتنه فى نظر حكامنا الا فاضل وبالقطع لايزال المثقفون يتذكرون بالالم تجربة فنان الشعب الشيخ أمام وشاعرنا العظيم أحمد فؤاد نجم ومحاكمتهم أمام المحكمة عسكرية ، والحكم على نجم، الذى قضى عاما داخل جدران السجن بسبب قصيدة «بيان هام من اذاعة شقلبان» التى انتقد فيها المغفور له السادات!

وقانون العقوبات ، ملئ بمواد عديدة، كفيلة بايداع أى فنان أو اديب او مفكر بداخل السجن ،فهو يحرم الآراء التى يمكن ان توصف بانها تشكل تحريضا على كراهية نظام الحكم أو أهانة السلطات او البرلمان، أو تشكل دعاية مثيرة للرأى العام.. وايا كانت الوسيلة المستخدمة فى ذلك الكتابة، الصور، الرسومات.. وحتى لو كانت هذه الوسيلة ايماء بالرأس أو اليد!!.. ويعاقب مرتكبو هذه الجرائم!!، بالحبس أو الغرامة ولم تكتف ديمقراطية السادات بالحبس فأضافت مبدأ جديدا هو المساءلة السياسية لرجال الفكر والكتاب امام المدعى العام الاشتراكى، ويمنح القانون المدعى الاشتراكى، حق مصادرة الأموال والممتلكات والتحفظ على الأشخاص واستبعادهم من قوائم الترشيح.

ويأتى قانون سلطة الصحافة ، ليمنع المواطنين من اصدار الصحف أو المجلات ، بفضل شروطه التعجيزية؟ وعندما اراد الأدباء والشعراء الافلات من براثن هذا القانون، باصدارهم «مجلات ونشرات غير دورية، بلغت نحو ٣٥ مطبوعة اصدر المجلس الأعلى للصحافة قرارا فى عام ١٩٨٧ بمنع صدور النشرات والمطبوعات غير الدورية الا بتصريح من المجلس، وهو لايمنح بالطبع مثل هذه التصريحات!!

ثقافة... ونكافة

وهكذا توالت محاولات حكامنا فى تضييق الخناق على حرية الفكر والأبداع، مستخدمة فى ذلك أسوأ التشريعات والقرارات. ولكن المشكلة لاتقتصر على قانون سئ السمعة، بل تتعداه، لتصل الى فهم المسئولين لمعانى مثل حرية الأبداع.

فالسيد وزير الثقافة فاروق حسنى وهو أكبر مسئول عن الثقافة فى البلد، لديه مفهوم خاص عن الأبداع وحرية الفنان ففى حوار معه فى جريدة الاهالى، عن سبب اعتراض رئيس هيئة المسرح لعرض مسرحية...

اجاب السيد الوزير نحن لاننتج فنا فقط.. بل ننتج توجهات وسياسات محددة.. المؤلف يكتب على مزاجه.. ونحن ننتج على مزاجنا!!.

اضاف : كيف انتج مسرحية، تشتمني وأدفع ثمنها.. أنا لا أدفع فلوس لتمويل مسرحية ضد توجهات الدولة!

ألا.. ولكن

ومفهوم الرقابة على الابداع لدى السيد الوزير، لم يكن اسعد حالا من السيد المستشار «حمدى سرور»، مدير الرقابة على المصنفات الفنية.. ففى حديث صحفى منشور قال المستشار «أن الرقابة ليست ضد حرية التعبير والفكر لكن على ألا تصطدم هذه الحرية بالمصالح العليا للدولة والمجتمع وعلى ألا يتجاوز النقد حدود المصلحة القومية العليا..»

واضاف: «ان الرقابة لست ضد الافكار السياسية لكن شرط الاتمس الانجازات السياسية العليا للدولة..» وهو ليس ضد حق الفنان فى أن يعتنق مايشاء من افكار. «.. ولكن عندما ننتج عملا فنياً، يجب ان يراعى الاتجاهات السياسية للدولة؟؟

والحق أن المشكله ليست فى السيد المستشار، انما فى «ألا» و«لكن» فهو مع حق الفنان فى أن يبدع شرط «الا» يتجاوز، فاذا حدث اوجب- رغما عن ارادة السيد الرقيب- اعمال حكم «لكن»، لذلك يصدر قرار منع العمل الفنى!!.

ونحمد الله أن الرقيب السابق السيدة «نعيمة حمدى» لم تستعمل قط «الا» و«لكن» وان كانت فترة ولايتها لاتختلف فى شئ عن من تلاها.. فقرارات المنع والحذف «على ودنه» كما لاتختلف مفاهيم الرقابة لديها عن السيد المستشار.

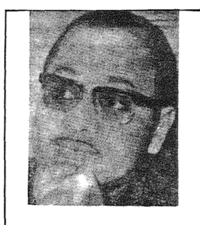
فمهمة الرقابة، كما تراها هى فى «.. حماية أمن وسلامة البلاد والنظام العام...!!

عليكم السلام

ولأن من انتقدنا، فليس منا، وفقا لرأى الرقيب الحالى، عملا بالقول المأثور لرئيسه السيد الوزير» نحن ننتج على مزاجنا» أصدر سيادته قرارا بمنع عرض مسرحية «عليكم السلام» رغم أن الرقابة سبق وأن وافقت على النص وأتمت الفرقة ٥٤ بروفة، لحجة تعارضها مع مصالح الدولة اياها.

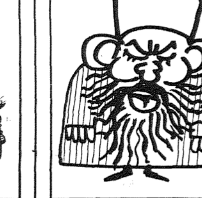
وحذفت الرقابة عددا من مشاهد فيلم «زوجة رجل مهم» و«البرئ» وتغيير نهاية الأخير، حفاظا على توجهات دولة الوزير.

كما تم ايقاف مسرحية «ملك الشحاتين» ورفضت الرقابة سيناريو فيلم «يحدث الآن» للمؤلف يوسف القعيد والمخرج منير راضى لأن الفيلم مسئ للنظام، حيث تناول قضية المعونة الامريكية، وما تطرحه من تداعيات التبعية وخلافه.



يوسف القعيد

د . عمر عبد الرحمن



كما رفضت سيناريو فيلم «رجل من الحى السادس» لعبد الحى أديب لأنه يتناول قضية تطرف الجماعات الأسلامية؟ ومساعده السلطة لها فى بداية السبعينات

ورفضت كذلك سيناريو فيلم «يوم مقتل زهدى» عن استشهاد «شهدى عطية» فى السجن فى فترة الستينات نتيجة التعذيب.

كما رفضت فيلم «هروب» للمخرج عاطف الطيب، ويتناول قضية الحريات العامة داخل المجتمع.

ياتلفزيون... يا

أما ماسبيرو، فالضحك «للركب» لأن الرقابة ثنائية فالعمل الفنى عندما يكون نصا يعرض على رقابة قطاع الانتاج فأذا أجازها، يتم التصوير. ثم يعرض العمل الفنى بعد ذلك على رقابة التليفزيون، وهى شئ آخر وقد تجيز العمل أو العكس.

وفى حالة عدم التصريح بالموافقة على العمل الفنى بعد تصويره، يصبح ممنوعا من العرض.. فبعد التكاليف الضخمة والجهد يكون مصير هذا العمل فى الأرشيف فمسلسل «فدائيون فى الاسلام» لم تجزه رقابة التليفزيون حتى الان كذلك مسلسل «تمساح البحيرة» وغيرها من المسلسات والأفلام والمسرحيات وأحيانا يعرض العمل الفنى بعد حذف عدد من المشاهد مثل ماحدث مع مسلسل «ليالى الحلمية»

وفى حالة شراء ماسبيرو لبعض الأعمال الفنية من افلام ومسرحيات تكون الرقابة هنا رباعية فهذا العمل الفنى «شبع» رقابة فهو يعرض على الرقابة عند نشره فى كتاب،



والثانية لأخذ موافقة المصنفات الفنية، والثالثة بعد اعداده كنص مسرحى وتصويره كفيلم وقبل العرض على الجمهور، والرابعة يعرض على الرقابة التليفزيون قبل أن يعرض على الشاشة الصغيرة

والطريف وجود عدد من الأفلام والمسرحيات سمحت الرقابة على المصنفات الفنية بعرضها على الجمهور واشتراها ماسبيرو و لم يعرضها لرفض رقابة التليفزيون عرضه فى الشاشة الصغيرة!!

أولاد حارتنا

ومن منع المسرحيات والأفلام الى مصادرة الكتب والروايات ياقلبى لاتحزن فالمصير واحد هو أرشيف الرقابة والقائم على شئون المصادرة وفقا لقانون المطبوعات مجلس الوزراء اذا كانت هذه الكتب «مثيرة للشهوات» أو التى تؤدى الى «تكدير السلم العام» أو «الأخلال بالنظام العام» اما الصحف والمجلات التى تصدر فى الخارج، فمصادرتها من شئون وزارة الداخلية، وقد يعجب القارئ من ان كلمات وسطور فى بعض الكتب والمجلات ستؤدى الى «تكدير السلم العام»!!

ومن أجل الحرص على صيانة «النظام العام»، والحفاظ على قيم المجتمع وحمايته من الكتب ال «مثيرة للشهوات» قامت اجهزة شئون المصادرة فى الحكومة بمصادرة «٥٦» كتابا فى الاونة الأخيرة، وأشهرها «سوسولوجيا الفكر الأسلامى» د. محمود

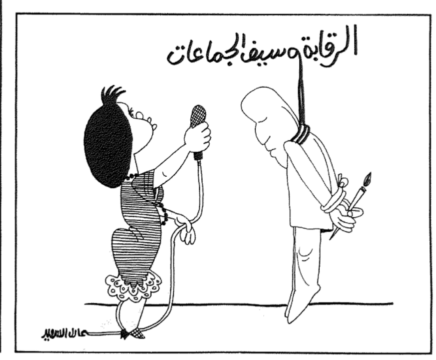
الشيخ جزر يأمر بالمصادره



اسماعيل و«رسائل جهيمان العتيبى» د. رفعت سيد أحمد.. فضلا عن استمرار حظر «الشعر الجاهلى» و«الاسلام وأصول الحاكم» وفى مجال الأدب لازالت رواية «أولاد حارتنا» قيد الحظر رغم عدم وجود قرار بالحظر منذ عام ١٩٥٩ وبالرغم من نشرها فى بيروت عام ١٩٦٧.

فتاوى الشيخ عمر

وكان الأزهر، متزعما للحملة المطالبة بوقف نشر الرواية عام ١٩٥٩. وفى عام ١٩٨٩ عندما حاولت جريدة «المساء» اعادة نشرها على حلقات تصاعدت الحملة مرة أخرى وأذعنت الجريدة وأوقفت النشر. والطريف ان د. عمر عبد الرحمن، أفتى باهدار دم «نجيب محفوظ» باعتباره كافرا، لأنه لم يعلن توبته بعد أن كتب هذه الرواية.



ان معركة «أولاد حارتنا» كشفت للعلن عن جهازين رقابيين الأول الأزهر كان دوره فى فرض الرقابة محدودا فيما مضى، والثانى، جهاز د. عمر عبد الرحمن وجماعته، ويمارس هذا الجهاز رقابته بدأب فى أقاصى الصعيد وفى الجامعات المصرية.

فالأزهر كان يمارس رقابته استنادا للقانون رقم ١٠٢ سنة ١٩٨٥ الذى أتاح لمجمع البحوث الأسلامية التابع له، سلطة الرقابة على كتب القرآن والسنة. وفى الآونة الأخيرة، شهدت الساحة الفكرية والفنية توسعا متذايدا لرقابة الأزهر على أعمال لاعلاقة لها بالقرآن والسنة. ويرجع هذا الفضل الى همة الشيخ «جزر»...

نأمر بالمصادرة

ففى شارع الطيران بمدينة نصر، تقبع ادارة البحوث والترجمة والنشر التابعة لمجمع البحوث الاسلامية، وفى احدى الحجرات الفخمة يجلس شيخ جليل يدعى الشيخ جزر، ممسكا بيده قلما مؤشرا على احدى الروايات أو الكتب بعبارة مكونة من كلمتين «....نأمر بالمصادرة..»، ويرسل الكتاب بالتأشيرة السابقة ألى مدير ادارة المباحث للمصنفات الفنية لتنفيذ القرار.

والشيخ جزر وغيره من شيوخ مجمع البحوث، تخطوا اختصاصهم فى الرقابة على كتب القرآن والسنة، ومارسوا هوايتهم فى مصادرة كتب فكرية فسبق وان اصدروا قرارا بمصادرة كتاب «الاسلام والقرن الهجرى الخامس عشر»، ثم حكم القضاء ضد قرار المصادرة.. بعد ان تبين أن حيثيات صدور القرار لاصلة لها بالأمور الدينية، بل لأسباب فكرية..

ومن الكتب المصادرة بناءا على قرارات من الأزهر

* مواجهة الفكر المتطرف فى الاسلام
* قضية الحكم بما انزل الله
* فتنة العصر الحديث
* أبو هريرة
* المسلمون العلويون فى مواجهة التجنى

وفى السينما، رفض الأزهر سيناريو فيلم «عتبة الستات» بعد أن أرسلته اليه الرقابة على المصنفات الفنية، بزعم وجود بعض التفاصيل فى الفيلم تتعلق بأمور دينية، وفكرة الفيلم تدور عن رجل لاينجب ويخفى الأمر عن زوجته، فتضطر للجوء الى الدجال.



ولايزال الأزهر، رافضا عرض مسلسل «ابن خلدون» فى التليفزيون الذى يتناول قصة حياة ابن خلدون

وفى مارس ١٩٩٠، قامت مباحث المصنفات الفنية بمصادرة رواية «مسافة فى عقل رجل» بناء على مذكرة من مجمع البحوث بدعوى أن الرواية «تحتوى الحادا وكفرا وانكار للأديان» وطلب الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بمحاكمة مؤلف الرواية وفقا للمادة ٩٨ من قانون العقوبات، والتى تصل عقوبتها الى ٥ سنوات، والرواية صدرت فى ابريل سنة ١٩٨٨ وقامت مؤسسه الاهرام بتوزيعها.

هل أنت عقلانى

ويصاحب قرارات المصادرة الصادرة عن الأزهر، بلاغات الى النيابة للتحقيق مع مؤلفى هذه الكتب والروايات وقد تم التحقيق مع مؤلف رواية «مسافة فى عقل رجل» أمام نيابة امن الدولة، واستمر حبسه فى سجن طرة لأكثر من ٤ شهور، وأفرج عنه بكفالة مالية، ولازالت قضيته منظورة امام القضاء.

وقد لفت نظر المراقبين، الأسئلة التى وجهتها النيابة للمؤلف ونطرح هنا بعض الأسئلة التى طرحها المحقق بدون تعليق، على أن يستخلص القارئ مايراه، وعلاقة هذه الأسئلة بحرية الفكر والأعتقاد.

س: هلى أنت عقلانى

ج:..........

س: ماهو مفهومك عن الدين؟

ج:..........

س: ومارأيك فيما جاء بكتابك باللف والدوران الى أن تصل الى المادية المدمرة، و تصبح قطبا من اقطاب المادية، وقد ضمنت هذا فى إحكام وفى صور خيالية وجنسية واضحة، وخضت فى جميع الرسل والاديان، بتعمد عرض ارائك الشيوعية المادية؟

ج:..................

س:هل أنت تقوم بالدعوى للمذهب العلمانى؟

ج:..................

نكون أو لا نكون

واذا كان مصير مؤلف «مسافة فى عقل رجل» السجن، فمصير د. فرج فودة مؤلف كتاب «نكون أولا نكون» أسعد حالا، حيث أخلت نيابة أمن الدولة سبيلة بضمان محل اقامته، بعد أن حققت معه فى بلاغ الأزهر، الذى قام بدوره باصدار قرار بمصادرة كتاب د. فودة الجديد.



القانون يحبس من غنى فأدى الى إثارة الفتنة!!

وتعود قصة الكتاب الى عام ١٩٨٨، عندما نشبت معركة فكرية، على صفحات الأهرام بين «فهمى هويدى» والمستشار «سعيد العشماوى» حول كتاب الاخير «الاسلام السياسى» واثناء المعركة بعث شيخ الأزهر، برسالة عنيفة الى «فهمى هويدى» يؤيده فيها ويعنف الفريق الأخر، الذى يعد . فرج فودة أحد فرسانه، ووصف شيخ الأزهر هذا الفريق ب «.. تجار أو بئة الفكر ومروجى أحاديث الافك..» وردا على مقال شيخ الازهر اعتلى د.فرج فودة قلمه وكتب مقالا لايقل عنفا عن عنف شيخ الأزهر وبعث به الى جريدة الاهالى، ونشر فى ١٩٨٨ وعندما شرع د. فرج فى اصدار كتابه الجديد ضمنه هذا المقال.. وفجأة وبعد مرور عامين على نشر المقال فى الاهالى تقدم الأزهر ببلاغ ضد الدكتور . فرج فودة أم النيابة بعد أن أصدر قرار مصادرة الكتاب

وتمثلت الاتهامات فى «اهانة شيخ الأزهر» وعدم سبق اسمه بلقب «فضيلة» وسيل آخر من الاتهامات تنتهى بالتكفير.

الثقافة عدو الله

واذا كان الأزهر يمارس الرقابة على حرية الفكر والأبداع، وفقا لقانون حتى لوكان سيئ السمعة، فان الجماعات الاسلامية تمارس هذا الدور بدون سند من القانون، اللهم الاقوة الجنزير وفتاوى قياداتهم.

فهناك الكثير من الحفلات والمسرحيات التى منعتها الجماعة فى الكليات والمعاهد بدعوى انها حرام، وفى الصعيد عندما أرادت فرقة «ساحل سليم» المسرحية، لتقديم مسرحيتها فى قرية «كدوية الزار» فى اسيوط، تجمع المجاهدون من أعضاء الجماعات ومعهم ميكرفون المسجد. وأعلن أميرهم على رؤوس الأشهاد، بتحريم التمثيل، وكفر من ألف المسرحية ومن أخرجها ومن مثلها الى يوم الدين.

ولكن هذا المفتى الغيور، لم يترك فرصة للمذنبين للتوبة بل أصدر فتواه، مشفوعة بالتنفيذ الجبرى، فارتفعت الجنازير وعلت الشوم، وصاح الجميع «لا اله الا الله» «الثقافة عدو الله»

وسقط من سقط، وجرح من جرح، لكن تناسى الجميع أن يضمنوا كشف الضحايا.. مصرع حرية الفكر وحق الابداع... ودمتم..

يوليو وطه حسين
خصومة زائفة..!

عبلة الروينى

«قضايا وشهادات» أحدث كتاب دورى صدر عن «دار عيبال» بقبرص تضم هيئة تحريره (عبد الرحمن منيف، سعد الله ونوس، جابر عصفور، فيصل دراج).

وبقدر عقلانية البدايه التى خصصت عددها الاول لطه حسن تحت عنوان (العقلانية- الديمقراطية- الحداثة) فان الدراسة التى كتبها سعد الله ونوس بمثابة تقديم للكتاب وافتتاحية لهويته الليبراليه شابت الخصومه بين سؤال ثورة يوليو وسؤال التنوير الى الحد الذى دفع بالكاتب الى فرض القطيعه بين السؤالين فى اجابه فاصله بتهميش ثورة يوليو- ضيقه الافق- لفكر طه حسين ودوره وفاعليته كمثقف [اوائل الخمسينات وحين كان يفترض ان يزدهر مشروع طه حسين، ويتنامى فى الممارسه الثقافية والنضاليه نجد انه دفع الى زاويه مهمله، فخفت صوته وخبا ضوؤه، وسنه بعد سنه كان مشروعه يصبح كالذكريات الدارسه وكانت القيم التى بشربها ودافع عنها تغيب وتهمش مع تاريخ كان ثمه اصرار على القائه والافتراق عنه]

ويبرهن سعد الله ونوس على التعارض الجذرى بين موقف الثورة وموقف طه حسين «بالمسأله الديمقراطية» والتى دفعت بالثورة للتناقض مع كل فكر تنويرى [بدأت الثورة تطفىء الاضواء حول طه حسين وتدفع به وبمشروعه الى ظل مهمل، ثم زاد الظل كثافه حين بدأت ثورة يوليو وبمنهجيه دؤوبه تمحو التاريخ الذى سبق انطلاقتها، فتشوه اعلام الحركه الوطنيه وتخفى الحيويه السياسية والثقافية التى عرفتها مصر قبل الثورة]

...

* هل ثمه خصومه حقيقيه وقطيعه جذريه بين طه حسين وثورة يوليو؟
* هل كان سؤال التنوير سؤالاً فكرياً مجرداً أم كان سؤالاً اجتماعياً بالضروره؟
* مامدى امكانيه «النموذج الفكرى» على احتواء مشروع تنويرى لمجتمع باكمله؟
* الديمقراطية مفهوم إطلاقى ام تختلف اشكالها ودلالاتها تاريخياً واجتماعياً؟

تلك اسئله اشكاليه تتعدد اجاباتها باختلاف زوايا النظر اليها، وباختلاف شروط الواقع والتاريخ.... ولهذا تجىء دراسة سعد الله ونوس رؤيه احاديه قاصرة من حيث تجاوزت طبيعه السؤال الاشكالى الى اجابه مطمئنه سعياً وراء انصاف طه حسين من ظلم التاريخ الثورى ليوليو.. وبين الظلم والانصاف ثمه افتعال لخصومه زائفه.

مجانية التعليم... الشعار والتحقق

بينما أطلق الضباط الاحرار اسم (الحركة المباركه) على انطلاقتهم كان طه حسين أول من منح لها اسم الثورة، مؤكداً فى مقال له بجريدة الاهرام (أغسطس ١٩٥٢) ان الجيش قد استجاب للمطالب الحقيقية للشعب [وما اشك ان ثورتنا هذه القائمه هى ثورة اصيله لايكفيها ان تسقط حكومة وان ينفى ملك، وانما سقوط حكومه ونفى الملك عندها وسيله لاصلاح اعمق واكمل واشمل].

وفى ١٩٥٣ يؤكد انها ثورة تسعى (لتحرير العقل) وفى ١٩٦٢ يشيد بالتربيه السياسية التى احدثتها ثورة يوليو [ليس من الغلو ولا من السرف ان اقول ان مصر مدينه بهذه التربيه السياسيه للثورة ولرئيس الجمهورية خاصه] ومصمماً فى معظم مقالاته على وصف عبد الناصر «بمربى الشعب».

[ولعل كتابيه (هؤلاء هم الاخوان) ١٩٥٤، و (العدوان الثلاثى على مصر) ١٩٥٦ ثم كتاباته السياسية العديدة فى جريدة الجمهورية نماذج لانتاجه الدائم لايديولوجيه يوليو التى لم تطالبه يوما وما كان لها ان تفرض على المفكر الليبرالى الكبير ان يحارب معاركها معركه بعد اخرى طوال تاريخها وتاريخه.

.....

[عندما نادى طه حسين بالتعليم كالماء والهواء واضعاً فى كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» ١٩٣٨، صياغته النهضويه للعدل المعرفى وديمقراطية التعليم كحق لكل مواطن، مقترحاً اسسه الاولى للاصلاح بالزاميه التعليم الاولى كركن اساسى من اركان الحياة الديمقراطية الصحيحه، والقضاء على ثنائيه التعليم: وتحرير الازهر من سلطته الكهنوتيه وتثقيفه بالثقافة الحديثه (حتى لايكون دوله داخل الدولة وسلطانا خاصاً يستطيع ان يطاول السلطان العام وينا ه) مطالباً بفصل الدين عن الدولة وسيادة الوعى المدنى.. ففى مواجهة «القبله المطهره» كمحور لقوميه الوعى الدينى السلفى، طرح طه حسين «القوميه الوطنيه» كنموذج علمانى تتحقق من خلاله الهويه الحضارية المصرية فى انتمائها لحوض المتوسط وللثقافة الغربية.

[كان طه حسين فى «مستقبل الثقافة فى مصر» يصيغ الشعار التنويرى ويضع الخطوات الاولى للاصلاح العقلى والتى جاءت ثورة يوليو لتحققه بل وتتجاوزه فى خطوات ابعد واكثر عمقاً، وهو ما دفع بطه حسين فى (١٩٦٧/١/٣٠) فى حوار مع سامح كريم- الى الاعتراف بان كتاب «مستقبل الثقافة فى مصر» يستوجب اعادة النظر بعد ان اصبح التعليم الجامعى مجاناً.

تجاوزت الثورة احلام طه حسين فى العدل المعرفى باعلانها «مجانية التعليم» ليس فقط فى مراحله الاوليه بل فى كل مراحله المختلفة بما فيها التعليم الجامعى وهو ما استلزم التوسع فى التعليم المدنى وزيادة حجم المدارس والجامعات ودور العلم المختلفه الى الحد الذى تطلب بناء مدرسة جديدة كل سته ايام.

واذا كان برنامج طه حسين التعليمى ظل



عبد الناصر يسلم د. طه حسين جائزة الدولة التقديرية.

برنامجاً فلسفياً ثقافياً خص فيه الدراسات الانسانيه والادبيه وحدها بشرف الانتماء للجامعة. مستبعداً مدارس الهندسه العليا والزراعة والتجارة من دخول الجامعة والتى ظلت لديه حكراً على الصفوه المختارة.. فان الربط الذى احدثته ثورة يوليو بين المنهج العلمى وبرامج التعليم وبين التنميه الاجتماعية كان انجازاً ثقافياً واجتماعياً فى آن واحد.

وبالغاء الثورة لثنائية التعليم تم توحيد المناهج فى المدارس الحكومية والخاصة والغاء الاشراف الاجنبى على المدارس الاجنبيه، والغاء مايسمى بكهنوت المعرفه على المستوى الدينى باعلان قانون تطوير الازهر (يونيو ١٩٦١) وتحويله الى جامعة عصرية تشمل مختلف فروع العلم والمعرفه.

ولم يكن قانون تطوير الازهر مجرد اجراء تعليمى بقدر ما كان خطوه لتحديث ابنيه الوعى وتأكيد مقوله منهج العلم ومنهج العقل، وهو الخطوه العلمانية لفصل الدين عن الدولة وتقليص السلطة الدينية العليا...

ولهذا قامت الثورة بالغاء الاوقاف والمجالس المليه والحسبية والمحاكم الشرعيه مما خلص القضاء المصرى والمحاكم المدنيه من جمود احاط بها فى ظل تطبيق الشريعه.. وهو ما اعتبره فتحى رضوان اعظم انجازات الثورة لمصلحة الجماهير.

بناء الدولة المصرية والمجتمع المدنى المتقدم فى ظل ثورة يوليو، كما كان ارساء القاعدة الصناعية دعامة عقلانية اخرى للبناء التقدمي.

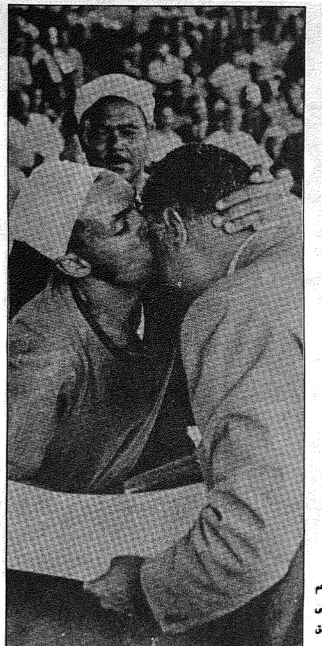
بدأ المشروع التنموى بكسر التبعيه واستقلال مصر السياسى والاقتصادى.. وفى يناير ١٩٥٧ صدرت قوانين تمصير البنوك وشركات التأمين والوكالات التجارية، وتم تأميم وسائل الانتاج (قوانين ٦١ الاشتراكية) وتصنيع وتحديث الاقتصاد على اساس مبادىء التخطيط.. ولقد كانت فكرة التأميم التى استولت على عبد الناصر وليده رغبة فى التغير الاجتماعى لصالح الطبقة العاملة التى وجدت الحماية الكافية من جانب التشريعات القانونية.

ارسى المشروع التنموى اللبنات الاولى للقاعدة الصناعية بعدد من المشاريع العملاقه (الغزل والنسج، الترسانه البحرية بالاسكندرية، مجمع الالمونيوم، الصناعات الكيماوية، مصانع الكوك مجمع الحديد والصلب والذى يعد احد الاتجاهات الهامه لتطور الصناعة مما مصر.

ويبقى السد العالى اعظم مشروع تنويرى عرفته مصر الحديثه.. فعندما صفق عمال السد فى اسوان (١٩٦٦) لبالية (نافوره باختشى سراى) بحماس لم تستقبل به الفرقه فى القاهرة كان هذا المشهد اكثر من دال على ما احدثه المشروع العقلانى والانجاز الهندسى والمائى الضخم من تغيرات فى قيم المجتمع الاجتماعية والثقافية.. وليكون السد بهذا المعنى موقفاً تنويرياً.. فالتنوير كما يرى- كانط- ابرز وجوه التنوير فى الفكر الالمانى هو (تحرر الانسان من احساسه بانه من الاقليه، تلك الاقليه التى لاترجع اصلاً الى انعدام الفهم وانما الى انعدام التصميم وانعدام الشجاعه على استخدام الفكر).

...

ولان كل تنميه مشروطه بعمق ثقافى، وكل ثقافة هى بعد من ابعاد التنميه فقد فهمت الثورة الثقافة كجزء من المشروع التنموى القائم على حقيقة اساسية هى الكفاية والعدل. فكانت قصور الثقافة فى المحافظات والمدن والقرى، وكانت المؤسسات الثقافية الضخمة (اكاديمية الفنون- مؤسسة السينما- مؤسسة المسرح) ودور النشر المختلفة التى شهدت حركة انتاج واسعه من اهم واجباتها احتضان المشروعات الثقافية الضخمة كالترجمة ودوائر المعارف والمعاجم والسلاسل الثقافية.



تلاحم حقيقى وعميق

طرحت الثورة اشكالية الهوّية متجاوزه الطرح الدينى السلفى للقوميه الاسلامية، ومتجاوزه الانتماء المتوسطى الغربى كهّويه عقلية للوعى المدنى فى اطروحه طه حسين محددة (القومية العربية) كمحور قومى للوعى المدنى.

لقد مدت الثورة بصرها عبر سيناء تعلن منذ بدايتها هوّيتها العربية.. وهو مانص عليه دستور (يناير١٩٥٦) من ان (الشعب المصرى جزء من الامه العربية) وهو ما اكده جمال عبد الناصر من خلال مواقفه وفى كل خطاب له من ان (عروبة مصر ليست مسألة سياسية ولا مسألة تكتيكيه، وانما عروبة مصر قدر ووجود وحياه).

عقلانيه الصيغه الاجتماعيه

اذا كان التنوير فى مفهومه الاشمل يقوم على احترام العقل وتأكيد حريته فى اكتساب المعرفه وتطويرها وتحقيق المجتمع المدنى الديمقراطى، فان الصيغة الاجتماعية بذلك تبقى هى التجسيد الاعلى لعقلانية المشروع التنويرى.. ولهذا كان التعليم ومنهج العلم وديمقراطية المعرفه دعامة عقلانية اساسيه فى

[وفى ٢٥ ابريل ١٩٦٨ كان خطاب عبد الناصر فى جامعة القاهرة يشكل حدثا ثقافياً حدد خلاله دور المثقف وفاعليته فى التزامه (بالارتقاء بالحياة عن طريق المشاركة فى العمل والتوجيه السياسى والفكرى) وهى الوضعية التى اعتبرها د. فؤاد مرسى (العصر الذهبى للمثقفين على اختلاف اتجاهاتهم الثورية والاصلاحية). وقد آمن د. ثروت عكاشه طوال عمله كوزير للثقافة على مدى ٨ سنوات بان الحرية ليست حق الكتاب والفنانين والمفكرين فحسب بل هى واجبهم ايضا لانها وظيفتهم فى المجتمع.. وهنا يؤكد د. لويس عوض- احد وجوه التنوير المصرى (الاهرام ١٩٧٩) (ان وزارة الثقافة فى قمة المركزية الناصرية لم تفرض وصايه على فنان أو أديب بل تركت اكثر الزهور تتفتح......لقد كانت اكثر المسرحيات حتى قبل هزيمة ١٩٦٧ وفى قمة المركزية الناصرية تتضمن نقداً صريحاً او مغلفاً للتجربة الناصرية سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً او حضارياً ومع ذلك فقد كانت وزارة الثقافة بالذات والدولة بصفة عامه تقف منها موقف الحياد ما امكن ولو كانت تمارس ايه وصايه متزمته لما سمحت (بطوفان) نعمان عاشور المتهكم بصديق الفقراء، ولا (الفرافير) يوسف ادريس المتهكمين باشتراكية عبد الناصر ولا (بشبراوى) سعد وهبه وهو رجل مصر المريض ولا (بتبريزى) الفريد فرج وهو بائع الاحلام ولا (باوديب) على سالم المعزول عن شعبه منذ هزيمة مصر انئذ بل ولو كانت الدولة فى ظل المركزية المطلقة وملكية الصحافة تمارس الوصايه على الفن والادب لما استطاع نجيب محفوظ ان ينشر عبر السنوات (أولاد حارتنا) او (السمان والخريف) او (ميرامار) او (ثرثره فوق النيل) او (الطريق) او (الشحاذ) وكلها تتضمن وصفاً حيا للعاهات النفسيه والتشوهات الخلقيه التى ملأت مصر منذ ثورة ١٩٥٢).

ديمقراطية قطعه الارض

تبقى المسألة الديمقراطية هى اشكالية مضاعفة فى النظر الى ثورة يوليو، اشكالية المفهوم واشكالية اخرى فى فهم الثورة له.

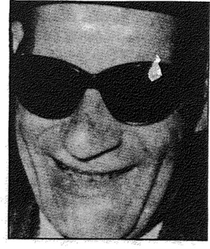
ومفهوم الديمقراطية اشكالياً لايستطيع احد تجريده ونزعه من دلالاته المختلفة تاريخياً واجتماعياً فى حكم اطلاقى يستند على اجابة نهائيه.. فهناك اكثر من شكل ديمقراطى واكثر من دلاله ديمقراطية يحكمها

سؤال اساسى: الديمقراطية لمن؟

[وتقع دراسة سعد الله فى اطلاقية المفهوم الديمقراطى دون ادراك واع لشرطها التاريخى فى ثورة يوليو مع اغفال متعمد لتداخل مراحلها الثورية والتحررية.. مؤكدا فى تهكم واضح عداء الثورة للديمقراطية [لم تخف ثورة يوليو ومنذ شهورها الاولى نفورها من الاحزاب والعمل السياسى الشعبى والديمقراطية التى كانت تضيف اليها وصف الفاسده.. وفى هذا السياق هب الشعب فى مظاهرات حاشده (!) تطالب بحل البرلمان والغاء الحياة النيابية، وفى هذا السياق ايضا اذيع يوم (١٧ يناير ١٩٥٣) بيان من القائد العام للقوات المسلحة يعلن فيه [حل الاحزاب ومصادرة جميع اموالها لصالح الشعب بدلاً من ان تنفق فى بذور الفتنه والشقاق) كذلك اعلن البيان فترة انتقاليه مدتها ثلاث سنوات (حتى نتمكن من اقامة حكم ديمقراطى دستورى سليم).. ثم توعد البيان بان لن يسمح منذ اليوم باى عبث أو اضرار بمصالح الوطن وسيضرب بمنتهى الشده على كل من يقف فى طريق الاهداف التى حققتها الام الشعب الطويله) وبهذا الوضوح السافر اعلن الضباط الاحرار موقفهم من الديمقراطية]

هل كان موقف الضباط الاحرار موقفا من الديمقراطية ام موقفا من ديمقراطية بعينها صاغت الحياة السياسية لشعب حرم من حقه فى التعليم والعلاج والمسكن ليوفر الغطاء الشكلى لدفع ممثلى الطبقة المتحكمه الى قاعات البرلمان. «وفى نفس الوقف اقتصر دفع ضريبة الدم للدفاع عن الوطن على الطبقة التى كانت عاجزة عن دفع ثمن الخلاص من الجندية وهى تتمثل فى عشرين جنيها كانت

د. طه حسين



تسمى (البدليه) وكأن شرف الدفاع عن الوطن قد اقتصر على الطبقة التى ليس لها حق التملك فيه).لقد فقد حق التصويت قبل الثورة قيمته حين فقد اتصاله المؤكد بالحق فى لقمة العيش ولهذا رفضت الثورة ديمقراطية الواجهات الدستوريه التى لاتحتوى على اى مضمون اقتصادى.

وهنا نتسأل مع محمد حسنين هيكل (ايهما اقرب الى جوهر الديمقراطية ان تكون للفلاح ارض يملكها او ان يكون له مجرد تذكرة انتخابيه يستعملها فى واقع الامر نيابه عنه ذلك الاقطاعى مالك الارض؟)

لقد فهم طه حسين (فى مستقبل الثقافة فى مصر) الديمقراطية كسؤال اجتماعى (وما اظن الديمقراطية تستطيع ان تكفل غرضا من هذه الاغراض للشعب اذا قصرت فى تعميم التعليم الاولى واخذ الناس جميعا به طوعا او كرهاً فلاجل ان تكفل الديمقراطية للناس الحياة يجب قبل كل شىء ان تكفل لهم التعرف على هذه المذاهب المختلفة التى تمكن الفرد من ان يكسب قوته دون ان يلقى فى ذلك مضاره أو عنتاً ومن الطبيعى ان الحياة التى يجب ان تكفلها الديمقراطية انما هى الحياة القابلة للتطور والرقى من ناحيتها المادية ومن ناحيتها المعنوية).

وهكذا ايضا فهمت ثورة يوليو فكانت (العداله الاجتماعية) موقفا ومضموناً ديمقراطياً اصيلاً.. ونص قانون الاتحاد الاشتراكى ودستور (١٩٦٤) على ان نصف اعضاء مجلس الامه والمجالس الشعبيه من العمال والفلاحين..ولاول مرة فى التاريخ المصرى يدخل مجتمع ال ٩٩,٥٪ برلمان ال ٥,٠٪ ولكن بعد ان اعادت الثورة الاعتبار للمجتمع الهامشى وردت اليه حقه فى الحياة والوطن.

فى مشروع الصيروره التاريخى ثمه تناقضات عديده تسمح باختلافات حاده لكنها لاتسقط حقائق التاريخ أو تتجاهله.

واذا كنا اليوم ودون ادعاء للحكمه باثر رجعى ندرك ان الثورة . وبفعل غياب دولة المؤسسات الديمقراطية القادرة على حماية انجازاتها. وبفعل التحولات التى احدثتها الثورة المضاده فى السبعينات قد اخفقت فى اكتمال مشروعها التنويرى فان اجراءاتها الاجتماعية. التى احدثت بالفعل تغيراً فى بينه الوعى المصرى والعربى ومنهجية فعلها التاريخى تسمح لنا باعاده طرح سؤال الثورة باعتباره سؤال الحاضر.. وسؤال المستقبل ايضا.



الفلسطينيون يساندون العراق فى مواجهته للغرب.. وليس فى احتلاله للكويت

غسان الخطيب

ان عمر اهتمام الدول الغربية الصناعية بمنطقة الخليج العربى من عمر اكتشاف البترول فيها، كما ان مقدار اهميتها بمقدار اهمية البترول لتلك الدول. ولايمكننا كفلسطينيين وعرب ان نعزل التطورات الاخيرة هناك عن هاتين الحقيقتين.

وبعد وضوح صعوبة استمرار بريطانيا ودول غربية اخرى، بينها الولايات المتحدة، فى ضمان مصالحها البترولية فى الخليج العربى بواسطة السيطرة العسكرية المباشرة عمدت الى دعم انظمة حكم فردية دكتاتورية لاتتمتع باى قاعدة شعبية. ولكنها تستند فى قوتها واستمرارها الى تحكمها بالثروات النفطية الهائلة وبالتسليح والحماية من بعض الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة.

ولقد شهدت المنطقة العربية مناسبات عديدة تعارضت فيها سياسات هذه الانظمة مع مصالح الشعوب العربية كان ابرزها شعور فلسطينى وعربى عام بتقصير هذه الانظمة فى استخدام مقدرات بلادها الاقتصادية فى خدمة القضية الفلسطينية من خلال امكانية استخدام سلاح الضغط الاقتصادى على الغرب بسبب استمرار دعمه لاحتلال اسرائيل لاراض عربية.

وكانت المناسبة الاولى التى حاولت فيها الدول البترولية العربية استخدام سلاح النفط للضغط السياسى عام ١٩٧٣. عندما فرضت هذه الدول حظرا على تصدير البترول للدول الداعمة لاسرائيل. ولكن وعلى اثر ذلك قامت الولايات المتحدة والدول الغربية الاخرى باتخاذ عدة تدابير لمنع امكانية تكرار ذلك. ومنذ ذلك الحين نجح الغرب فى فرض كميات الانتاج والاسعار بما يتلاءم مع مصالحه الاقتصادية، وقد لعبت العربية السعودية صاحبة اكبر احتياطى الدور الاساسى فى تحقيق ذلك عبر السنين.

اما المناسبة الثانية التى هددت بزعزعة الاستقرار «فى منطقة الخليج فكانت ثورة الخمينى فى ايران. والتى ادت الى وجود نظام حكم جديد تميز بعدائه للغرب وبمحاولته للحد من تحكم الغرب فى السياسة البترولية فى المنطقة ولكن سرعان ما بدأت حرب ضروس بين ايران والعراق ادت الى إرجاء الخطر من كلا الدولتين القويتين على المصالح الغربية المستقرة فى الخليج.

وعلى مايبدو فقد كان للغرب تخوفاته من انتصار ايران فى هذه الحرب، ولذلك وعندما بدأت الكفة تميل الى صالح ايران غضت بعض الدول الغربية الطرف عن محاولات ناجحة للعراق للتزود باسلحة حديثة لاعادة التوازن مما يمكن ان يؤدى الى استمرار هذه الحرب وماتعنيه من انهاك متبادل لكلا القوتين. ولكن هذا التسلح الجديد فى الواقع لم يؤد فقط الى انتصار العراق فى هذه الحرب بل ادى الى ظهور وضع تكون فيه العراق هى القوة العسكرية الرئيسية فى منطقة الخليج العربى، بما يميز هذه الدولة من طموحات قومية عربية تسعى الان لتحقيقها عمليا. وهنا بدأ التهديد الحقيقى «لاستقرار» المصالح الغربية والانظمة العربية البترولية المنسجمة معها.

ولقد بدأت المعركة الحقيقية فى الواقع بمبادرة من السعودية والكويت وبقية دول الخليج التى عمدت الى تغيير كميات، وبالتالى اسعار، النفط المنتج، الامر الذى الحق بالعراق خسائر باهظة وقد كان الاذى كبيرا وعبر عنه صدام حسين بقوله: «ان قطع الارزاق اصعب من قطع الاعناق» ولكن بالطبع لم تكن هذه الازمة هى كل اسباب اجتياح العراق للكويت، فقد كان لدى العراق بالطبع مشاعر متنامية مع تنامى قوتها العسكرية بان الكويت اصلا جزء من العراق وبان امراء الكويت هم اجراء ينفذون السياسة الغربية وبان ضم الكويت وغيرها ان امكن هى خطوات على طريق الوحدة العربية. بالتالى فقد تلاقت هذه العوامل لتشكل دوافع العراق لاتخاذ قرار الاجتياح.

النتائج المترتبة على الاجتياح

من الصعب جدا فى هذه المرحلة المبكرة الحديث عن أو تقييم نتائج هذا الحدث اولا لانها فى طور التكوين وثانيا لانها مرهونه بطبيعة التطورات وخاصة احتمال اندلاع الحرب فى المنطقة وثالثا: لان تطورات مختلفه قد تؤدى الى نتائج مختلفة بعضها قد يكون مخالفا لرغباتنا وقد يكون مدمراً،

لذلك من المهم فى هذه المرحلة عدم الانجرار وراء العواطف. ولكن من الممكن وضع النقاط التالية للنقاش..

اولا: انهيار الدور الاستراتيجى لدول الخليج العربى فى التحكم فى السياسة النفطية بما يضمن مصالح الدول الغربية المعتمدة على هذا النفط، واضطرار هذه الدول بزعامة الولايات المتحدة للعودة الى التدخل المباشر والعسكرى لحماية هذه المصالح. ويشمل ذلك ايضا انعدام الوهم لدى بعض الجماهير العربية بحقيقة ولاء دول الخليج هذه للقومية العربية والمصالح العربية والاسلام.

ثانيا: سقوط شعار التضامن العربى او اى دور فعال للانظمة العربية، سواء فى المحافظة على مصالح الامة العربية او فى معالجة هذه الازمة العربية. وكذلك تنامى واحتداد مشاعر العداء بين الجماهير العربية وبين انظمتها الامر، الذى عكس نفسه فى خيبة امل الكثير من الجماهير العربية حتى ببعض الانظمة مثل سوريا التى بقيت لوقت قريب تستر سياستها بشعارات قومية ومعادية لامريكا، وهذا ما ظهر فى سياق المظاهرات الشعبية فى اكثر الدول العربية والتى تميزت بشعارات مناهضة للولايات المتحدة ومساندة للعراق فى مواجهته مع الغرب.

وبالتالى فقد كرست هذه الازمة حقيقة جوهر الصراع هو بين محاولات اعادة الهيمنة الغربية المباشرة على العرب وبين رغبة العالم العربى بالتحكم فى مقدراته وثرواته بما يتلاءم مع مصالحة ومن الملفت للانتباه ان هذا الفهم وهذه المشاعر شملت تقريبا كافة التيارات الايديولوجية والسياسية فى العالم العربى.

ثالثا: اضطرار الولايات المتحدة ودول غربية اخرى لاسقاط ورقة التوت التى تستر عورتها، والمتمثلة بحرصها على الشرعية الدولية وحقوق الانسان، وذلك لاضطرارها لسلوك طريق يتعارض مع سلوكها تجاه انتهاكات اخرى لحقوق الانسان وللشرعية الدولية فالسرعة والعملية والفاعلية التى تحرك بها الغرب ضد اجتياح العراق للكويت خلق حافزا للمقارنة مع سلوك هذه الدول غير الجاد فيما يتعلق بحماية حقوق الانسان الفلسطينى: وتطبيق قرارات مجلس الامن التى تعتبر الاحتلال الاسرائيلى للمناطق العربية متعارضا مع الشرعية الدولية الامر الذى فقد الولايات المتحدة اية ارضية تستند اليها فى ايجاد قناعة لدى الشعوب العربية

بصدق ما تدعيه من دوافع لوجودها العسكرى فى السعودية والخليج. وبالتالى ساهم كل ذلك فى تكريس العداء وعدم الثقة والارتياب فى السياسة والتحرك لامريكى فى المنطقة.

رابعا: تضعضع امكانية الولايات المتحدة فى الاعتماد على اسرائيل كحليف استراتيجى فى المنطقة فقد كثرت التفسيرات لظاهرة ابعاد الولايات المتحدة لاسرائيل عن هذه الازمة التى كان من أهمها ان اى دور ظاهر لاسرائيل سوف يزيد من مصداقية صدام حسين والدعم الشعبى العربى له، واحراج الانظمة العربية المشاركة فى القوات ولكن بغض النظر عن الاسباب تبقى النتيجة واحدة وهى عجز الولايات المتحدة- حتى الان- عن استخدام هذا الحليف الذى كان دائما يلعب دور رأس الحربة لتحقيق المصالح الغربية فى المنطقة.

ولكن وفى نفس الوقت يمكن القول أن نتائج هذه الأزمة وماعكسته من زيادة فى قوه العراق خاصة العسكرية، وزيادة اهمية اسرائيل على المدى البعيد كقوة عسكرية احتياطية للغرب فى الشرق الاوسط خاصة وان موقف سوريا ومصر من الازمة ناتج عن عدة عوامل منها التوازن فى العلاقات السياسية العسكرية بين هاتين الدولتين واسرائيل. بمعنى ان الخطر الاسرائيلى على هذه الدول ساهم فى حسم موقفها بشكل غير منسجم مع موقف الجماهير العربية.

خامسا: عكست هذه الازمة ايضا غيابا شبه كامل ولاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية لاى دور للمعسكر الاشتراكى او الكتلة الشرقية الامر الذى يعتبر من المستجدات الهامة على المستوى الاستراتيجى فى الساحة الدولية. مما اعطى الولايات المتحدة حرية لامحدودة على المستوى الدولى فى الشرق الاوسط على وجه الخصوص.

سادسا: تمكنت اسرائيل وكنتيجة لهذه الازمة باحراز مكاسب اعلامية بارزة على المدى القصير. فقد نجحت الى حد ما فى اضعاف الكثير من المنجزات الاعلامية الفلسطينية التى حققتها الانتفاضة على وجه الخصوص، حيث استثمرت الجو المعادى للعراق فى الغرب ودعم الفلسطينيين للعراق فى مواجهته للغرب لاضعاف التأييد المتنامى لدى الرأى العام العربى والاسرائيلى المؤيد نظريا

على الاقل لضرورة انهاء الاحتلال الاسرائيلي وبأساليب سلمية. ويرجع هذا النجاح الى عاملين هما: تشويه اعلامي نشيط وفعال للموقف الفلسطيني الرسمي والشعبي- الامر الذي سوف آتي على توضيحه لاحقا. وكذلك ضعف العمل الاعلامي الفلسطيني في تفسير حقيقة ودوافع الموقف الفلسطيني،وخاصة في اظهارالدوافع الحقيقية كما نراها كفلسطينيين سببا للتحرك الامريكي العسكري.

سابعا: نتج عن هذه الازمة ايضا تعزيز الرأي القائل بان المسألة الفلسطينية واستمرار الاحتلال الاسرائيلي هما سبب رئيسي ودائم لاستمرار التوتر في الشرق الاوسط وأرضية تمهد دائما الجو للحرب وما تشكله من خطر على السلام في المنطقة والعالم. ان نجاح صدام حسين في حشد اوسع دعم عربي شعبي يعود بالاساس لانه يواجه القوة التي تشكل السبب الرئيسي لاستمرار احتلال اسرائيل لاراض عربية. ولقد قال الفلسطينيون مرارا ان عدم حل المسألة الفلسطينية سوف يبقي الباب مفتوحا لتفجر صراعات في المنطقة ولابقاء فرص الحرب ومخاطرها، ولم يؤخذ ذلك جديا. وتأتي هذه الازمة في الخليج لتثبت صحة الادعاء الفلسيطني بان القضية الفلسطينية هي جوهر الازمة في الشرق الاوسط ولايمكن ضمان هدوء وسلام بدون حلها.

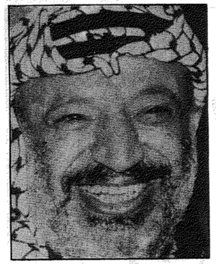
ولعل اول من اشار لذلك وزير خارجية ايطاليا الذي قال: «يجب على اسرائيل ان تعمل على حل المشكلة الفلسطينية لان عدم حلها يزيد من الدعم الشعبي العربي لصدام حسين». وبالتالي فمن المفروض ان تكون هذه الازمة قد اعطت درسا للغرب ان استمرار عدم حل المشكلة الفلسطينية يكرس العداء العربي الشعبي للغرب.

ثامنا: شكلت هذه الازمة نهاية لمحاولات النظام المصري تزعم العالم العربي، خاصة وان هذه الازمة جاءت على اثر الفراغ الذي تركه فشل السياسة المصرية- الامريكية في حل الصراع الفلسطيني الاسرائيلي عن طريق مفاوضات دعا لها بيكر وزير خارجية الولايات المتحدة وتبنتها مصر وفشلت بسبب عدم استعداد الولايات المتحدة للضغط على اسرائيل للموافقة عليها وكانت هذه أيضا نهاية لمراهنة فلسطينية على هذا التدخل وفي هذا التوقيت بالذات جاءت الازمة في الخليج لتضع عنوانا جديدا للعلاقات العربية الامريكية اكثر جاذبية من العناوين التي وضعتها مصر وفشلت في تحقيق اي مكاسب من ورائها.

تاسعا: لقد كرست هذه الازمة، ايضا الحاجة الى التعامل مع القضايا الاشكالية المختلفة في الشرق الاوسط بشكل شمولي، ان الترابط الواضح بين الازمة الفلسطينية، اللبنانية والخليجية، وخاصة بعد مبادرة صدام حسين الداعية الى انسحابات متزامنة. عززت من وحدة ازمة الشرق الاوسط وتعذر تجزيئها والتعامل مع الشرعية الدولية بمقاييس متباينة. مما قد يفتح بعض الافق نحو حل شامل لكل مظاهر التوتر في الشرق الاوسط وكذلك يضع اسسا جديدة للعلاقة بين العرب والغرب.

عاشراً: واخيرا: فمن الواضح تماما ان هذه الازمة ايقظت المشاعر القومية العربية بشكل كبير، وان كان يغلب عليه الطابع العاطفي. وكذلك من المفروض ان يؤدي ذلك الى إضعاف المد الديني الذي كان احد اسبابه غياب بديل قوي ومقنع للجماهير العربية في سياق مواجهتها مع اسرائيل والولايات المتحدة. ان هذا العامل بالطبع مرهون الى حد كبير بعوامل غير واضحة حتى الان منها موقف بعض الحركات الدينية في هذه الازمة.

هذه بعض النتائج المترتبة على ازمة الخليج ولكن قلنا فاكتمالها وفعلها مرهون بالتطورات غير الواضحة حتى الان وكذلك برد فعل الاطراف المختلفة وكيفية تعاملها العملي والسياسي والاعلامي مع هذه التطورات.


ياسر عرفات

الموقف الفلسطيني:

تعرض الموقف الفلسطيني لكثير من التشويش والتشويه، ولذلك لان وسائل الاعلام الاسرائيلي ارتأت ان هذا الوقت والظرف فرصة سانحة لاضعاف التأييد الدولي للشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير، وكذلك لان المنظمة فضلت الدبلوماسية الجادة والصامتة على الضجيج الاعلامي حتى تستطيع ان تلعب دورا في الوساطة الهادفة الى انهاء الازمة عربيا وسلميا.

وقبل الخوض في التفاصيل يجب التأكيد على ان الموقف الفلسطيني الرسمي ارتكز على أساسين: الاساس المبدئي من ناحية وتحقيق المصلحة الفلسطينية المنسجمة مع المصلحة العربية من ناحية اخرى.

في بداية الاحداث، تحديدا في الفترة مابين الاجتياح العراقي للكويت والاجتياح الامريكي للسعودية تميز المزاج الفلسطيني بالدهشة والتردد وتراوح الموقف بين التحفظ تجاه استخدام القوة العسكرية لفض النزاع بين دولتين عربيتين شقيقتين وما يمكن ان يحمله ذلك من تشتيت في الجهد العربي تجاه القضية الفلسطينية وشد الانظار بعيدا عن الانتفاضة. والقلق على مصير الفلسطينيين في الكويت وبين شعور بالشماتة بامراء النفط الكويتيين الذين احجموا - من وجهة نظر فلسطينية- عن استخدام سلاح النفط العربي في الضغط على الولايات المتحدة لكي تأخذ موقفا اكثر جدية في وضع حد للغطرسة الاسرائيلية إضافة طبعا الى الشعور العميق في نفوس الفلسطينيين بالاحباط نتيجة استمرار العلاقات الودية بين دول النفط العربي والولايات المتحدة وكذلك المعاملة السيئة التي يلاقيها الفلسطينيون في هذه الدول ومنها الكويت.

ولكن سرعان ما حسم هذا التردد وبشكل قوي جدا وعلى اثر دخول الجيوش الأمريكية والاوروبية الغربية الى السعودية ومياه الخليج، وعلى اثر مؤتمر القمة في القاهرة الذي لم يعجز فقط عن الخروج بموقف عربي موحد وبحل عربي للازمة بل اعطى الشرعية للتدخل الامريكي وقرر المشاركة في التدخل العسكري تحت المظلة الامريكية في الخليج العربي.

لقد تبلور الشعور بالمرارة لدى الفلسطينيين تجاه دول النفط العربية الموالية للولايات المتحدة اكثر من أي وقت مضى قبيل واثناء انعقاد مؤتمر القمة الاخير في بغداد. حيث كان الفلسطينيون قد وصلوا الى استنتاجات مفادها انه بعد الموقف الفلسطيني الواقعي الذي تجلى في المبادرة السلمية الفلسطينية لايمكن تغيير موقف إسرائيل

وحملها على التراجع بدون سند عربي واسع، وان هذا السند لا يمكن ان يكون فقط على شكل بعض الدنانير التي تقدم كدعم مالي وتشكل فتاتا من ثروات تلك الدول، المطلوب ايضا سياسة عربية تربط بين مصالح الولايات المتحدة الاقتصادية في المنطقة وبين سياستها تجاه القضية الفلسطينية وقد فشل العرب في التمثل بهذا الموقف الامر الذي فاقم الشعور الفلسطيني بتحمل الدول الغنية، دول النفط العربية، لجزء من المسؤولية تجاه استمرار المأساة الفلسطينية.

ويشكل جزءا من وعي الفلسطينيين ايضا المقارنة بين التصريحات العربية الداعمة للنضال الفلسطيني من ناحية وبين الممارسة المتخاذلة وغيرها من الممارسات مثل السلوك الباذخ لامراء النفط في اوروبا والتي اورثتنا كعرب السمعة السيئة وما نتج عن ذلك من تعامل عربي مع الغرب بمذلة وتبعية ولقد تعززت هذه المشاعر كثيرا اثناء الانتفاضة الفلسطينية التي زادت من الثقة بالنفس لدى الفلسطينيين وكذلك الشعور بالقدرة على التحدي وباننا كفلسطينيين عملنا كل ما يمكن عمله فماذا عمل هؤلاء العرب الأثرياء؟ بمعنى آخر فقد عرت الانتفاضة مسلك الضعف من قبل جزء كبير من الانظمة العربية مما سارع في نمو شعور عداء متنام لدى الفلسطينيين ضد هذا النوع من العرب. هذا العداء الذي جوهره عداء للولايات المتحدة والانظمة الموالية لها في المنطقة.

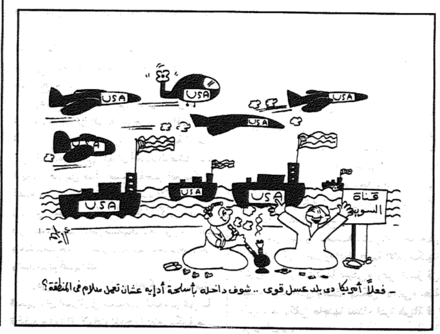
ومما اثار غضب الفلسطينيين تلك الحملة العالمية التي شنت بقيادة الولايات المتحدة ضد العراق بسبب احتلاله للكويت، في حين ان الولايات المتحدة هي المسؤولة عن استمرار احتلال اسرائيل لاراضي اربع دول عربية لاكثر من ٢٢ سنة، وهي ايضا الدولة التي اجتاحت بنما وغرانادا، وبالتالي فان الموقف الفلسطيني تأثر كثيرا بالمنطق المزدوج غير المبدئي المتضمن في السياسة والسلوك الامريكي تجاه ازمة الخليج، وبالتالي فان التعاطف الشعبي الفلسطيني هو ليس تعاطفا مع مبدأ الاحتلال وحل النزاعات الاقليمية بالقوة، بل ادانه وشماتة بقوى تخاذلت عن التضامن ضد المحتل الاسرائيلي وربطت نفسها بالسند الاساسي والقوة الداعمة له.

ان التعاطف الشعبي الفلسطيني مع العراق يعكس اكثر ما يعكس الرغبة في مساندة العراق في صراعه مع دولة تلومه على احتلال الكويت في حين تلعب دور المعلم اوالمنقذ الاول للاحتلال والعدوان في العالم، تتهمه بالدكتاتورية وتدعم ملوكا وامراء لايمتون للديمقراطية ولشعوبهم بصلة.

ان الذي يمنع جهات عديدة في الغرب من تفهم هذا الموقف الفلسطيني، إضافة طبعا لعدم وجود حملة إعلامية فلسطينية لشرح هذا الموقف. هو ان العالم الغربي ينطلق في تحديد سياسته من مصالحه قبل كل شيء اخر، ومصالحه تتناقض مع نمو قوة مثل العراق ترفض ان تكون سياسة البترول العربي خاصة ومفصلة بقياسات المصلحة الغربية واذا كان هذا لايعيب الغرب فلماذا يعيبنا نحن كعرب وفلسطينيين ان نرسم سياستنا وفق مصالحنا الفلسطينية والعربية؟

ان مصالح العرب والفلسطينيين تتنافى في المقام الاول مع الوجود العسكري الامريكي والاوروبي الغربي في السعودية والخليج، ومن هنا نبع الموقف الفلسطيني المساند للعراق ليس في احتلاله للكويت بل في مواجهته مع الغرب وهذا بالضبط الذي املى موقف ومسلك القيادة الفلسطينية التي تبنت مشروع وساطة مبني على حل عربي وسليم وقائم على انسحاب القوات العراقية، وذلك قبل الغزو الامريكي الاخير. اما الان فان م. ت. ف. ترى بأن جوهر الازمة لم يعد النزاع الكويتي العراقي. بل اصبح بين القوى الغربية بقيادة الولايات المتحدة التي تسعى الى ابقاء سيطرتها على منابع النفط العربي حتى لو اقتضى ذلك الوجود العسكري المباشر، وبين الامة العربية وحقها في التصرف في مقدراتها الاقتصادية بما تمليه مصالحها المباشرة والبعيدة المدى. ولقد عبر عن هذا الموقف مؤخرا ابو اياد احد قادة م. ت. ف. وبالرغم من ان هذا الموقف يستند الى توازن بين المبدأ والمصلحة الا ان المصلحة الفلسطينية تقتضي اضافة الى ذلك اشهار الموقف الفلسطيني والدفاع عنه، لانه صحيح ومنطقي. اضافة الى الحاجة الى اجراء اعادة الحسابات على ضوء المتغيرات خاصة ما يتعلق بالعودة الى الينابيع الشعبية الاصيلة للانتفاضة بما يضمن استمرارها رغم الانعكاسات المحتملة عليها نتيجة تسعير محتمل لقمع الاحتلال ام نتيجة لتغيير موقف دول خليجية من الفلسطينيين.

اخيرا وعلى ضوء هذا الواقع، واقع استحالة حل الأزمة عسكريا وعدم جدوى سياسة التجويع، وعلى ضوء الالتفاف الشعبي العربي في المعركة ضد التدخل الاجنبي، الم يئن الاوان لان يكرس المد الشعبي العربي للضغط باتجاه مبادرة تجمع الدول العربية المعنية و م. ت. ف. واسرائيل واعضاء مجلس الامن في مؤتمر يسوده روح الشعور بالمسؤولية لمحاولة حل الازمات المتداخلة في الشرق الاوسط بما يؤدي الى سلام شامل ومبني على حقوق كافة الشعوب بان تعامل باحترام متبادل بما يضمن تحقيق مصالح متبادلة ومتكافئة بين دول الشرق الاوسط من ناحية وبين العالم العربي والغرب من ناحية اخرى؟



ـ فعلاً أمريكا دى بلد عسل قوى .. شوف داخله بأسلحة أدايه عشان تعمل سلام فى المنطقة؟

العدو الأسرائيلي في الأزمة وكيف سيتطور؟!

نظير مجلي

. هذه الكلمات تكتب قبل خروجها الى النور بعده أيام وكل يوم يمر علينا الآن يبدو طويل الأمد غامض الأحداث فتهتري الاعصاب في كل لحظة، ونحن نتتبع اخبار بل اخطار تطورات أزمة الخليج. ومن كثرة التقلبات والمفاجآت، يصعب على المرء تقدير حالة دقيق لما سيأتي لاحقا خصوصا بالنسبة للدور الاسرائيلي في هذه الازمة، الذي يعتمد الكتمان أساسا، أهم من أي شيء آخر.

والأمر المتفق عليه بين مختلف اطراف التحالف الملتف حول واشنطن هو: اسرائيل خارج الصورة تماما. البيت الأبيض يؤكد هذا الامر. ويؤكده اكثر.. الحلفاء العرب حكام ارض مكة والازهر وبوابة الاندلس و الخليج، اما حكام اسرائيل، فلم يرتاحوا لهذا الوضع في البداية لكنهم اعتادوا عليه وقبلوه ثم تحمسوا له... عندما اعلنت العراق ان القوات الامريكية الغازية في شبه الجزيرة العربية تضم قوات اسرائيلية قتالية بالزى العسكري الامريكي وطائرات اسرائيلية تم دهنها باللون الذي يستخدمه سلاح الجو الأمريكي عندها نفى المسؤولون الاسرائيليون الامر بشدة بعد ساعتين من اعلانه وفهم ان نظام صدام يناور لجر اسرائيل الى الحرب. وراح المحللون والمسؤولون العسكريون والسياسيون والصحفيون يؤكدون: يجب عدم تحقيق هذه الرغبة للعراق. فهو يستهدف منها تحريض الشعوب العربية على حكامها الممالئين للامريكان بالقول: ها هم يقفون مع اسرائيل في صف واحد ضد بلد عربي!!

والسؤال هو: اين اسرائيل فعلاً من هذا الصراع؟! وما هو دورها؟ قبل أن يصدر التهديد العراقي المبطن أعلاه ومنذ لحظة الاجتياح العراقي للكويت كانت اسرائيل في حالة استنفار شاملة ودخلت الى دائرة النشاط الأمريكي حتى العظم.

وكان التنسيق الامريكي- الاسرائيلي قد بدأ حتى قبل الاجتياح ايضا وعلى اعلى المستويات، لتخطيط حجم الدور الاسرائيلي في أزمة الخليج والتدخل المباشر فيها

ففي يوم ١٩٩٠/٧/١٩ وصل وزير الامن الاسرائيلي، موشيه ارينز، على عجل الى واشنطن. ونقول «وصل» لأن هناك من يقول انه استدعى الى العاصمة الامريكية وهناك من يقول ايضا انه استدعى نفسه لنفسه لينقل المعلومات والتقديرات. وأعلن في اسرائيل ان موضوع المحادثات. كان أزمة الخليج وتطوير صواريخ جديدة.

وعندما تحدثوا في الغرب عن فشل استخباراتهم في توقع الهجوم العراقي على الكويت (تقرير المخابرات الامريكية الاخير الى الرئيس بوش اكد ان احتمال مثل هذا الهجوم ضئيل جدا ، حسب المحلل العسكري لصحيفة «يديعوت احرونوت» الاسرائيلية، رون بن يتساي، ٩٠/٨/١٧)، كان العديد من المسؤولين الاسرائيليين يقولون بشماتة «عندما حذرناكم ابديتم الاستخفاف واستبعدتم تحذيراتنا».

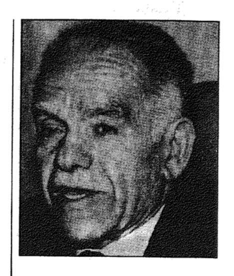
وفي حينه اعلن رئيس الحكومة، اسحاق شمير، ان اسرائيل مستعدة لتقديم كل ما تطلبه منها الولايات المتحدة الامريكية من «مساعدة» في ازمة الخليج. وكذلك فعل وزير امنه، ارنس، ووزير الخارجية دافيد ليفي.

ولم يعد سرا ان لجنة الأمن الحكومية، التي يرأسها شمير بنفسه، تعقد اجتماعات دورية لمتابعة الوضع في الخليج وبعد كل اجتماع كهذا يلتقي السفير الامريكي في اسرائيل، وليم براوان، مع الوزيرين ارنس وليفي (كل على حدة..) لسماع آخر التقديرات والقرارات ولاسماعهما آخر المعلومات. علما بأن رئيس الحكومة. شمير، يتابع الموضوع بنفسه ملقيا على رئيس ديوانه (مدير عام مكتبه) يوسي بن اهرون، مهمة الحفاظ على اتصال مباشر عدة مرات في اليوم مع الجهات المخولة» في البيت الأبيض والبنتاجون وهذا عوضا عن تقارير المخابرات والصلة المباشرة بقيادة الجيش التي يوفرها مستشاره العسكري، عزرائيل نابو، والخطوط المفتوحة مع السفارة الاسرائيلية في واشنطن وغيرها من العواصم. باختصار، ان المدينة الحكومية في القدس أصبحت تبدو ثكنة عسكرية أشبة بغرفة عمليات حربية.

وفي يوم ٩ أغسطس اب، اى بعد اسبوع واحد تماما من الاجتياح العراقي قامت اسرائيل بتجربة الصاروخ النووي «حيتس»، الذي تصنعه بالاشتراك مع الولايات المتحدة، وهو صاروخ مضاد للصواريخ، قادر على حمل رأس نووي وسيدخل استعماله حيز التنفيذ بعد خمس سنوات ولم يكن صدفة اختيار هذا الوقت بالذات لاطلاقه خصوصا وان رئيس الحكومة، شمير، انتهز الفرصة ليعلن: «ان اسرائيل اتخذت كافة الاحتياطات الامنية لمواجهة اى هجوم عراقي» (صحيفة «معريب»- ٩٠/٨/١٠).

وكانت صحيفة «يديعوت احرونوت» اوسع الصحف انتشاراً في اسرائيل قد كشفت (في عددها يوم ١٩٩٠/٨/٥) بخبر احتل عرض وصدر الصفحة الاولى ان وزيري الدفاع الامريكية رتشارد تشيني، والاسرائيلي، موشيه ارنس، تكلما في التليفون حول العمل المشترك لمواجهة ازمة الخليج ثم بالبنط العريض- واشارات لاستعدادات امريكية لعملية عسكرية ضد العراق» و «الاستعدادات ستستغرق عدة اسابيع».

وفي اليوم نفسه نشرت الصحف الاسرائيلية صورة الغواصة الامريكية النووية- «او كلاهوما سيتي» وهي ترسو في ميناء حيفا الذي وصلته بشكل مفاجيء بغية التزود بما يكفي حاجتها للبقاء فترة طويلة في عرض البحر.



• الاخطار الواضحة.

ان المحاولات الامريكية الظاهرة لاستبعاد أي ذكر لاسرائيل في النشاط العسكري المباشر له ما يبرره. ولكن هناك عدة اتجاهات واشارات تدل على ان هذا الاستبعاد هو أمر مستحيل.

فأولا- ان اسرائيل ترتبط باتفاقية تعاون استراتيجية مع الولايات المتحدة، الامريكية. ومن الطبيعي ان يكون هناك تنسيق دائم بينهما خصوصا وان مجريات الاحداث تدور على بعد خطوات من الحدود الاسرائيلية الجغرافية وفي موقع قلب القلب من الحدود السياسية. وما استعرضناه من لقاءات ونشاطات هو الامر الظاهر وفي الشئون العسكرية يكون المخفى عادة أعظم!!

وثانيا- اسرائيل تترصد الاحداث، بشكل معلن في اتجاهين. الاول على الخط العراقي- الاسرائيلي المباشر والثاني على الخط الاردني العراقي وما يمت باسرائيل من خلاله. هنا يتحدث المسؤولون الاسرائيليون بصراحة انهم لن يقفوا مكتوفي الايدي وان هناك عددا من الخطوط الحمراء التي ينبغي عدم تجاوزها.

فعلى الخط المباشر مع العراق تقول اسرائيل: سنرد على كل ضربه عراقية بما هو اقسى منها «فاسرائيل ليست الكويت» واطمأن الوزير ارنس الى ان- «العراق لايملك صواريخ ارض- ارض قادرة على ضرب اسرائيل بالاسلحة الكيميائية. فما يملكه هو صواريخ جو ارض. وهذه لدينا علاج مناسب لها». ويؤكد المسؤولون ان اسرائيل ليست طرفا ولا تريد ان تكون طرفا في النزاع. ولكن... وهذا هو الاهم، اذا تعرضت لاى اعتداء فسترد بالشكل المناسب. وهات اعرف ما هو التقييم اللاعتداء. فعلى سبيل المثال يقولون: «وان دخول اي جندي عراقي للاردن هو خط احمر». فاذا سمح الاردن للعراق، مثلاً بادخال قوة لغزو السعودية.. فلماذا يكون هذا اعتداء على اسرائيل؟! ويقولون ان ضمن الخط الاحمر ايضا استعمال الاردن لادخال عتاد عسكري للعراق فكيف سيقررون اذا كان هذا عتادا عسكريا ام لا؟!

وثالثا- قضية التهديد بضرب اسرائيل بالسلاح الكيميائي تبدو مقياسا للتحرك العسكري الاسرائيلي.

وهذه قضية تثير نقاشا حادا وصاخبا في

تنسيق امريكي اسرائيلي قبل الغزو العراقي

اليسار الصهيوني يهاجم موقف المنظمة ضد العدوان الامريكي

اسرائيل تسعى لضم الأنظمة العربية التابعة لتحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحد

اسرائيل فبينما قررت لجنة الامن الوزارية عدم توزيع كمامات الغاز على المواطنين في اسرائيل باعتبار ان الامر غير ضروري الآن، هناك عدد من المسؤولين السياسيين والعسكريين البارزين يطالبون بتوزيع الكمامات فورا، على رأسهم وزير الخارجية دافيد ليفي. وبينهم العقيد في الاحتياط يهودا منير الذي يقول: «اذا انتظرنا، قد يكون هذا متأخرا جداً» والعقيد منير كان قائدا لقوات الدفاع المدني في منطقة المركز وهناك العميد عوديد ايرز الذي يرفض كل تصريحات الطمأنة. ويقول: «صدام حسين سيستغل الوضع ليوجه تهديده العدواني الى اسرائيل. وحتى لو كان هذا التهديد خاليا من المضمون فانه بذلك يحقق مكسبا صحيح ان الصواريخ العراقية لاتهدد اسرائيل بالدمار ولكن من شأنها ان تضعنا امام ضربات غير لطيفة في الجبهة الداخلية. ويضيف «وان الجيش الاسرائيلي قادر على مجابهة هذه المشكلة اذا كان هناك عزم على العمل».

ولا يمكن الحديث عن اصحاب الرغبة في «العزم على العمل»، دون ذكر الوزير ارئيل شارون، فهذا، على الرغم من انشغاله التام في قضية استيعاب المهاجرين اليهود، فانه وجد فرصة لدعوة الولايات المتحدة الامريكية الى توجيه ضربه عسكرية فورية الى العراق لان الانتظار ليس في مصلحة احد، سوى صدام حسين.

ورابعا- ان احد العوائق امام تحرك عسكري اسرائيلي هو في وضعية الائتلاف الحكومي. فالحكومة الاسرائيلية بزعامة شمير تعتمد اليوم على قاعدة مؤلفة من ٦٢ عضو كنيست (من مجموع ١٢٠). حكومة كهذه، لا تستطيع من الناحية الاخلاقية او السياسية، ان تخوض حربا» الا اذا حظيت بمباركة المعارضة بيد ان شمير، وعلى الرغم من الطلب الملح من كل وسائل الاعلام، يرفض اشراك قادة المعارضة في مشاوراته حول ازمة الخليج وحتى الكنيست لاتتطرق للموضوع. وهي غارقة في عطلتها الصيفية ورئيس المعارضة بيرس، يستجم في سويسرا. والرجل الثاني في المعارضة وزير الدفاع السابق، يتسحاق رابين، الذي تم في عهده اعداد الجيش لمواجهة هجوم بالسلاح الكيميائي، يظهر في وسائل الاعلام كمعلق سياسي لا كوزير انهى عمله في الوزارة فقط قبل اربعة اشهر.

ولكن هذه الحقيقة بحد ذاتها لاتكفى اذ ان المعارضة الاسرائيلية منسجمة تماما مع خط

الحكومة ومع الولايات المتحدة الامريكية في توجهها للازمة فكل قوى المعارضة تقريباً (باستثناء الاحزاب المعادية للصهيونية) تعادي العراق بشكل سافر ولا تبدي اي تحفظ جدي على الغزو الامريكي، لا بل الغالبية الساحقة منها تمتدح خطوات الرئيس بوش وتتحمس لها. واليسار الصهيوني مثلا لايكتفي بالمشاركة في جوقات المدح والردح هذه، بل يهاجم بشدة موقف منظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، والقادة الفلسطينيين في أرض الانتفاضة والقيادة السياسية للجماهير العربية في اسرائيل.. لانها تقف ضد الغزو الامريكي. وقام عدد من قادة هذا اليسار، امثال يوسي سريد ودادي تسوكر. (حركة «راتص») والعيزر غرانون (حزب «مبام»)، وعدد من الكتاب التقدميين أبرزهم يارون لندن بشن هجوم كاسح والاعلان ان الموقف الفلسطيني «المؤيد لصدام» - «يجعلنا نعيد النظر في تأييدنا لحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والدولة المستقلة». وقال يوس سرية: «ابحثوا عني من الآن فصاعدا.. ولن تجدوني طالما انتم في مثل هذا الموقف».

بمثل هذه المعارضة من الصعب ان نتخيل ان شمير يحتاج الى توسيع ائتلافه. او انه يحتاج إلى موافقة على أي إجراء يتخذه. فالمعارضة نفسها تسبقه الى الموقف المؤيد للغزو الامريكي. وهذا من شأنه ان يقود لكل شيء آخر.

•الدور السياسي•

من الواضح ان ازمة الخليج خطفت عناوين وسائل الاعلام والاهتمام العالمي. ولم يعد هناك مكان فيها للقضية الفلسطينية والانتفاضة وممارسات القمع الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني وتوطين المهاجرين اليهود على حساب هذا الشعب.

والحكومة الاسرائيلية، تستغل هذا الواقع بكل قوة وشدة ولذلك وجدنا قوى سياسية فلسطينية وتقدمية اخرى في العالم قد وقفت ضد الاجتياح العراقي للكويت من منطلق مبدئي وكذلك من منطلق الخطر على القضية الفلسطينية وعلاجها العالمي.

لقد بدأت عدة اوساط رسمية في اسرائيل تتحدث عن ضرورة استغلال ازمة الخليج للفلفة القضية الفلسطينية كل كيفما اتفق، يضع جانبا منظمة التحرير الفلسطينية فهذه كما يقولون انخفضت مكانتها في العالم بسبب وقوفها الى جانب العراق متجاهلين اعلانها الرسمي معارضة الاجتياح العراقي للكويت يتجاهلون ان رفضها ادانه العراق استهدف، «والوصول الى حل وليس الى قرارات».كما قال ياسر عرفات في مؤتمر القمة العربي («الاهالي» المصرية ١٥/٨/٩٠)

وبالاضافة الى وضع م.ت.ف.. جانبا تقوم الدبلوماسية الاسرائيلية بمساع حثيثه في اوروبا والعالم لاعادة التأييد لها معلنة: «الآن ظهر لكم ان تخوفاتنا من العرب صحيحة وان الخطر الذي يتهدد المنطقة لا يأتي من تل ابيب بل من بغداد وعمان ومن ياسر عرفات ومنظمته.

ومن فائض الكلام القول ان قوى اليمين في اسرائيل تتمنى اليوم ان لا يوجد حل سياسي لأزمة الخليج. فكل توتر اضافي. طالما هو بعيد عن اسرائيل، سيخدم بالتالي اهدافها في: استبعاد الحل العادل للقضية الفلسطينية. توثيق العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة ودول الغرب الاخرى والعودة الى رؤية اسرائيل «واحة العالم الحر والديمقراطية» الابن المدلل للجميع. الحليف الاستراتيجي. الدولة الوحيدة المستقرة. الوصول الى معادلة مكشوفة أكثر للتعاون الاستراتيجي بين اسرائيل وبين الانظمة العربية التابعة للولايات المتحدة. فاليوم يحكى جهارا عن اصطفاف القوى على اساس جديد. وفي اسرائيل يقولونها بصراحة: ثبت للسعودية والكويت والامارات العربية وغيرها من الدول العربية ان عدوها الحقيقي ليس اسرائيل بل العراق ومن يسير في فلكه..

غائب طعمة فرمان.. وداعًا

توفي في موسكو ليلة الجمعة ٨/١٧ الكاتب والروائي العراقي الكبير غائب طعمه فرمان عن ثلاثة وستين عاما. بعد أن صارع المرض طويلا في احدى المستشفيات السوفيتية. وغائب طعمه فرمان أحد أعمدة الرواية العربية المعاصرة، من أشهر أعماله رواية: «النخلة والجيران»، و«خمسة أصوات»، و«القربان»، و«المخاض»، و«السيد معروف»، و«المرتجى والمؤجل» و«المركب»، هذا غير عدة مجموعات قصصية. وقد ترجم بأسلوب رفيع عيون الادب الروسي والسوفيتي الى العربية، ومن أهم ماقدمه في ذلك المجال ترجمات «تولستوي»، و«تورجنيف» و«جوركي» ودستيوفسكي، وغيرهم.

درس في بغداد ثم سافر الى القاهرة والتحق بجامعة القاهرة كلية الاداب، وفي مصر تعرف الى كبار كتابها ونقادها، وكان من رواد «ندوة الخميس» التي كان يقيمها نجيب محفوظ. وربطته مشاعر صداقة حميمة- كان يتكلم عنها دوما- بالاستاذ محمود امين العالم وعبد العظيم انيس وغيرهما من اليساريين المصريين. وعاد الى العراق لينهي تعليمه العالي في بغداد ومن بعد ذلك اشتغل في جريدة «الأهالي» العراقية التي كانت منبرا للقوى الديمقراطية اليسارية. ونتيجة لمواقفه من النظام الملكي في العراق أسقطت السلطات عنه الجنسية العراقية فسافر بعدها الى الصين ليعالج نفسه من مرض قاس، ورجع الى العراق بعد ثورة ١٩٥٨.

وأخذ يعمل من جديد في الصحف العراقية ويمدها بكتاباته النقدية وانطباعاته الانسانية.

ويعتزم اتحاد الأدباء السوفييت وغيره من الاتحادات الابداعية نعي الروائي العربي العراقي الكبير.

كان الروائي الراحل من أشد الناس رقة وتواضعا، لم يعرفه أحد الا وأحبه واحتفظ له في قلبه بأطيب الذكريات، وكان- على موهبته وأهمية ماكتبه- يؤثر الابتعاد عن الاضواء والاحاديث الصحفية.

وداعا غائب طعمه فرمان... وأحر التعازي لكل من عرفه عن قرب، وكل من قرأه، وكل من أحبه.

ستة شروط للاستثمار الاسلامي بالسودان

محمود الحضرى

يبذل عدد من المستثمرين «الاسلاميين» بالسعودية ودول الخليج، جهودا مكثفة لاقناع البنوك «الاسلامية» ورجال الأعمال «الاسلاميين»، بالمشاركة فى تأسيس شركة قابضة رأسمالها نصف مليار دولار بالسودان، وذلك فى محاولة لانقاذ الوضع الاقتصادى المتدهور هناك، ودعم النظام العسكرى الحاكم الذى أقامته «الجبهة القومية الاسلامية».

وتكشف الوثيقة التى حصلت عليها «اليسار» عن تخوف البنوك والمصارف ورجال الأعمال «الاسلاميين» بالدول العربية، من الاستثمار فى السودان، ووصل هذا الخوف الى الرفض وتجاهل الدعوة التى تبناها كل من الشيخ «صالح كامل» المليونير السعودى المعروف «وسليمان الراجحى» تاجر العمله والمستثمر السعودى، و«ابراهيم الأفندى» من رجال الأعمال السعوديين. ورغم تكرار الدعوة للبنوك والمستثمرين الأعضاء فى محفظة البنوك الاسلاميه.

تقول الوثيقة التى تحمل توقيع الشيخ «صالح كامل» وموجهة للدكتور «أحمد محمد على» رئيس البنك الاسلامى للتنمية، أن جميع البنوك الاسلامية لم ترد على مخاطبات اللجنة المشكلة لمتابعة الاستثمار بالسودان سوى أربعة بنوك ومستثمرواحد.. وهم «البنك الاسلامى للتنمية، ولم يتضح موقفه من خلال الوثيقة.. ولكن يبدو أنه موافق، وايضا رد كل من «بنك البحرين الاسلامى» و«المصرف الدولى للاستثمار والتنمية»، وكلاهما اعتذر عن الاشتراك فى إقامة الشركة القابضة والرابع «بنك التمويل الكويتى»، وهو أيضا فضل العمل مباشرة مع الحكومة السودانية.. ورالمستثمر الاسلامى الوحيد الذى رد على خطابات اللجنة «الأمير محمد الفيصل»، وقال انه مستعد للمساهمة بعشرين مليون دولار فى الاستثمار الجماعى بالسودان.

وتحمل الوثيقة الرعب الذى يسيطر على المستثمرين بمافيهم «الاسلاميين» من الاستثمار فى السودان فى ظل الوضع الراهن، الى الحد الذى وصفه «الشيخ صالح كامل» فى مذكرته بأنه وضع خطر، كما أن التجارب السابقة لبعض المستثمرين فى السودان كانت- على حد تعبير- الوثيقة سيئة للغاية، وتسببت فى خسائر ماليه كبيرة لكل المستثمرين على أرض السودان سواء كانوا من داخلها، أو خارجها.

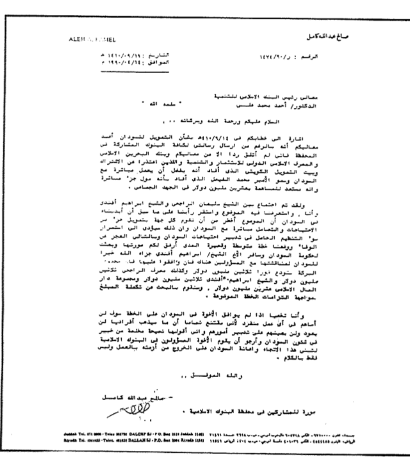
وقصة هذه الدعوة للاستثمار «الاسلامى» فى السودان بدأت مع الحكم العسكرى بها، والذى أتت به الجبهة القومية الاسلامية. حيث إجتمع كل من «سليمان الراجحى» و«صالح كامل» و«ابراهيم أفندى» على مدى أكثر من شهر فى أواخر العام الماضى وأوائل العام الحالى، واتفقوا على ضرورة مساعدة الحكم السودانى العسكرى للخروج من أزمته، وذلك بعد اتصالات عديدة تمت من خلال بعض عناصر الجبهة الاسلامية السودانية بعدد من الاثرياء العرب ومنهم المجتمعون.

وبعد مناقشات طويله والسفر للسودان للبحث على الطبيعة وحضور ندوات ومؤتمرات استثماريه... إنتهى الثلاثة لوضع خطتين متوسطة وقصيرة المدى للاستثمار «الاسلامى» فى السودان، بالاضافة لخطة عاجلة وسريعة، وتم تكليف ابراهيم أفندى بالسفر للسودان لمناقشة مطالب المستثمرين المؤسسين من الحكومة السودانية..

ووافق الشيخ صالح والراجحى وأفندى على أن يساهم كل منهم بثلاثين مليون دولار لتمويل الخطة، كما قدمت مجموعة دار المال الاسلامى ٢٠ مليون دولار هى الأخرى.. وتم ايداع المبالغ فى حساب خاص.

خطة متوسطة

وتقول الوثيقة أن خطة البنوك الاسلامية المتوسطة- التى لم تنفذ- مدتها خمس سنوات



صالح عبدالله كامل

ALEH A. KAMEL

الرقم : ر/٩٠/١٤٧٤

التاريخ : ١٤١٠/٠٩/١٩ هـ
الموافق : ١٩٩٠/٠٤/١٤ م

معالى رئيس البنك الاسلامى للتنمية
الدكتور/ أحمد محمد على "سلمه الله"

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

اشارة الى خطابكم فى ١٤١٠/٩/١٤هـ بشأن التمويل للسودان أفيد معاليكم أنه بالرغم من ارسال رسالتى لكافة البنوك المشاركة فى المحفظة فانى لم أتلق ردا الا من معاليكم وبنك البحرين الاسلامى والمصرف الاسلامى الدولى للاستثمار والتنمية واللذين اعتذرا عن الاشتراك وبيت التمويل الكويتى الذى أفاد أنه يفضل أن يعمل مباشرة مع السودان وسمو الأمير محمد الفيصل الذى أفاد بأنه مول جزء مباشرة وانه مستعد للمساهمة بعشرين مليون دولار فى الجهد الجماعى .

ولقد تم اجتماع بين الشيخ سليمان الراجحى والشيخ ابراهيم أفندى وأنا ، واستعرضنا فيه الموضوع واستقر رأينا على ما سبق أن أبديناه فى السودان أن الموضوع أخطر من أن تقوم كل جهة بتمويل جزء من الاحتياجات والتعامل مباشرة مع السودان وان ذلك سيؤدى الى استمرار سوء التنظيم الحاصل فى تدبير احتياجات السودان وبالتالى العجز عن الوفاء ووضعنا خطة متوسطة وقصيرة المدى أرفق لكم صورتها وبعثت لحكومة السودان وسافر الأخ الشيخ/ ابراهيم أفندى جزاه الله خيرا للسودان لمناقشتها مع المسؤولين هناك فان وافقوا عليها فان مجموعة البركة ستودع فورا ثلاثين مليون دولار وكذلك مصرف الراجحى ثلاثين مليون دولار والشيخ ابراهيم أفندى ثلاثين مليون دولار ومجموعة دار المال الاسلامى عشرين مليون دولار ، وسنقوم بالبحث عن تكملة المبلغ لمواجهة التزامات الخطة الموضوعة .

وأنا شخصيا اذا لم يوافق الأخوة فى السودان على الخطة سوف لن أساهم فى أى عمل منفرد لأنى مقتنع تماما أن ما سيذهب أفرادا لن يعود ولن يعينهم على تدبير أمورهم وانى أقولها نصيحة مخلصة من خبير فى شئون السودان وأرجو أن يقوم الأخوة المسؤولون فى البنوك الاسلامية لتبنى هذا الاتجاه واعانة السودان على الخروج من أزمته بالعمل وليس فقط بالكلام .

والله الموفق ..

صالح عبدالله كامل

صورة للمشاركين فى محفظة البنوك الاسلامية .

تبدأ بتأسيس شركة مساهمة عامة قابضة رأسمالها ٥٠٠ مليون دولار، يساهم المؤسسون ب ٤٠٪ من رأس المال، والباقى (٦٠٪) يطرح للاكتتاب العام مع المستثمرين السودانين المغتربين ، والعرب وداخل السودان ايضا.. على أن يتم دراسة رفع رأس المال مستقبلا الى مليار دولار..

وتتولى الشركة القابضة إنشاء أربع شركات مساهمة الأولى تجارية ومقرها البحرين، لتتولى استيراد مستلزمات الانتاج الزراعى والصناعى للشركات الثلاث الأخرى، وأيضا تتولى تسويق منتجات تلك الشركات بالخارج ، وكذلك استيراد الأدوية والمواد الغذائية للسودان.

أما الشركات الثلاث الأخرى، فيتم تأسيسها للعمل فى النشاط الزراعى والصناعى والخدمى (الاتصالات والنقل).

وحددت دراسة الجدوى لتلك الشركات مهامها فى اعادة تطوير وتأهيل المشروعات الزارعية والصناعية والخدمية بالسودان حاليا، وتبدأ فيما بعد عملية نقل الملكية للشركة الجديدة، سواء كانت المشروعات التى سيتم تطويرها ملكا للدولة او للقطاع الخاص.

شروط وشروط

أخطر مافى الوثيقة هى الشروط التى وضعها «الاسلاميون» للاستثمار الاسلامى فى السودان.. والذى سيتحمل تبعاته المواطن السودانى الفقير... أول الشروط أن يتدخل البنك السودانى (القومى) ليكون ضامنا لتحقيق عائد للمستثمرين والمساهمين، ويضع وديعة تضمن رأس المال، لوحدث أى شىء بالسودان..

والشرط الثانى أن تحتكر الشركة التجارية (مقرها البحرين) توريد مستلزمات الانتاج للشركات المساهمة الثلاث على أن تقوم الشركة أيضا بتصدير منتجات الشركات فيما بعد..

والشرط الثالث تحديد الشريحه الضريبية على الأرباح التجارية بعد انتهاء فترة الأعفاء الضريبى المقرر بالقانون السودانى للمستثمرين، وطلبت الوثيقة تحديد الضريبة بنسبة ٢٠٪ بحد اقصى، وبشرط أن يتم تطبيقها على المشروعات التى تحقق ربحا أكثر من ٥١٪ من رأسمالها.

الشرط الرابع حق الشركات «الاسلامية» فى استخدام العماله غير السودانية فى الوظائف الاشرافية والمتوسطة والادارية العليا.

الشرط الخامس تحديد الرسوم الجمركية

مذكرة عن مرئياتنا للاوضاع الاقتصادية
بالسودان وكيفية معالجة تلك الاوضاع

لاشك ان ندوة ترقية الاستثمار التى عقدت اخيرا بالخرطوم جعلت كثيرا من المستثمرين يقفون عن كثب ويلمون بحقائق اوضاع واوجاع الاقتصاد السودانى عن قرب من خلال ما دار من نقاش عام فى الندوة ومن خلال الاجتماعات الجانبية التى تمت بين المستثمرين والمسئولين من جهة وبين المستثمرين فيما بينهم من جهة اخرى . وقد تبلور من خلال النقاش واللقاءات عدة افكار ومرئيات للخروج بالاقتصاد السودانى من وهدته والانطلاق به الى الافاق الرحبة التى يرجوها كل حادب على مصلحة السودان.

ولاشك ان اهم الاولويات التى تتطلب تحركا سريعا استيراد مدخلات الانتاج للموسم الزراعى الذى اصبح على الابواب بالاضافة الى استيراد بعض الضروريات الملحة مثل الدواء وغيره وان تكلفة الاستيراد لتلك المتطلبات كما كان فى الماضى وفى هذا الوقت بالذات وفى كل الظروف يتطلب عملة صعبة بتمويل من الخارج ومعلوم ان اى تمويل لابد من توفير الضمانات الكافية له وفى ظل الاوضاع الاقتصادية الراهنة فانه يصعب على الدولة تقديم الضمانات بالمفهوم السائد للضمانات وربما يكون الضمان الوحيد المتوفر حاليا ضمان الصادر . ومعلوم للجميع انه ونتيجة للمناخ الاستثمارى غير الصحى والذى كان سائدا فى الماضى [illegible] تجارب المموليين والمستثمرين كانت مريرة ادت الى انعدام الثقة فى الاجراءات الحكومية لعدم وفائها بالتزاماتها فى كثير من الاحيان . وفى بعض الاحيان حتى وان وجدت الرغبة فى الوفاء بتلك الالتزامات الا ان عدم المقدرة على الوفاء كانت تقف حائلا [illegible] الوفاء ينتج عادة من عدم وجود مستقبلية واضحة [illegible] بل كانت الامور تعالج حسب الاحداث التى تقع فى الحين مما يترتب على ذلك تداخلات فى الاستحقاقات وتعارض فى استخدامات العملة الصعبة يؤدى فى النهاية الى عدم الوفاء بالالتزام وحدوث ازمة الثقة وعدم تحقيق الاهداف فى وقتها . ولذلك فاننا نعتقد مخلصين ان الحل الامثل يتمثل فى خطة عاجلة ومتوسطة وطويلة الامد . وحتى نكون عمليين سنركز هنا على الخطة العاجلة والمتوسطة لمدة خمس سنوات .

واذا بدأنا بالخطة المتوسطة والتى هى لمدة خمس سنوات نرى ان نبدأ بالاعلان عن انشاء شركة مساهمة عامة قابضة يكون مقرها البحرين برأس مال قدره ٥٠٠ مليون دولار امريكى "خمسمائة مليون دولار امريكى" يساهم فيها المؤسسون بنسبة ٤٠٪ من رأس المال وتطرح الـ ٦٠٪ المتبقية على المغتربين السودانيين والعرب والسودانيين المقيمين بالداخل وتتعهد الشركة بتوفير تمويل اضافى ان لزم الامر ورفع رأسمالها حسب الحاجة ليصل الى بليون دولار . وتتولى هذه الشركة الاتى :-

- ٢ -

٥.

١- انشاء شركة تجارية فى البحرين تكون مهمتها استيراد مدخلات الانتاج الزراعية والصناعية من خارج السودان للداخل وتسويق المنتجات السودانية التى يتم الاتفاق عليها خارج السودان . ولكى تعمل الشركة على عائد تسويق المنتجات التى تصدرها مباشرة او التى يتم تصديرها عن طريق بعض مؤسسات الدولة حاليا او بواسطة القطاع الخاص تلتزم الحكومة عن طريق مؤسساتها المختصة "بنك السودان" بوضع نظام يضمن ايلولة عائد الصادر لهذه الشركة اولا وقبل الجهات الاخرى وتتولى الشركة استيراد الادوية والمواد الغذائية الضرورية ومدخلات الزراعة والصناعة الاساسية حسبما يتحدد بالاتفاق بين الحكومة والشركة .

٢- تقوم الشركة القابضة بانشاء شركة مساهمة عامة زراعية داخل السودان تشترى المعدات اللازمة لها من رأس مال الشركة القابضة وتوفر الاحتياجات المحلية بالعملة السودانى ممن نصيب مشاركة الحكومة فى الشركة الزراعية والمتمثل فى المشاريع الموجودة حاليا والتنتج بحالتها القصوى ومن وديعة بالعملة السودانى يقدمها البنك المركزى السودانى للشركة مقابل وديعة بالدولار تقدمها الشركة للبنك المركزى بحيث تغطى الوديعتين تدريجيا ووفقا لجدول زمنى يتفق عليه .

٣- انشاء شركة مساهمة عامة صناعية داخل السودان بنفس الاسس [illegible] غرار الشركة الزراعية اعلاه .

٤- انشاء شركة مساهمة عامة لخدمات الاتصالات ووسائل النقل حسب الاسس الموضحة فى (٢) اعلاه .

تكون مهمة الشركات الثلاث الزراعية والصناعية والخدمية خلال الخمس سنوات الاولى كالتالى :-

١- اقالة عثرات المشروعات الزراعية والصناعية والخدمية الموجودة حاليا سواء أكانت مملوكة للحكومة او القطاع الخاص ويتم تقييم كل مشروع على حدا وبالقيمة التى يساويه عند التقييم ولايمتد نشاط الشركات الثلاث الى المشاريع الجديدة بصفة اساسية الا بعد ان تكون المشاريع المستغلة قد بدأت تدر دخلا يسمح باعادة الاستثمار فى مشروعات جديدة او تعطى الطمأنينة لزيادة رأس المال.

٢- يكون للشركات الثلاث حق شراء مستلزماتها من مدخلات الانتاج وغيرها من الشركة التجارية فى البحرين بضمان صادرات الشركتين الزراعية

على المعدات والالات وقطع الغيار للشركات بنسبة ٥٪ على أن يبدأ التطبيق بعد سنوات الاعفاء.

الشرط السادس أن تكون علاقة الشركات من خلال لجنة اقتصادية بعيدة عن الادارات الحكومية، وأن تكون قرارات رئيس اللجنة نافذة على الجميع ولها قوة التنفيذ.

توزيع رأس المال والعائد

واقترحت الدراسة التى تم عرضها على الحكومة السودانية العسكرية وقبلتها، أن يكون توزيع رأس المال بواقع ٢٠٠ مليون دولار لاستيراد مستلزمات الانتاج الزراعى، و١٠٠ مليون لاستيراد إحتياجات السودان من أدويه أو مواد غذائية. و١٥٠ مليون لاعادة تأهيل القطاع الصناعى و٥٠ مليون لشركة الخدمات فى النقل والمواصلات.

وقال المؤسسون فى مذكرتهم أن توزيع العائد سيكون أولا لاستيراد مستلزمات الانتاج، وأرباح المستثمرين فى المرتبة الثانية ويخصص ١٠٪ لسداد أرباح المستثمرين القديمة والتى كانت فى مشروعات أخرى.

خطة قصيرة

واتفق المؤسسون على أن يتم خلال الفترة التى تسبق تأسيس الشركة القابضة... وبعد موافقة السودان.. يقوم المؤسسون بايداع ٢٠٠ مليون دولار بشركة الراجحى المصرفية.. ويتم تشكيل لجنة رباعية من الراجحى وصالح كامل والأفندى والأمير محمد الفيصل، تكون مهمتها التفاوض مع السودان لتحديد نسب الربح وشروط المرابحة، وضمان عائد الاستثمار فى خطة سريعة لتوفير متطلبات الموسم الزراعى الحالى والبدء فيها فورا.

ورغم مرور نصف العام الاول من الدعوة، وتكرار المراسلات للبنوك الاسلامية، الا أن هناك صمتا تجاه الدعوة.. ويبرر مسئول ببنك «إسلامى» هذا الصمت بقوله أن البنوك خائفة من الوضع العسكرى فى السودان.. بالرغم من كل الشروط والمزايا فهى لاتقبل المخاطرة مع حكم غير مستقر.

ورفض الشيخ صالح كامل الاستثمار الفردى.. وناشد البنوك الاسلامية بالاستثمار الجماعى حتى تكون قوة ضغط فى مواجهة أى شئ يحدث.. وناشد الجميع مساندة الحكم- الذى وصفه بالاسلامى- فى السودان .. ولكن!!

- ٢ -

والصناعية بحيث تسمح الحكومة لها ببيعها او تصديرها عن طريق الشركة التجارية لتستقطع من الايرادات قيمة المستوردات والربح المتفق عليه ثم تدفع ارباح المساهمين المستحقة وتحفظ فى حساب حر بالعملة الاجنبية والباقى يحول للبنك المركزى .

٣- بالرغم من الاعفاءات الضريبية التى يمنحها قانون الاستثمار فى السنوات الاولى فاننا نعتقد ان الحل الامثل فى ظل الظروف الاقتصادية السائدة هو ان تكون هنالك ضريبة بمقدار ١٠٪ "عشرون بالمائة" بحد اقصى من الارباح التى تزيد عن ١٥٪ منسوبة الى رأس المال وان تطبق كشريحة واحدة وذلك بعد انتهاء فترة الاعفاء الضريبى .

٤- ان يكون للشركة الحق فى استخدام ايدى عاملة غير سودانية فى بعض وظائف الادارة العليا والمتوسطة وبعض الوظائف الاشرافية .

٥- ان تطبق على الشركة شريحة جمركية موحدة للاصول الرأسمالية اللازمة لمدخلات الانتاج وقطع الغيار بنسبة ٥٪ وذلك بعد انتهاء فترة الاعفاء الجمركى .

٦- ان ترتبط الشركة فى علاقتها ومعاملاتها الحكومية مع اللجنة الاقتصادية وان تكون قرارات رئيس اللجنة الاقتصادية واوامره نافذه على كافة الجهات الحكومية المتعاملة مع الشركة حتى تتمكن الشركة فى هذه المرحلة تخطى البيروقراطية وتحقيق اهدافها للانطلاق بالاقتصاد القومى باسرع السبل وبأقصر الطرق وخصوصا تسهيل عمليات استيراد احتياجات الشركات .

فى تصورنا ان مبلغ ٢٠٠ مليون دولار من رأسمال الشركة توجه لاستيراد الاحتياجات الزراعية ومائة مليون دولار توجه لاستيراد حاجيات ضرورية هامة تهم الدولة مثل الدواء او غيره ومائة وخمسون مليون دولار توجه لاعادة تعمير القطاع الصناعى و ٥٠ مليون دولار يتم توجيهه لمتطلبات الاتصالات ووسائل النقل والتخزين.

ولاستمرارية التمويل واكتمال حلقة اصلاح مسار الاقتصاد نرى ان تكون التسديدات للمبالغ المشار اليها فى الفقرة اعلاه من قبل الشركتين الزراعية والصناعية او من الحكومة تسمح بتوزيع الارباح على الممولين ويعاد استخدام اصل المبلغ للسنة التى تليها وكذا للسنوات التالية .

نعتقد انه ولحين تحديد حجم الصادرات السنوية نرى ان تكون الاولويات فى استخدام العملة الصعبة الناتجة عن عملية التصدير كالتالى :-

أولا: مدخلات الانتاج

ثانيا: ارباح المستثمرين .

ثالثا: ان يخصص جزء لايقل عن ١٠٪ لتسديد ارباح المستثمرين القديمة و/او الديون التجارية القديمة وتزداد هذه النسبة بمقدار زيادة الفائض بين البنود التى سبقتها وبين المتبقى .

اما الخطة قصيرة المدى ولمعالجة اوضاع الموسم الزراعى الحالى والى ان تتم اجراءات انشاء الشركة القابضة وبعد الموافقة على هذه الوثيقة من قبل السلطات المختصة فى السودان مباشرة يقوم المؤسسون بايداع مبلغ ٢٠٠ مليون دولار امريكى لدى شركة الراجحى المصرفية تتولى لجنة تنفيذية مكونة من كل من :-

١- الشيخ سليمان الراجحى
٢- الشيخ ابراهيم الافندى
٣- الشيخ صالح عبد الله كامل
٤- ممثل لصاحب السمو الملكى الامير محمد الفيصل

تتولى التفاوض مع الحكومة السودانية على شروط بيع المرابحة للامر بالشراء لمستلزمات ومتطلبات الموسم الزراعى الحالى مقابل ضمان محصولات سودانية يتفق عليها فى شروط المرابحة ويعتبر هذا المبلغ جزءا من رأسمال الشركة يعود اصل المبلغ وارباحه الى الشركة القابضة لكى يستخدم فى احتياجاتها لوضع الخطة المتوسطة المدى موضع التنفيذ .

ختاما نرجو ان يساهم ماطرحناه من افكار ومرئيات فى دفع حركة الاقتصاد السودانى للغايات المرجوه تحقيقا لمصلحة الاقتصاد القومى ومصلحة المشاركين والمساهمين فى تصحيح مساره وفى اعتقادنا ان هذا الطرح الشامل والذى يلامس اساسا المشكلة ويغوص فيها لايجاد الحل الامثل لها يشرك كافة القطاعات ذات الصلة بالعملية الاقتصادية فى المجتمع والتى تشمل الدولة والمواطن والمغترب السودانى والمستثمرين لتحمل مسئولياتهم فى اصلاح وتقويم مسار الاقتصاد الوطنى على اساس من العدل والمساواة وشعور بالمسئولية متمنين للسودان كل تقدم وازدهار وان يعم خيره ابناءه وابناء الامتين العربية والاسلامية .

الاقتصاد/س قسم/ب..

الخيار الوحيد أمام جنرالات الخرطوم
أن يغيروا أو يتغيروا!

أمينة النقاش

فى ذكرى مرور عام على استيلائه على السلطة بقوة السلاح، وانقضاضه على التجربة الديمقراطية، وتهديمه لكل الأسس الدستورية والسياسية التى أقامتها حكومة الانتفاضة، أظهرت التصريحات التى أدلى بها الفريق عمر البشير رئيس المجلس العسكرى الحاكم فى السودان، وأكد فيها رفضه لعودة الحياة الحزبيه، النوايا المبيته للنتائج التى سيسفر عنها «مؤتمر الحوار القومى حول التنظيم السياسى»، الذى انعقد فى الخرطوم فى ٦ أغسطس، وينتظر أن ينهى أعماله فى أكتوبر القادم، وهو المؤتمر الذى يناط به وضع التصورات حول مستقبل النظام السياسى فى السودان، والبحث عما يسميه «صيغ جديدة» للمشاركة السياسية!

والأرجح أن تنديد الفريق البشير بالتجربة الديمقراطية وبالتعدديه الحزبية وتحميلهما كل الشرور التى لحقت بالسودان، سوف ينتهى بالمؤتمر الى رفض التراجع الى الوراء، عن نظام الحزب الواحد الشمولى، الذى يهيمن على السلطة منذ إنقلاب ٣٠ يونيو ١٩٨٩.

وخلال عام من الانقلاب، إنفضح الادعاء الكاذب بقومية نظام حكم البشير، وتأكدت علاقته الوثيقة بحزب واحد لايمثل جميع السودانيين، هو حزب الجبهة الأسلامية القومية، الذى لم يكن منهجه فى الحكم مقبولا فى أى وقت من الأوقات، والذى يعد امتدادا لحكم الجنرال المخلوع جعفر نميرى، حيث يحكم حلفاء نميرى السابقون بكاب عسكرى!

وبعد عام من الانقلاب، مازالت الأوضاع فى سودان الجنرالات الجدد، أسوأ من الأوضاع فى العهد الديمقراطى الذى يشهرون به، وأكثر سوءا من الأوضاع فى العهد الديكتاتورى الشمولى الذى يحتذون به.

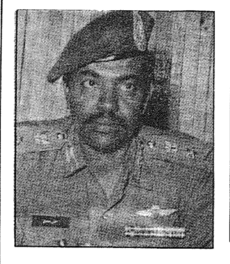
وعلى صعيد الأزمة الاقتصادية، فشل الأنقلاب فى استعادة التوازن الداخلى للأقتصاد السودانى، كما فشل فى وضع أى أسس لأصلاح البنيه المؤسسيه لإداراته، وساهمت الجبهة الأسلامية القومية فى تعميق الأزمة الاقتصادية، بسيطرتها على القطاع المصرفى، الذى اتخذت منه غطاء للمضاربة وتهريب العملة، مما أفسح الطريق واسعا أمام ظاهرة الفساد المالى والأدارى وتفشى الفوضى الأقتصادية.

وكان طبيعيا أن تزداد الديون الخارجيه خلال العام الأول لأنقلاب البشير بمقدار ٢ مليار دولار ليصل حجم الدين الخارجى الى ١٣ مليار دولار، ويرتفع العجز فى الميزان التجارى الى مليار دولار سنويا وترتفع معدلات التضخم الى أكثر من ٨٠٪ بعد أن أذعن البشير لشروط صندوق النقد الدولى وخفض سعر صرف الجنيه السودانى، ليصل الدولار الى ٣٣ جنيها فى السوق السوداء و ١٣ جنيها فى السوق الرسميه، كما ألغى الدعم عن السلع الغذائية الأساسية، وقام بتصفية عدد من مؤسسات القطاع العام الحيوية، ونقل ملكية بعضها الأخر الى القطاع الخاص وقد أسفرت هذه السياسة الاقتصادية عن تحمل الشعب السودانى بمختلف فئاته أوضاعا معيشية غايه فى السوء لم يشهد لها السودان مثيلا.

وعلى صعيد الحرب الأهلية المشتعلة فى الجنوب شهد العام الأول لأنقلاب البشير أكبر تصعيد لها منذ اندلاعها من ٣٥ عاما. ولم يعجز الانقلاب العسكرى فى حل مشكلتها فحسب، بل ساهم فى تأجيج نيرانها باصرارة على المضى قدما فى الأعداد لما يسميه إعلان «الجمهورية الأسلامية»، والتمسك بتطبيق النظام الفيدرالى الذى يرفضه الجنوبيون وعلى ضوء ذلك تصاعدت العمليات العسكرية

للحركة الشعبية خلال هذا العام، وتمكنت من احتلال أماكن لم تكن تحتلها من قبل وكبدت الجيش النظامي خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وفرضت سيطرتها على معظم حدود السودان مع أوغندا وكينيا وأثيوبيا، وإستنادا الى المنهج الطائفي الذي يعالج به إنقلاب البشير وحزبه الحاكم قضية الجنوب، أصبح الطريق ممهدا أمام الدعوات الرامية الى انفصال جنوب السودان عن شماله، وأمام صراع عربي أفريقي يساهم في تأجيجه الوجود الأسرائيلي القابع عند منابع النيل في أثيوبيا، والذي يخطط ليمد سيطرته للقرن الافريقي، عبر التحالف الاثيوبي الاسرائيلي، الذي يقوم بدور في مواجهة الحركة الاريتريه المدعومة من نظام البشير، الذي يعتقد بدوره أن الحركة الشعبية، ماكانت تستطيع أن تحقق ما أنجزته من نصر عسكري بدون عون من اثيوبيا

وخلال عام من حكم الجبهة الاسلامية القومية بقيادة الفريق البشير، ماكان لأنقلابه أن يعزز سلطته دون حل الأحزاب والنقابات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية والشعبية والتنكيل بقياداتها ومطاردتها واعتقالها وتصفيتها جسديا في أحيان آخرى. فمع حل البرلمان وتعطيل الدستور والأبقاء على حالة الطوارئ والأستمرار طوال هذا العام على نظام فرض حظر التجول، أطلق الفريق البشير يد الجبهة الأسلاميه القومية في كافة أجهزة الدولة المدنيه والعسكريه، فأخذت في تصفية حساباتها السياسية، التي تمثلت في إعدام التجار من الخصوم، و إفراغ مؤسسات الدولة من الكوادر الفنيه المؤهلة من التكنوقراط والدبلوماسيين والقضاة وأساتذة الجامعات وغيرها بفصلها من العمل وتسريح الالاف من قيادات الشرطة والجيش، وإعدام العناصر النشطة منها بتهم واهية.



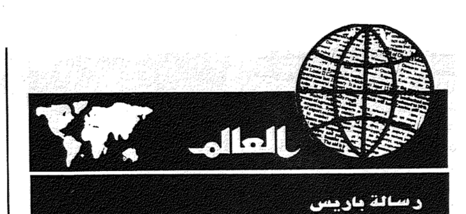
وشهد هذا العالم، أكبر ادانه دوليه من الولايات المتحدة الأمريكية والبرلمان الأوروبي ومنظمة العفو الدولية لنظام البشير بصفته اكثر الأنظمة انتهاكا للحريات وقمعا وحشيا لمعارضيها.

أوسعت التحركات الشعبيه التي تمثلت في المظاهرات والأضرابات والاضطرابات ومحاولات الانقلاب المتكررة، المجلس العسكري الحاكم في الخرطوم زعزعة وعدم استقرار، كما أثبتت أن حل النقابات والأحزاب، لم يلغ وجودها، وأن تعطيل الحياة السياسيه والبرلمانيه، ربما قد ساهم في تمكين البشير وحزبه الوحيد من السيطرة على الحكم ، لكن المؤكد أن بقاء الاوضاع على ماهي عليه لن يؤدي الخدمة نفسها، بعدما طوقت العزلة العربية والدوليه والافريقية نظامه. وفشل البشير في تحويل التكامل مع ليبيا من عمل إقتصادي الى محور سياسي وعسكري، كما توترت علاقاته بالحكومة المصرية التي بات لديها اقتناع راسخ بأنه حليف غير موثوق به، بعد أن تجمعت لديها الشواهد على قيام الجبهة الاسلامية القومية بعمل معسكرات لتدريب عدد من كوادر الاصوليين الاسلاميين في مصر.

وفي ظل تلك الاوضاع المعقدة، فإن معادلة التغيير في السودان أصبحت تفرض نفسها، فإما يتخذ البشير من هذا المؤتمر مناسبة للدعوة الى مصالحة وطنيه وصياغة تحول من الداخل ينسجم مع التغييرات الدولية التي لم يعد هناك مجالا للتهرب منها، ويستجيب لطموحات الشعب السوداني، وإما انه سوف يذعن لهذا التغيير، بعد أن وحدت قوى المعارضه لنظام حكمه صفوفها داخل التجمع الوطني الديمقراطي، الذي أخذ ينشر فروعه في انحاء العالم، وبات يشكل تهديدا حقيقيا لنظام البشير، بعد انضمام الحركة الشعبية لتحرير السودان- وهي قوة مسلحة- للتجمع، وإقرار الأخير للخيار العسكري طريقا للتغيير

فإما أن ينصت الفريق البشير لحقائق العصر، وإما يكره على القبول بها!





رسالة باريس

إزاء أحداث الخليج..

فرنسا تحاول إبراز موقفها المتميز

برلس كارمى

فى اليوم الخامس عشر بعد غزو العراق للكويت وإحتلال أراضيه وبعد الانزال العسكرى الأميركى فى أراضى المملكة العربية السعودية وعند كتابة هذه السطور يبدو المشهد فى باريس وقد تغير بعض الشئ منذ بداية الأحداث فى منطقة الخليج. وربما يتغير المشهد جذريا أو يبقى كماهو عندما تتاح قراءة هذه الرسالة. فسرعة تطور الأحداث وتقلبات المواقف السياسية واصطفاف القوى فى جديد على الساحة العربية يمكن من أن يغير فى خارطة منطقة الخليج والشرق الأوسط فى ظرف أسابيع أو حتى أيام اذا ماالستمرت الأحداث على نفس الوتيرة كما حدث منذ بداية شهر أغسطس.

فقد فاجأت أحداث الخليج وغزو العراق للكويت ومايترتب عليه من تطورات لاحقه الوسط السياسى الفرنسى بمختلف فئاته وكذلك رئاسة الجمهورية والوزارة الفرنسية والجميع فى العطلة الصيفية على شواطئ البحر للتخفيف من موجة الحر الشديدة التى إجتاحت فرنسا منذ نهاية شهر يوليو الماضى.

وكان رئيس الوزراء ميشيل روكار فى عطلته السنوية عند بداية الأحداث ولم يقطعها الابعد مرور أكثر من عشرة أيام على الأزمة. وقام بالنشاط الأساسى وباصدار ردود الفعل الرسمية الفرنسية وزير الخارجية رولان دوما وبيار بيروجوفوا وزير الاقتصاد والمال ورئيس الوزراء بالوكالة. وصرح دوما وزير الخارجية بعد استدعائه سفيرى دولة الكويت والعراق أن الحكومة الفرنسية تدين بشدة الاعتداء على الكويت وتطالب بالإنسحاب الفورى للقوات العراقية. وقال رئيس الوزراء بالوكالة أن «فرنسا تدين غزو القوات العراقية للكويت ادانه كاملة ومطلقة». وأضاف أن فرنسا تؤيد المطالبة بانسحاب القوات العراقية فى الكويت ومستعدة لدعوة مجلس الأمن للانعقاد لاتخاذ قرار بهذا المعنى.

ومساء يوم السبت ٥ أغسطس دعا الرئيس ميتران الى إجتماع طارئ فى قصر الاليزيه وضم وزراء الخارجية والاقتصاد والمال وعدداً من رؤساء أجهزة الأمن و الاستخبارات. وعلى أثر هذا الاجتماع صرح دوما وزير الخارجية أن فرنسا اتخذت منذ بداية الأحداث مبادرة ديبلوماسية لغرض إحترام القانون الدولى وتجييش الأسرة الدولية على كل المستويات وقد لاقت المبادرة مواقف مؤيدة من القوى الدولية الكبرى لكن، يضيف دوما «القرار الأهم الى الآن هو موقف المجموعة الأوروبية بفرضها حظراً شاملاً على مشتريات النفط العراقى والكويتى ويأتى الاجتماع والموقف الأوربى فى سياق جهود فرنسية حثيثة».

وأوضح دوما أن الرئيس ميتران أجرى إتصالات مع عدد كبير من زعماء العالم بينهم الملك فهد والرئيس بوش ورئيس وزراء أيطاليا جوليداندرتوتى بصفته رئيس المجموعة الأوربية، ورئيسة الحكومة البريطانية مارغريت تاتشر والرئيس حسنى مبارك والمستشار الألمانى الغربى هيلموت كول.

وأكد رولان دوما وزير الخارجية الفرنسى أن القيادات الدولية تدعم مقررات مجلس الأمن كما تؤيد مقررات المجموعة الأوربية، وأشار الى أن وزارة المال الفرنسية أصدرت قرارا بتجميد الموجودات العراقية والكويتية فى فرنسا. وأعلن الرئيس ميتران أن البحرية الفرنسية ستكثف من تواجدها فى منطقة الخليج وذلك بانضمام سفينة حربية ثالثة الى السفينتين المرابطتين حاليا فى المنطقة.

وازاء تطور الأحداث والطلب الذى تقدمت به السعودية الى الولايات المتحدة لمساعدتها عسكريا ومن ثم بدء عملية انزال قوات المارينيه فى قاعدة الظهران شرق المملكة، وأمام تفاعل أزمة الخليج بهذا الشكل الخطر، قرر الرئيس ميتران مرة أخرى عقد اجتماع وزارى طارئ ومصغر فى قصر الاليزية بعد ظهر يوم ٨ أغسطس. وقطع رئيس الوزراء ميشيل روكار إجازته الصيفية وعاد على وجه السرعة الى باريس للاشتراك فى متابعة التطورات.

وأفادت المصادر الفرنسية الرسمية أن هذا الاجتماع الوزارى يأتى فى سياق متابعة الموقف المتأزم فى منطقة الخليج وأن كل الاحتمالات ستدرس والدليل على ذلك هو تدعيم الوجود البحرى لفرنسا فى المنطقة. وبالنسبة لمشاركة فرنسا فى القوات المتعددة الجنسية التى سترابط فى الخليج وعلى أراض السعودية، فقد أوضحت المصادر الفرنسية أن قرار مجلس الأمن الدولى يتحدث عن حظر شامل تجارى مالى ضد العراق ولم يتحدث عن حصار بحرى وعسكرى. ويبدو أن فرنسا تتحفظ ومازالت على موقفها فى معارضة إقامة حصار عسكرى شامل حول العراق فى البحر والبر. ولكن نفس هذه المصادر الفرنسية أضافت أن القيادة الفرنسية تستعد لوضع كل السيناريوهات المحتملة لتطور الأزمة.

وبترؤسه هذا الاجتماع الحكومى المصغر الطارئ، أعطى الرئيس ميتران دفعا للموقف

الفرنسى من أزمة الخليج. وكان كبار المسؤولين الفرنسيين من وزراء و سياسيين تغيبوا عن باريس منذ مطلع شهر أغسطس بداعى العطلة الصيفية.

وعلم أن الرئيس ميتران أبدى امتعاضا لعدم قيام الوزراء الأساسيين فى حكومته بقطع اجازاتهم والالتحاق بمراكزهم فى باريس لمتابعة الأزمة الخطيرة الناشئة فإضطر الى استدعائهم على وجه السرعة والالحاح.

وفى هذا الاطار وصفت المتابعة الفرنسية للأحداث بأنها لم تكن على مستوى الدول الكبرى مقارنة بالولايات المتحدة وبريطانيا. فكان على الرئيس ميتران أن ينفرد تقريبا باتخاذ القرارات فى غياب مشاورات حكومية وافيه. ولم تشكك أحزاب وقوى المعارضة بصحة الموقف الفرنسى اذ إعتبر رئيس الحكومة السابق ريمون بار أن الموقف الرسمى الفرنسى الحازم إتجاه العراق جيد.

وطوال يومى ٨و ٩ أغسطس تواصلت المشاورات فى الدوائر الفرنسية المسؤولة وتناولت مسألة دراسة إشتراك فرنسا فى القوة المتعددة الجنسية التى ترابط فى الخليج وأشار وزير الخارجية رولان دوما على أثر هذه المشاورات الى أن فرنسا تجرى «تنسيقا» تاما سواء على الصعيد العسكرى أو المدنى، مع أصدقائها الغربيين.

ولايخفى المسؤولون الفرنسيون قلة حماسهم للاشتراك «بعمل ما» أكثر من العقوبات المفروضة حالياً وذلك تحت راية حلف شمال الأطلس أو برعاية أميركية، وأشارت مصادر رسمية الى أنه اذا دعت الحاجة الى تطوير الأجراءات الى حصار بحرى أو عمل عسكرى مباشر فان فرنسا تعتبر مجلس الأمن الجهة المؤهلة لإتخاذ القرار المناسب.

وتقول مصادر وزارة الخارجية الفرنسية أن أحد الهموم الأساسية لدى الحكومة الفرنسية هو ضمان سلامة رعاياها وعددهم ٢٣٠ شخصا فى العراق و ٣٠٠ فى الكويت والعمل على إخراجهم من هناك. وأكدت هذه المصادر أن فرنسا تجرى لهذه الغاية اتصالات مكثفة مع جهات عدة بما فيها الصليب الأحمر والحكومة العراقية عن طريق سفيرها فى باريس.

وتقرر أن تكون اجتماعات خلية الأزمات فى الرئاسة الفرنسية مفتوحة على مدار الساعة لمتابعة تطور الأحداث. وعلق المراقبون على الخطوة الفرنسية التى أعلن عنها مساء يوم ١٠ أغسطس والقاضية باعطاء الاوامر لحاملة الطائرات «كليمنصو» ترافقها السفينة حاملة الصواريخ «كولبير» وسفينة التموين «لوقار» للتوجه نحو الخليج لتدعيم الوجود البحرى الفرنسى هناك، بأنه جاء فى سياق رغبة فرنسا بلعب دور فى الأزمة الحالية إلى جانب الولايات المتحدة وبريطانيا.

غير أن إعلان الرئيس ميتران قراره بعد يومين من القرار الأميركى والبريطانى مرده الى سياسة فرنسا التقليدية القاضية بالحفاظ على موقف مستقل من واشنطن حيال قضايا العالم. وإعتبر المراقبون فى باريس أن الخطوة هى بمثابة «إثبات وجود لفرنسا كدولة كبرى من دون أن يعنى ذلك المضى فى موقف مماثل لموقفى الولايات المتحدة وبريطانيا، ولاحظ هؤلاء أن الرئيس الفرنسى وفى الكلمة التى ألقاها لاعلان القرار بتدعيم الوجود البحرى العسكرى الفرنسى فى منطقة الخليج لم يأت على ذكر الرئيس صدام حسين ولم يتخذ موقفا شديد المعاداة أو متطرفا ورسم حدود الدور الفرنسى عندما قال أنه قد يصل الى حد إرسال معدات حربية وخبراء الى الخليج.

وفى هذا المجال أشار وزير الخارجية رولان دوما الى أن المعدات ستسلم الى السعودية أما الخبراء فإن دولة الإمارات وحدها قدمت طلباً لاستقدامها نظراً لأن سلاح الطيران لديها يعتمد على طائرات الميراج الفرنسية، وأضاف مصدر حكومى فرنسى قائلا أن أى عمل جاد فى هذا المجال ينبغى أن يتم تحت مظلة الأمم المتحدة.

من جهة أخرى حظى قرار الحكومة بتأييد واسع النطاق فى الأوساط السياسية من الأكثرية الحاكمة والمعارضة على السواء، وصرح رئيس الخارجية فى مجلس الشيوخ جان لوكانوويه، أحد زعماء حزب الاتحاد الديمقراطية الفرنسى اليمينى المعارض، أن مهمة القطع البحرية يجب أن تكون «دفاعية وليس هجومية» ولكنها ضرورية وعلى فرنسا أن تتحمل مسؤولياتها الدولية.

وبعد هذه الخطوة بيومين فى ١٣ أغسطس كشفت فرنسا تحركها الديبلوماسى فى شأن أزمة الخليج فاتخذ الرئيس ميتران قراراً بايفاد ١٢ مبعوثا شخصيا الى ٢٤ دولة معنية بالأزمة بشكل مباشر أو غير مباشر وأشار بيان صدر عن قصر الاليزية الى أن مهمة المبعوثين ال ١٢ تهدف إلى تسجيل تحرك علنى وبأعلى المستويات . وكلف هؤلاء المبعوثين عرض الموقف الفرنسى لرؤساء الدول التى سيزوورنها وتقديم شرح عن الاجراءات التى بدأت فرنسا فى تطبيقها.

على صعيد آخر وفى إطار المشاورات الرسمية المتواصلة فى باريس على أعلى المستويات إجتمع ميتران مع رئيس الجمعية الوطنية (البرلمان) ثم مع رئيس مجلس الشيوخ وأعلن رولان فابيوس رئيس البرلمان أن هذا المجلس سيدعى لإجتماع طارئ فى حال حدوث تطورات دراماتيكية، علماً أن الدورة المقبلة للبرلمان تبدأ فى ٤ أكتوبر المقبل.

وسيمثل وزير الخارجية أمام مجلس الشيوخ لمناقشة أزمة الخليج والموقف الفرنسى فى حضور أعضاء لجنة الدفاع والأمن فى المجلس. وعلم أن «خلية الأزمة» فى وزارة الخارجية الفرنسية عقدت إجتماعها اليومى فى ١٣ أغسطس ودرست الموقف الذى عبر عنه الرئيس جورج بوش بقراره إعتراض السفن التى تخرق الحظر المفروض على العراق.

ورأى مصدر مطلع أن فرنسا لايمكنها الاشتراك فى الخطوة الأميركية لأن قرار مجلس الأمن رقم ٦٦١ تاريخ ٩٠/٨/٦ نص على فرض حظر ومقاطعة العراق وليس على فرض حصار. ورأى المصدر أن «المسألة خطيرة جداً لأنها بمثابة إعلان حرب». وشدد على ضرورة ربط أى تصعيد فى الاجراءات المتخذة ضد العراق بقرار مجلس الأمن.

هذه هى بشكل عام صورة الموقف الفرنسى من أحداث منطقة الخليج وقد أخذ شيئا فشيئا يتبلور ويبتعد قليلا عن الموقف الأمريكى حتى أن رولان دوما وزير الخارجية قال فى حديث مع إحدى المجلات الاسبوعة الفرنسية أن هناك أخطارا ستترتب على محاولة الولايات المتحدة لعب دور الشرطى على صعيد العالم وأن هذا الدور يعود بطبيعة الحال الى الأمم المتحدة، ويتمحور الموقف الفرنسى حول نقطة أساسية وعامة عبر عنها أيضا وزير الخارجية حين صرح أنه فى أجل الوصول لحل نهائى وسلمى لأزمة الخليج من الضرورى الأخذ بعين الاعتبار «الحساسية الخاصة» لشعوب المنطقة المعارضة للهيمنة الاميركية وللاحتلال الاسرائيلى المدعوم أمريكيا. وبنظر فرنسا فإن أزمة الخليج أبرزت بوضوح مجدداً أن حل المشكلة يكمن فى «الوضع البائس للفلسطينيين وفى الفوارق الهائلة الاقتصادية بين دول الخليج الغنية والقليلة لسكان وبين الدول العربية الفقيرة الأهلة بالسكان.

فهناك توزيع للثروات غير عادل فى منطقة الشرق الاوسط تجعل منها برميل بارود وأزمة الكويت الأخيرة إحدى تجلياتها.

رسالة موسكو

قانون الصحافة الجديد
بعد ٧٣ عاماً من قانون الطوارئ!

احمد الخميسى

فى العشرين من يونيه من هذا العام نشرت الصحف السوفيتية- أخيرا- قانون: «المطبوعات ووسائل الاعلام»، ولم يمض شهر حتى أصدر جرباتشوف مرسوما رئاسيا فى ١٦ يوليه حول :«تطوير الاذاعة والتليفزيون واشاعة الديمقراطية فيهما». وقبل صدور هذين القانونين لم تكن الحرية التى أتاحتها البيرسترويكا للمواطنين فى مواجهة السلطة سوى هبة ومنحة من السلطة نفسها، هبة لاينص عليها أى قانون، وقبل هذين القانونين عاشت الصحافة السوفيتية والاعلام فى ظل قانون للطوارئ استمر ٧٣ عاما كاملة، وهو قانون المطبوعات الأول الذى وقعه لينين بعد الثورة فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩١٧. وحينذاك وعد لينين المواطنين السوفييت بأن ذلك «قانون مؤقت، تفرضه الظروف»، وانه ما أن تستقر الأوضاع للسلطة الشعبية الجديدة حتى يحصل الناس على: «أكثر القوانين تقدمية» وترفع كافة أشكال العقبات والموانع الادارية عن الصحافة، وقد نص ذلك القانون على: «أنه القانون الذى يحدد سياسة الدولة السوفيتية بالنسبة للصحافة المعادية للثورة «وأقر بضرورة: «وقف نشاط الصحافة والمطبوعات المعادية باعتبارها أحدى أخطر أسلحة البرجوازية التى لاتعنى حرية الصحافة بالنسبة لها الا حرية الطبقات المالكة فى تسميم العقول وتشويه الوعى «ودعا القانون لاغلاق الصحف التى تدعو: «للمقاومة الصريحة لحكومة العمال والفلاحين والتمرد عليها، أو تقوم بتشويه الحقائق، أو تحض على الأفعال المخالفة للقانون»

واحتجت الأحزاب الأخرى على ذلك القرار فى حينه احتجاجا واسعا ومنظما، فاتخذ مجلس مفوضى الشعب قرارا فى ٧ نوفمبر من نفس العام باحتكار الدولة للاعلام، وقامت الحكومة بمصادرة مطابع وأموال الصحف الاخرى ونقلها لملكية الدولة. وتوالى الصراع بين السلطة الجديدة والأحزاب حتى أقامت الحكومة فى ١٨ ديسمبر ١٩١٧ :«محكمة الثورة للصحافة». وبناء على أحكامها تم اغلاق مائة وخمسين صحيفة فى الشهرين الاولين من عمر الثورة.

واعتقد لينين أن الأوضاع المؤقتة لن تدوم، وأن قانون المطبوعات المؤقت لن يطول به الامد، لكن الحرب الاهلية أججت حالة الطوارئ واستمرت فى العواصم الكبرى من عام ١٨ حتى عام ٢٠ وفى المدن النائية مثل عاصمة تركمينيا استمرت حتى عام ٢٤ أى الى وفاة لينين. ولم يتمكن لينين من أن يفى بوعده لأن نشاطه العملى توقف عام ٢٢ وكانت آخر كلمة يلقيها فى اجتماع عام هى كلمته فى ٢٠ نوفمبر عام ٢٢، وفى تلك السنة نفسها تمكن ستالين فى المؤتمر الحادى عشر من استحداث منصب «سكرتير عام الحزب» والفوز به، ولم يكن منصب «السكرتير العام» موجودا من قبل. وأحكم ستالين قبضته على السلطة بينما ظل لينين لمدة سنتين- حتى وفاته- تحت رقابة ستالين الذى جعل من زوجته «ناديجدا الليليوفا» سكرتيرة شخصية للينين فى السنتين الاخيرتين.

وبوفاة لينين عام ١٩٢٤ تحول القانون المؤقت للمطبوعات الى القانون الوحيد للاعلام والصحافة فى الاتحاد السوفيتى، وتزايدت عيوب ذلك القانون فى ظل سيطرة حزبية وبيروقراطية، ولم يحاول أحد أن يمسه بتعديل حتى صدر القانون الأخير الذى سرى العمل به فعليا من الأول من أغسطس هذا العام.

وفى ٨ أغسطس كتب.

«فيودوربورلاتسكى» رئيس تحرير «الليتيراتورنايا جازيتا» يقول عن القانون الجديد: «على الرغم من أننى لست واثقا أننا قد تلقينا المرسوم «الأكثر تقدمية» الذى وعدنا به لينين فيما مضى، الا أن القانون الجديد يعد مع ذلك خطوة ضخمة لنشر الديمقراطية فى بلادنا».

وأهمية قانون جرباتشوف ليست فى أهمية ماجاء به، ولكن فى أنه القانون الأول بعد ٧٣ عاما من الطوارئ تحولت فيها «السلطة الرابعة» الى صفحات متكررة بعناوين مختلفة. ويقع القانون الجديد فى سبعة أبواب تشتمل على ٣٩ مادة، أغلبها تتصل بوضع الاسس الخاصة باجراءات صدور الصحف الخاصة غير الحكومية، وتحديد أسس العلاقة بين الناشر والجهة الممولة ورئيس التحرير، والجهة التى تنظر فى الخلافات المالية والادبية وكيفية تسجيل طلب تأسيس مجلة أو صحيفة، ونظم التظلم عند وقف الصحف أو الوسائل الاعلامية، وطرق توزيع الصحف، وحق التكذيب وضرورة نشره، والتعويضات التى تدفع فى حالة اغلاق الجرائد وغير ذلك.

واذا تركنا الجانب التنظيمى من القانون، سنرى أنه ينص على: «المطبوعات ووسائل الاعلام الاخرى حرة. ويمنع فرض الرقابة على كافة الوسائل الاعلامية»، وتحدد المادة الاولى من القانون أن المقصود بحرية الكلمة والنشر هو : «حق التعبير والبحث عن المواد

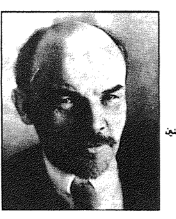
الاعلامية والحصول عليها بكل الطرق وتوزيعها ونشرها بكل السبل»، وتشمل المواد الاعلامية: «الاخبار والمواد الصوتية والمطبوعة والمرئية التى يجرى نشرها على نطاق عام». ويمنح القانون حق تأسيس الصحف وغيرها لكل مواطن تجاوز الثامنة عشرة ولكل الهيئات والمنظمات والروابط الاجتماعية.

وينص القانون أيضا على: «منع عملية احتكار أية وسيلة اعلامية فى مجال الصحافة والاذاعة والتليفزيون «وهو نص يتوافق مع ضرب احتكار الحزب الشيوعى للعمل السياسى، وتكاد المادة ٢٤ ان تضع الدولة تحت رقابة السلطة الرابعة فتقول:« من حق المواطنين الحصول بالسرعة اللازمة على المعلومات المؤكدة والصحيحة حول أوجه نشاط الدولة والاتحادات والمسئولين». وتعترف المادة ٣٣ بحق المواطنين فى الحصول على المواد الاعلامية من خلال المصادر الأجنبية، واخيرا تسمح المادة ٣٤ للمنظمات الصحفية السوفيتية والاتحادات الفنية بأن تبرم العقود مع المواطنين الاجانب والمنظمات الأجنبية».

وقد أثار القانون مناقشات ساخنة انصب معظمها على «الرقابة» التى يذكرها القانون فى صيغة مهذبة حين يقول: «يمنع استغلال وسائل الاعلام لافشاء المعلومات السرية الخاصة بالدولة أو التى ينص القانون على سريتها، كما يمنع الدعوة الى اسقاط أو تغيير نظام الدولة القائم والنظام الاجتماعى بطريق العنف..».. ويتخوف قسم كبير من رجال الاعلام من تلك المادة، لأن أحدا لايدرى كيف ستفسر «أسرار الدولة»؟.. وقد كانت هناك- ومازالت- الادارة المركزية لحفظ أسرار الدولة التى قال عنها الصحفى «نيكولاى أندرييف» فى الايزفستيا أنها لم تكن :« تحفظ اسرار الدولة التى يقر الجميع بوجودها، لكن هذه الادارة كانت تدافع دائما عن الدوجمائية والمصالح الخاصة ببعض الهيئات، وقد اعتبرت هذه الادارة أن حياتنا كلها هى سر لايجوز افشاؤه».

ويثير قانون المطبوعات الجديد عدة مشاكل سياسية واقتصادية وتنظيمية. فليس معروفا بعد كيف ستكون العلاقة بين الجمهوريات الاتحادية والمركز الاتحادى فى ذلك المجال. كما أنه ليس معروفا بعد الكيفية التى «سيمنع بها احتكار الدولة للصحافة» وكيفية انتقال الصحف من جهاز الدولة- وكل الصحف حكومية- الى أيادى الناشرين من الافراد.

أما المشاكل الاقتصادية فكثيرة. فعلى الرغم من أن القانون يمنح للمواطنين الحق فى اصدار الصحف والقنوات التليفزيونية الخاصة والاذاعية، الا أن الواقع لايمنح أحدا هذا الحق. فكيف يمكن فى ظروف الانهيار الاقتصادى تلك لفرد واحد أو مجموعة أفراد أن تتوفر لها الامكانيات المادية لاصدار صحيفة؟. ومن أين لتلك المجموعة بالمطابع والتمويل والورق؟. والمطابع الوحيدة فى الاتحاد السوفيتى كلها مطابع الدولة وهى قديمة الى درجة أن تجديدها يحتاج الى أكثر من مليار روبل؟ وهناك مشكلة الورق، وهى مشكلة حادة توقفت بسببها بعض المجلات مثل مجلة «نوفى مير»، وقد حاولت وزارة صناعة الاخشاب حل



لينين



ستالين



جورباتشوف

أزمة الورق برفع سعره، فقررت زيادة أسعار الورق بنسبة ٧٤٪ بدءا من عام ١٩٩١. ولاتستطيع الدولة أن توفر الورق لنفسها بالاسعار العالمية التى وصل فى ظلها طن الورق الى سبعمائة دولار.

ورغم ان الكثيرين قد ابتهجوا بصدور القانون وبما يمنحه من حريات، الا أن ظروف الافلاس العامة قد جعلت من القانون فاكهة محرمة. ومازالت أحسن الفرص هى الفرصة المتاحة أمام الصحافة الحكومية مثل «البرافدا» وغيرها بحكم استقرار وضع تلك الصحف التى أخذت تحت وطأة الشعور بالمنافسة والخطر تتميز وتكتسب ألوانها وطعومها المختلفة.

وفى ١٦ يوليه، بعد نصف شهر من سريان مفعول قانون المطبوعات، صدر مرسوم جورباتشوف حول:«تطوير الاذاعة والتليفزيون واشاعة الديمقراطية فيهما».

ويشمل هذا المرسوم على مقدمة وخمسة بنود. وتشير المقدمة الى التعددية السياسية التى صارت واقعا وما تتطلبه من تعديلات فى مجال الاذاعة والتليفزيون، وأولها ضرورة أن يتخذ مجلس السوفييت الاعلى قرارا ينظم نشاط هذين الجهازين الاعلاميين ويحدد وضعية «لجنة الدولة للتليفزيون والاذاعة». ويفهم من هذا ازاحة دور لجنة الدولة وكسر احتكارها للجهازين. وثانى التعديلات «توسيع حقوق وسلطات الجمهوريات الاتحادية على التليفزيون والاذاعة داخل نطاق الجمهوريات» و«منح التراخيص للمواطنين والهيئات لانشاء وتأسيس محطات اذاعية وتليفزيونية وتأجير عدد من ساعات الارسال وانشاء استديوهات خاصة وذلك بدءا من شهر سبتمبر هذا العام» وثالث التعديلات اقرار مبدأ أن «يمارس التليفزيون والاذاعة العمل المنوط بهما بدون تبعية لمنظمات سياسية واجتماعية.. ويمنع احتكار هذا الحزب أو ذاك لساعات الارسال» والتعديل الرابع هو النظر فى امكانية واحتمالات ان يقوم هذان الجهازان بتمويل نشاطهما ذاتيا!. أما التعديل الخامس والأخير وهو الأهم فينص على: «ضرورة استخدام النظم الفضائية مثل «جيليكون» والاقمار الصناعية التى تنقل للسوفييت البرامج التليفزيونية العالمية». وقد جرى بالفعل فى بعض مناطق أوكرانيا تركيب الأجهزة (الايريال) التى تلتقط بها بعض الهيئات البرامج الاميركية ومن ضمن تلك الهيئات الجامعات والمعاهد التعليمية.

اليسار: ثورة الوعي

ما الذى قاله آليج كالوجين أو ثورة الوعى الجديد

احمد الخميسى

تلوح فى شوارع البيرسترويكا وزحمة مولدها شخصيات وظواهر غريبة. منها اضراب العاملين فى المجال الثقافى يوم ٦/٢٨، وكان رأس المضربين وزير الثقافة السوفيتية «جوبينكو» وذلك احتجاجا على ضآلة المرتبات وضآلة ماتخصصة الدولة من ميزانيتها للثقافة وهو ٠٢ ,١٪، وبحسبة دقيقة فان نصيب الفرد يوميا ٣ كوبيك! وفى ذلك اليوم توقف النشاط فى المسارح والسينما وقاعات الموسيقى خمس دقائق كاملة. وفى نفس اليوم ظهر على شاشة التليفزيون صحفى سوفيتى يقول تعليقا على الاضراب: « ولماذا لايفكر أيضا العاملون فى بعض المجالات الاخرى تجربة مثل هذه الاضرابات؟»، ولم يكن مفهوما على من يحتج «جوبينكو» وهو الوزير المسئول عن الثقافة فى الحكومة؟. أم أنها محاولة السلطات نفسها لاستثارة الوعى فى العقول؟ لتحريك ماتكلم عنه جورباتشوف كثيرا «ثورة الوعى»؟.

وهناك ظاهرة اختطاف الطائرات السوفيتية، التى يتسلى بها شباب بلا هدف محدد. وكيف يجرى هذا فى دولة تتركز كل قواها فى أجهزة الأمن والأسلحة؟ وكيف هبط الطيار الألمانى الغربى «شنايدر» فى مطار «باتومى» بجمهورية جيورجيا ليترك رسالة لجورباتشوف وباقة من الزهور فى أرض المطار ثم يحلق عائدا بأمان من حيث أتى؟.

هناك كذلك ظاهرة افساد بهجة الاحتفال بالمناسبات التاريخية الكبرى، مثلما حدث فى الاحتفال بالذكرى ٧٢ لثورة أكتوبر، حينما مرت مواكب من المتظاهرين حورل الساحة الحمراء تهتف بسقوط الحزب؟. وهل حقا نامت أعين الأجهزة؟. وكان الاحتفال بالذكرى المائة والعشرين لميلاد لينين أقرب مايكون الى مأتم تراجع فيه أخطاء الثورة ويترحمون فيه على آخر القياصرة الذى قتل ظلما وعدوانا.

وفى عيد العمال الأول من مايو مر موكب أمام منصة جورباتشوف وكبار الضيوف ليهتف بسقوط الحكومة والحزب رافعا صورة القيصر وأعلام روسيا. حتى اضطر جورباتشوف للانسحاب وترك المنصة.

وهناك ظاهرة الطبيب الأفاق «كاشباروفسكى» الذى واصل من شاشة التليفزيون تنويم الشعب السوفيتى مغناطيسيا لمدة ٣ أشهر؟.

ومن آخر تلك الظواهر انشاء رابطة للشواذ من الجنسين واجراء التليفزيون السوفيتى- من باب اشاعة الديمقراطية- لحوار مطول مع زعماء الرابطة الذين أضافوا لجملة مطالبهم الشخصية مطلبا اجتماعيا وهو الدفاع عن الطفولة وحمايتها؟!

ولا أظن أن الديمقراطية قد بلغت أقصى مدى لها بحيث يتم اختراق تلك الاحتفالات الرسمية والشعبية مثل عيد العمال وعيد الثورة وغيرهما، وليس من الديمقراطية أيضا أن يتولى التليفزيون- وهو جهاز اعلامى موجه للأسرة- النفخ فى رابطة لايتجاوز عدد أفرادها عشرة أشخاص.

وتظهر كذلك شخصيات غريبة، شخصيات ثانوية، قد لايطول بقاؤها فوق منصة مسرح استثارة الوعى الجديد، وقد تظل لفترة، ومع ذلك فان هذه الشخصيات ضرورية للغاية ومن دونها لاتكتمل الأحداث ولاتغتنى الرواية المعروضة. ومن تلك الشخصيات امرأة تجاوزت الاربعين، لاتشارك الا فى مظاهرات واجتماعات «الديمقراطيين الجدد» فتقف بملابسها البسيطة وهى تحمل يافطة عليها صورة جندى شاب وقد كتب تحتها بخط كبير «ابنى قتل فى أفغانستان»! وتظل تحكى لمن تصادفه قصة ابنها الذى راح ضحية التدخل السوفيتى فى الخارج. تحكيها دون أى احساس أو معاناه. فاذا تكلمت معها كلمتين خارج هذه القصة ستجد أن هذه المرأة التى احترفت مظاهرات الديمقراطيين لاتكاد تعى من الذى حكم الاتحاد السوفيتى من قبل ومن الذى يحكمه الان. وقد تعمدت فى ثلاث مظاهرات ان أقف مع الملتفين حولها لاستمع اليها فوجدتها فى كل مرة تخلط التواريخ والملابسات التى مات فيها ابنها حتى أيقنت أن أجرها عن المظاهرة الواحدة لايمكن أن يتجاوز الخمسة روبلات!

وهناك محترف ديمقراطى آخر كان يقف دائما ويحمل يافطة على صدره مكتوب عليها: «أنا مضرب عن الطعام حتى الموت أو أن يستقيل ليجاتشوف»! وقد رحل ليجاتشوف ولا أدرى أى شعار سياسى جديد سيضعه الان على صدره

لكن هناك شخصيات أخرى تقوم بأدوار أخرى أكثر أهمية، مثل المحققين القضائيين «جدليان وايفانوف» اللذين تحملا لفترة طويلة عبء اثارة الفضائح المالية حول القادة السياسيين وتحديدا ليجاتشوف. ويبدو أن هناك خطة لخلخلة الهواء القديم فى الحياة السوفيتية، خطة يتم بموجبها التفتيش عن الظواهر والشخصيات المطلوبة كاختطاف الطائرات وتخصيص امرأة تقف شبه عارية فى ميدان ومن حولها أطفالها لتقول:

الدولة قد شردتنى ولا أجد شقة للسكن. خطة تستهدف أن يصبح كل مستحيل ممكن فى وعى الناس. وأن ينكسر الشعور

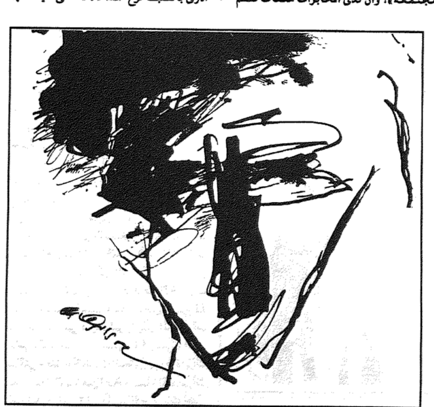
باستقرار الحياة والدولة، وأن ينشأ من ضوء المفاجآت المتلاحقة احساس بانهيار المجتمع وتهدمه وامكانية تجاوز كل شئ وأى شئ وآخر المفاجآت الكبرى التى برزت على خشبة مسرح الوعى ماقاله العقيد «آليج كالوجين».

والعقيد هو ضابط كبير فى المخابرات السوفيتية وعمل فيها ثلاثين عاما حصل أثنا ءها على ٢٢ وساما من الدولة تقديرا لدوره فى قسم الجاسوسية السوفيتية فى الولايات المتحدة. وقد بدأت القصة عندما أدلى - آليج كالوجين- بحديث لجريدة «الكومسومولسكايا» فى ٢٠ يونيه الماضى قال فيه انه بدأ نشاطه كضابط فى المخابرات بالسفر الى أمريكا للدراسة فى جامعة «كولومبيا» عام ١٩٥٨ وذلك ضمن اتفاقية لتبادل الطلاب تم توقيعها فى عهد خروشوف. وأنه لايستطيع أن يصرح بأرقام محددة أو أسماء، ولكنه يكتفى بالقول بأنه لم يكن الضابط الوحيد فى ذلك الوفد الطلابى. وبعد عودته من أميركا جرى الحاقه بالعمل فى الاذاعة السوفيتية. ثم سافر بعد تسعة أشهر الى نيويورك- بتغطية من الاذاعة- حيث نشط لمدة أربع سنوات ونجح فى الجمع بين عمله الاساسى والعمل الصحافى. وتسأله الصحيفة: «هل يجمع كل الصحفيين السوفييت فى الخارج بين عملهم فى المخابرات والصحافة؟» ويجيب: «كلا ليس الجميع. ولكن الكثيرين منهم يتعاونون معنا ويقومون بمساعدتنا فى بعض القضايا.» وبعد عودته من نيويورك عام ١٩٦٤ قررت المخابرات أن تقوى وضعه وتغطيته، فمنحته جواز سفر دبلوماسى بصفته السكرتير الثانى للسفارة فى واشنطن. وفى تلك الاثناء كان قد ترقى فأصبح نائب رئيس قسم «المخابرات السوفيتية فى أمريكا». وردا على سؤال حول طبيعة نشاطه هناك، قال ان العمل ينقسم الى ثلاثة أقسام «الاستخبارات السياسية»، و«الاستخبارات العلمية والتقنية»، و«الاستخبارات على المخابرات الامريكية» وأنه غالبا ما كان يدفع للعملاء لقاء المعلومات وان ميزانية المخابرات السوفيتية غير محدودة بالعملة الصعبة والمحلية. وبعد عودة «كالوجين» تم تعيينه نائبا أول لمدير المخابرات فى لينينجراد. ويقول انه اكتشف من عمله فى الداخل أنه: «ليس هناك مجال واحد من مجالات حياتنا لاتمتد اليه أيادى المخابرات السوفيتية وظلالها». وقال ان المنهج المسيطره على ذلك الجهاز هو المنهج الستالينى وذلك منذ نصف قرن والى الان

وتتبدل فقط أهداف عمل الجهاز فى الداخل فهى اما القوميين، أو المعارضين عموما، أو التروتسكيين، أما الان فان الجهاز مشغول بمنظمى الاضرابات والأحزاب الجديدة، وأن المخابرات تعتمد دائما على تفجير تلك المنظمات من الداخل بزرع عميل وسطها، وأن العملاء الذين يتعاونون مع الجهاز من الخارج ينقسمون الى نوعين: الأول أولئك الذين يتلقون مكافآت بصورة منتظمة لقاء المعلومات، والنوع الثانى يتلقى هدايا فى المناسبات وتسهيلات فى الحصول على سيارة أو شقة.. وقال أن هناك وسائل أخرى تلجأ اليها المخابرات لوضع المنظمات الشعبية تحت رقابتها، مثال ذلك ماقام به الجهاز فى لينينجراد حينما انتشرت موضة الموسيقى الروك بين الشباب، وحينذاك أقامت المخابرات ناديا لهواة الموسيقى الروك فقط لكى يكون أولئك الشباب تحت عينها ورقابتها فلاتنقلب الحركة الموسيقية الى حركة سياسية!.

وسألته الصحيفة: «هل يمكنك أن تحدد لنا عدد العاملين فى الجهاز؟» فقال: «بالطبع لا. ولكنى يمكننى القول أنه عدد ضخم جدا ولايتناسب مع حجم المخاطر الخارجية او الداخلية. وأقول لكم ان الجهاز المختص بمدينة موسكو فقط يتفوق من حيث عدد العاملين فيه على كل أجهزة المخابرات الاميركية مجتمعه»! وأن لدى المخابرات ملفات تضم معلومات عن الملايين من المواطنين السوفييت والأجانب! وسألته: «وهل تقوم المخابرات السوفيتية بعمليات اغتيال سياسية؟» فقال: «لست أدرى ماالحال الان، ولكن فيما مضى كنا نقوم بذلك»!. وقال «اننى لم أقم بمثل تلك العمليات ولكنى كنت أعرف بها» وأضاف أنه ليس هناك أى مجال ممنوع على المخابرات، باستثناء جمع المعلومات حول القيادة السياسية للبلاد. ولايتلقى ال «ك.ج.بى» الاوامر والتعليمات الا من اللجنة المركزية للحزب. وان هناك قسما خاصا بالمخابرات مهمته الوحيده هى تشويه سمعة الخصوم السياسيين للحزب باختلاق كافة القصص عنهم وترويجها! وان بعض الفضائح التى تروج حول بعض الشخصيات القيادية تعود الى التنافس بين الاقسام المختلفة من داخل الجهاز والى تضارب المصالح مابينهم فى بعض الاحيان. وذكر فضيحة بيع الطائرات والدبابات السوفيتية التى جاء فيها ذكر «ريجكوف» رئيس الوزراء. ودعا العقيد «كالوجين» لاعادة بناء المخابرات بالغاء كافة المنظمات الحزبية بداخلها وعدم صبغها بصبغة سياسية أو ايديولجية.

وفى نهاية الحديث. سألت الصحفية العقيد «كالوجين»: «والان ماهى فى تصورك عواقب حديثك ذلك؟» فقال: «لا أدرى بالضبط نوع المشكلات التى سيحدثها





ذلك الحديث المنشور». فعادوت الصحيفة تسأله:« وهل من المعقول ان رجلا بمثل خبراتك لايعرف ماالذى ينتظره؟»

فقال: «المخابرات عندنا منظمة تتمتع بقدرة واسعة على الاختراع والخيال.. ولكن لدى أنا الآخر مايمكننى استخدامه».

وعند ذلك الحد ينتهى حديث «كالوجين»، لتبدأ من بعده حملة المخابرات عليه وتجريده من كل الاوسمة التى حصل عليها رسميا ومن كافة ألقابه. ولتبدأ من الناحية الأخرى المنظمات السياسية فى تبنى قضيته والمطالبة فى كل اجتماع ومظاهرة بحمايته والدفاع عنه. وفى ٦ يوليه يواصل كالوجين توسيع ماقاله وذلك فى مجلة «حقائق ووقائع». ولكنه فى هذه المرة يخلع عن نفسه ملابس ضابط المخابرات ليرتدى ملابس المكافح السياسى الشعبى، فيقول: «تعلمون أن الحزب قد نحى جانبا اليوم الكثير من شعاراته السابقة مثل النضال ضد الامبريالية العالمية والصراع الطبقى، والتزم باعلاء القيم الانسانية العامة فوق كل شئ. اذن ماهو دور المخابرات فى هذه الظروف الجديدة؟. هل هو الانشغال بمتابعة اذاعة «صوت الحرية» الامريكية؟ وكيف ذلك ونحن ندعو اليوم الى موسكو قادة هذه الاذاعة؟ هل يكون دور الجهاز هو مكافحة المخابرات المضادة لنا؟. كيف ذلك ونحن اليوم قد استضفنا فى موسكو رئيس المخابرات الامريكية السابق السيد «كولبى» الذى يناقش معنا امكانيات التعاون بين مخابرات بلدينا؟. لابد من اعادة بناء المخابرات السوفيتية التى لاتمسها يد الاصلاحات حتى الان، والتى تصل بيديها الى كافة مجالات حياتنا. ان عملاء هذا الجهاز يبدأون عندنا من الشخصيات الدينية ورجال البوليس حتى الرياضيين وضباط الجيش والموسيقيين ورجال النقد الادبى والصحافة!. ولابد من حماية الشعب والمواطنين من ذلك الجهاز الذى يقتحم الشقق بدون اذن ويتصنت على المكالمات ويفعل مايروق له. واختتم حديثه بقوله«ان جورباتشوف يقامر بمستقبل البلاد اذا تجاهل اليد التى تمدها اليه القوى الديمقراطية، ويقامر بمستقبله الشخصى أيضا»!

وفيما بعد أجرى التليفزيون السوفيتى لقاء مع اليج كالوجين، سأله فى نهايته: «هل تشعر بالخوف؟» فقال: «كلا .. أشعر بالقلق فقط». ثم أجرت مجلة «كوميرسانت» حديثا مع «كالوجين» بتاريخ ٩ يوليه تحت عنوان: «كنت ضابطا بسيطا.. فأصبحت إنسانا معروفا». وقال فيه أنه بعد صدور مرسوم رئاسى بتجريده من رتبته تم اسقاط معاشه الشهرى وقدره ٣٥٠ روبل شهريا. وان المخابرات السوفيتية قد أشاعت عنه أنه عميل للمخابرات الامريكية فى محاولة لتحطيمه، واشاعة أخرى بأنه على العكس عميل مباشر لرئيس المخابرات السوفيتية «كريتشكوف»! وقال ان القضاء السوفيتى لايستطيع ان يتهمه أو يحاكمه على اساس أنه أفشى اسرارا، لسبب بسيط هو أن كل ماقاله فى حديثه للكومسومولسكايا معروف فى الغرب تماما. وفيما بعد حاول «كالوجين» أن ينشر مقالة فى مجلة «أجنيوك» لكن المخابرات على حد قوله قد منعت النشر، بل واستدعاه المكتب السياسى ليحذره من التمادى فى تلك اللعبة. وبعد ذلك أخذت صحيفة «أنباء موسكو» فى الدفاع عنه باعتباره شهيدا من شهداء بقايا النظام البائد، كما نشرت «الايزفستيا» بيانا لمجموعة من النواب يطالبون فيه الدولة بضرورة اشاعة العلنية فى نشاط المخابرات السوفيتية.

وقد فتحت الشهرة التى حظى بها «كالوجين» أبوابا كثيرة أمامه، فعرضت عليه دار التقدم للنشر، ونوفستى، أن توقعا معه عقدا ليكتب كتابا عن تجربة عمله فى المخابرات، كما دعته جهات عديدة لكى يعمل بها.

ويظل سؤال واحد: ماالذى دفع ضابط المخابرات للافاقة ولصحوة الضمير بعد ثلاثين عاما من ذلك النشاط؟. وماالذى جعله ينقلب الى مصلح سياسى ذائع الصيت؟.

لقد انضم «اليج كالوجين» الى قافلة الشخصيات والظواهر الغريبة وأصبح يشارك بحماس فى كافة المظاهرات والاجتماعات الشعبية للاحتجاج على هذا القرار أوذاك. وأصبح بحديث صحفى واحد زعيما من زعماء المعارضة. وقد يقف فى مظاهرة أو اجتماع حاشد فتقترب منه المرأة التى احترفت مظاهرات الديمقراطيين لقاء خمسة روبلات وتشد على يديه باعتباره نجماً لامعا، بينما يواصل على مسافة الاضراب عن الطعام رجل آخر. وبذلك تكتمل لوحة الشخصيات الهامشية والثانوية فوق مسرح استثارة الوعى وخلخلة الهواء الراكد، وتغتنى فصول الرواية الكبيرة

العودة إلى عصر العبودية وتسلط الكهنوت

د. نصر حامد ابو زيد

إن الانطلاق من معطيات النص الحرفية والتمسك بالدلالات التى تجاوزتها الثقافة وتخطتها حركة الواقع يكشف عن بعده الأيديولوجى بشكل واضح فى اصرار الخطاب الدينى على جعل العلاقة بين الله والانسان محصورة فى بعد «العبودية». والعبودية تستدعى مقولة «الحاكمية» التى تتأسس عليها وجوديا ومعرفيا كما سبق أن قررنا فى دراسة أخرى سابقة، حيث ناقشنا المغزى الأيديولوجى السياسى لها، كما تعرضنا لنتائجها فى المساهمة فى تكبيل الانسان بكل أنماط القيود التى تجعله قابلا لأى نظام اجتماعى سياسى يستنزف قواه ويقضى على انسانيته وسنلاحظ هنا أن الخطاب الدينى فى تأسيسه للحاكمية على «العبودية» يلجأ لأليتين متناقضتين، اذ يلجأ الى آلية الاحتماء بالمعنى الحرفى التاريخى لكل ماورد فى القرآن عن عبودية الانسان لله ، ويلجأ فى تأسيس مفهوم «الحاكمية» الى آلية التوسيع الدلالى لكل ماورد فى القرآن من حديث عن «الحكم» أو «التحكيم» . وفى كلتا الأليتين يتم تغييب دلالات النصوص والوثب على بعدها التاريخى، والوثب على الثقافة والواقع المعاصرين للارتداد بهما الى عصر انتاج النصوص الدينية.

والعبودية على خلاف المفاهيم والمفردات اللغوية التى ناقشناها من قبل مفهوم لايزال له وجود فى الثقافة، ولايزال الدال اللغوى الذى يشير اليه مستعملا فى اللغة رغم أن النظام الاجتماعى الاقتصادى الدال عليه فى أصل الاستخدام اللغوى وحقيقته لم يعد له وجود. واذا كانت مفردات السحر والحسد والربا أصبحت مجرد دوال تاريخية من حيث دلالتها على الانساق التى كانت تشير اليها فى الماضى فان استخدامها المعاصر- خاصة السحر والحسد- لايكاد يستدعى دلالتها التاريخية. وبعبارة أجرى يمكن القول مع عبد القاهر الجرجانى ان النقل الدلالى الذى حدث فى هذه المفردات هو من قبيل النقل الدلالى اللازم، أى النقل غير المجازى. انه فيما يقرر عبد القاهر مثل نقل الأسماء والصفات لتدل على الأشخاص، فتتحول من الاسمية أو الوصفية بالمعنى اللغوى لتشير- مجرد اشارة- الى شخص بذاته وتصبح اسم «علم» وهو نقل لازم بمعنى أنه تحول دلالى غير مؤقت بعكس التحول الدلالى المجازى الذى هونقل غير لازم لأنه نقل مايزال يلاحظ فيه علاقة مابين الحقيقة والمجاز. اننا اذا سمينا شخصا باسم مامن الأسماء او الصفات سرعان ماننسى الدلالة الأصلية، فتختفى العلاقة بين الدلالة الجديدة- العلمية- وبين أصلها اللغوى . وبلغة أقرب الى المعاصرة نقول ان مفردات السحر والحسد فى اختفاء دلالاتها الأصلية فى الاستخدام المعاصر هى من قبيل المجازات الميتة التى انتقلت دلالتها من مجال الى مجال.

وليست لفظة «العبودية» فى الاستخدام المعاصر من قبيل المجازات الميتة فأشكال امتلاك الانسان للانسان وسيطرته عليه واستغلاله له ماتزال قائمة بأشكال متعددة فى المجتمعات المعاصرة.

ولعله ليس من قبيل المبالغة أن تعتبر «التفرقة العنصرية» بكل ألوانها وأشكالها سواء مارسها البيض ضد السود فى أفريقيا وأمريكا أو مارسها الصهاينة المحتلون ضد العرب من أبناء الأرض، شكلا حديثا من أشكال الاستعباد، وتتعدد درجات العبودية وتختلف مستوياتها، لكنها لا تعنى الامتلاك الكامل للروح والجسد كما كان الحال فى النظام الاجتماعى الاقتصاذى المسمى «العبودية».

هكذا يتحدد الفارق الدلالى بين استخدام كلمة «العبودية» فى لغتنا المعاصرة وبين كلمات السحر والحسد فى أن الأولى تستخدم استخداما مجازيا حيا، وهو المجاز الذى تظل فيه العلاقة بين الله والانسان فى بعد «العبودية» وحده فانه لايستحضر المعنى المجازى للعبودية، بل يصر على تأكيد الدلالة الحرفية، وهى الدلالة التى تتأكد بطريقة حاسمة حين توضع فى سياق التأويل الحرفى

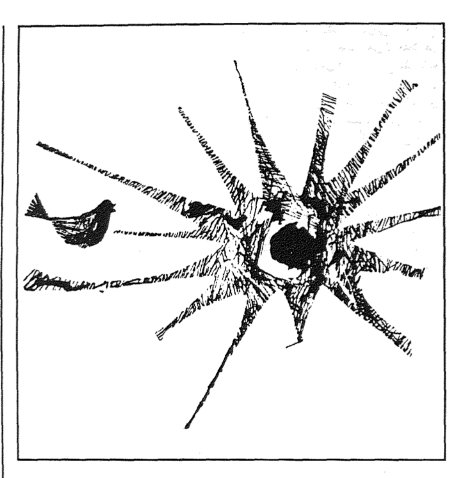
لصورة الاله الملك صاحب العرش والكرسي والصولجان والجنود التى لاحصر لها. ويغفل الخطاب الدينى بعداآخر فى النص الدينى لعلاقة الله بالانسان- خاصة الانسان المؤمن- هى علاقة «الحب» التى تنبه لها الخطاب الصوفى والح عليها .ولسنا نريد هنا أن نساجل الخطاب الدينى بقدر مانسعى الى بلورة وعى بأنماط الدلالة فى النصوص الدينية. واذا كنا قد ناقشنا فيما سبق مغزى الموقف الاسلامى من قضية العبودية رغم أنها كانت نظاما اجتماعيا اقتصاديا مستقرا، فان النتائج التى استلهمناها هناك يمكن أن تتأصل من واقع التحليل الدلالى للنصوص التى يستند اليها الخطاب الدينى لترسيخ مفهوم العبودية وتأكيده.

وهناك مجموعة من الملاحظات دالة فى طبيعة الاستخدام القرآنى لكلمة «عبد» : الملاحظة الأولى أن الكلمة لم تستخدم بمعنى العبد المملوك غير الحر بالمعنى التاريخى الا ثلاث مرات فقط، مرة بطريقة مباشرة: «الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى» (البقرة/١٧٨)، ومرة بطريقة ضمنية: «ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم» (البقرة/٢٢١)، والمرة الثالثة وردت الكلمة محددة دلاليا بالوصف: «ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لايقدر على شيئ» (النحل/٧٥). الملاحظة الثانية أن صيغة الجمع «عبيد» وهى الصيغة التى تستخدم عادة فى الدلالة الحرفية استخدمت فى القرآن خمس مرات فقط كلها فى سياق نفى الظلم- ظلم العبيد- عن الله تعالى (انظر : آل عمران/١٨٢) الانفال ٥١، الحج/١٠ فصلت/٤٦،ق/٢٩). الملاحظة الثالثة أن صيغة الجمع «عباد» هى الصيغة الأكثر دورانا فى النص القرآنى وهى لاتشير الى العبودية بالمعنى الحرفى الا فى آية واحدة هى: «وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم» (النور/٣٢). الملاحظة الرابعة أن الدلالة الأكثر دورانا فى القرآن لكلمة عبد هى الانسان: «ان فى ذلك لأية لكل عبد منيب» (سبأ/٩) «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» (ق/٨).

واضافة الكلمة لضمير اسم الله، سواء فى صيغة المفرد أو فى صيغة الجمع- عباد- تكون دائما بمعنى الانسان أو البشر، وأحيانا تأتى فى سياق الحديث عن الأنبياء «عبده» «عبدا من عبادنا» الخ...



والدلالة التى يمكن الخروج بها من الملاحظات الأربع السابقة أن النص القرآنى لايصوغ العلاقة بين الله والانسان على أساس «العبودية» بل يصوغها على أساس «العبادية»، والفارق بينهما ليس فارقا هينا، لذلك احتاج للمقابلة بين الحر والعبد أو للوصف بالمملوكية عندما كان السياق سياق حديث عن العبودية (الملاحظة الأولى). ولعل النص فى صياغته للواقع لجأ الى التفرقة الدلالية بين «العبيد» والعباد، تاركا الصيغة الأولى الأكثر تداولا فى الثقافة لتدل على غير المؤمنين، فى حين خصص الصيغة الثانية للدلالة على المؤمنين. ومعنى هذه التفرقة فى دلالة استخدام الصيغتين أن القرآن أحدث تحويلا فى دلالة العبودية بحيث صارت تعنى عدم الخلاص بالايمان بالعقيدة الجديدة. لذلك أصبحت صيغة المفرد «عبد» دالة على الانسان حرا كان أم مملوكا. وليس ثمة مجال للقول بأن التفرقة بين صيغتى الجمع- عبيد وعباد- كانت معروفة قبل الاستخدام القرآنى، كذلك ليس ثمة مجال للقول أن اشتقاق كلمة عبد- التى جمعها عباد- من «العبادية» مسألة كانت مطروحة قبل النص. وما ورد فى اللسان من تفرقة بين الدلالتين يستند كله الى الشواهد القرآنية والأحاديث. بل ان اللسان يجعل كلمة العبد معناها: «الانسان حرا كان أو رقيقا، يذهب به أنه مربوب لبارية، جل وعز... والعبد المملوك خلاف الحر، قال سيبويه: هو فى الأصل صفة «ولكى يؤكد صاحب اللسان أن معنى العبد الذى هو الانسان معنى مرتبط بالسلام، ويورد حديث أبى هريرة عن النبى (ص) «لايقل أحدكم لمملوكه : عبدى وأمتى وليقل: فتاى وفتاتى



«ويعلق عليه قائلا: «هذا على نفى الاستكبار عليهم وأن ينسب عبوديتهم اليه. فان المستحق لذلك الله تعالى هو رب العباد كلهم والعبيد».

لاشك أن التحويل الدلالى الذى أحدثه القرآن، بالاضافة على الحاح النصوص على المساواة بين البشر وجعل أساس التفرقة الايمان والعمل الصالح، يجعلنا نؤكد أن الاسلام فى اتجاه مناقض لاتجاه تثبيت أركان النظام العبودى. ولعلنا لانكون مغالين حين نقول اننا اذا وضعنا فى الحسبان طبيعة الظرف التاريخى الاجتماعى الاقتصادى الذى تكونت فيه النصوص لاكتشفنا أن الموقف الاسلامى موقف متقدم جدا ولابد والحال كذلك أن يكون تعميق الاتجاه الأصلى للموقف الاسلامى هو الغاية والهدف، بل أن يكون السير فى نفس الاتجاه هو معيار مشروعية الاجتهاد وضمان صحته وسلامته. واذا كان الموقف الاسلامى من العبودية هو كما رأينا السير فى اتجاه إلغائها فان اصرار الخطاب الدينى على اختصار علاقة الانسان بالله فى بعد «العبودية» بالمعنى الحرفى التاريخى إصرار يصادم الموقف الاسلامى ذاته، بالاضافة الى أنه يصادم النصوص بالغاء البعد الآخر المتمثل فى علاقة «الحب» ان الخطاب الدينى لايكتفى فقط بتحويل المجاز الى حقيقة فى حركة ارتدادية بدلالة النصوص وبالموقف الذى تصوغه، بل يقوم بعملية اخفاء متعمدة لجانب من دلالة النصوص التى تحدد العلاقة بين الله والانسان. واذا كانت العلاقة بين الله والانسان علاقة «عبادية» لاعبودية، مشربة بالحب والرحمة- كما يطرح التحليل الدلالى للنصوص- فلا تفسير لأطروحات الخطاب الدينى وتأويلاته الا الأيديولوجيا، أى الوعى الزائف التبريرى، سواء كان الخطاب قديما أم حديثا أم معاصرا.

«الحاكمية» مفهوم يتأسس فى أطروحات الخطاب الدينى على مقولة «العبودية»، لكن البناء لاينهار هنا بمجرد هدم الأساس، اذ لكل من المفهومين جذر مستقل فى تأويل الخطاب الدينى للنصوص الدينية. واذا كانت آلية التأويل التى تؤسس العبودية- كما أسلفنا- الارتداد بالمجاز الى الحقيقة، وهو نوع من «التضييق» الدلالى، اذ المجاز اتساع فى الدلالة، فان آليته- آلية الخطاب الدينى فى تأويل النصوص- فى تأسيس الحاكمية هى على العكس من ذلك: التوسيع الدلالى. لكن هذا التوسيع- أو الاتساع- الدلالى لاينهض على أساس أى نمط من أنماط الاتساع المجازى، وانما ينهض على أساس التماثل الصوتى بين دلالتين مختلفتين. النصوص التى تؤسس الحاكمية طبقا لتأويل الخطاب الدينى تتحدث عن الحكم بمعنى الفصل بين المختلفين فى قضية جزئية: «فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموا فيما شجر بينهم» (النساء ٦٥) ويؤكد ذلك الاعتراض على اليهود لأنهم أرادوا تحكيم محمد فى احدى قضاياهم- واقعة زنا فيما يروى سببا للنزول- مع أن حكم التوراة معروف لهم: «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» (المائدة/٤٣). والآيات الثلاث من سورة المائدة (٤٤-٤٧) تنتزع منها ثلاث عبارات خارج السياق، وتنتزع الآيات كلها من سياق الاستخدام القرآنى للدال اللغوى ومشتقاته ويتم الوثب الدلالى من الحكم بمعنى الفصل فى الوقائع الجزئية بين المتخاصمين للدلالة على الحكم بالمعنى السياسى والاجتماعى. ان الدعوة الى تحكيم الرسول عليه السلام فى أى خلاف يشتجر بين اثنين أو بين جماعتين أمر طبيعى فى بنية المجتمع العربى آنذاك. ألم يختلفوا فى شأن الحجر الأسود فاتفقوا على أن يرضوا بحكم أول الداخلين، ولم يكن ذلك يعنى اعطائه أى صلاحيات خارج اطار الخلاف موضوع الحكم. النص لم يتحدث عن الحكم بالمعنى الشامل الواسع الذى يطرحه الخطاب الدينى، والتوسيع الدلالى الذى يقوم به لأهداف وأغراض أيديولوجية لايختلف كثيرا عن التوسيع الدلالى الذى يقوم به ابن عربى الصوفى المشهور حين يقول ان «العذوبة» من دلالات «العذاب»، وذلك ليؤسس مواقفه الصوفية - خاصة فى مسألة الرحمة الشاملة التى ستسع الناس جميعا مؤمنهم وكافرهم- على سند من النص. (١٣)

وفى كلتا الحالتين لايعتمد التأويل على بنية النص اللغوية الدلالية، ولا على السياق الخارجى المحدد لدلالته، وانما يعتمد على «التلوين» من خارج. وبصرف النظر عن حسن النوايا أو سوئها فالمحصلة واحدة: اهدار الدلالة لحساب الأيديولوجيا. وسواء كان الاهدار بتوسيع الدلالة أو بتضييقها فالنتيجة هى التصادم مع النص وافقاد الموقف الاسلامى مغزاه التقدمى الانسانى.



أيديولوجية الكآبة

• الموسيقى والمسرح والسينما والرقص والغناء حرام!

• المرأة.. رجس ينبغى استبعاده!!

• التفكير العلمى الحر.. جريمة!!!

******

د. حسن حماد

منذ القدم والانسان بطبيعته ساخر وفنان وحالم، فلم يكن الانسان البدائى برغم قسوة الحياة التى كان يحياها ينسى الأبعاد الجمالية والفنية فى ممارساته اليومية وهذا إن دل فانما يدل على أن الفن متأصل فى روح الانسان وأن البعد الجمالى يمثل بعداً أساسياً من أبعاد الشخصية الانسانية، فالانسان لايستطيع أن يكون فقط مجرد حيوان منتج والاتحول الى آلة صماء فالفارق بين الانسان والآلة يكمن فى امتلاك الانسان للخيال، وفى قدرته على تجميل الواقع ومنحه الصبغة الفنية... ومن هنا نشأت الفنون المختلفة: النحت والتصوير والعمارة والموسيقى والرقص والغناء.. الخ

ان تلك المنتجات الفنية فى صورها المختلفة تمثل البعد الثانى للانسان، البعد الحر التلقائى الذى يتجاوز النظرة النفعية الضيقة.. البعد غير المستهلك من منتجات الانسان.

فقيمة الفن تكمن فى انه ليس سلعة قابلة للاستهلاك، وهو من هذه الزاوية يمثل البعد الروحى الأصيل للانسان، ومهما اختلفنا فى تفسير وظيفة الفن على انه تطهير بالمعنى الذى اراده أرسطو.. أو على أنه يحمل رسالة أجتماعية وسياسية كما يراه أصحاب الاتجاهات الواقعية، أو على انه نوع من اللعب كمايراه شيللر.. أو على انه يحقق ضربا من ضروب المتعة الحسية والجمالية كما يراه أصحاب الاتجاهات اللذية الا اننا لانستطيع أن نختلف حول ضرورة الفن وحول دوره فى تربية النفس الانسانية الجميلة، فالفن تطهير.. والفن رسالة، والفن لذة، حسية وروحية، والفن توعية، والفن لعب، والفن حرية ومشاركة انسانية راقية.. الفن كل هذه الأشياء. لابأس فكل هذه الابعاد هى الأرضية المشتركة للفنون جميعا وقد يقترب فن أو يبتعد منها لكنها جميعا تمثل أبعاد الفن، وهذه الابعاد تعطى للفن طابعا متساميا وبالرغم من أن جذوره تمتد فى أعماق الانسان الأرضية السفلية.

غير أن هناك بعض الاتجاهات السياسية التى ترتدى عباءة الدين تحاول أن تتنكر لحقيقة أن الفن يحتل البعد الروحى الأساسى للانسان فترفع شعارات ديماجوجيه جوفاء، وتعلن فى جفوة وقسوة أن الفن بكل صنوفه حرام وأن علينا أن نهجر كل ألوان الفنون: من رقص وغناء وموسيقى ونحت وتصوير.. الخ.

وبداية ننوه الى اننا عندما ننتقد مثل هذه الاتجاهات فانما نتعامل معها بوصفها أنظمة سياسية وضعية تحاول ان تتخذ من الدين ذريعة لتأسيس نظام شمولى له ملامح ديكتاتورية واضحة، وطالما نحن نتحدث عن أنظمة سياسية فنحن لانتعامل مع مقدسات لأن أى نظام سياسى هو مجرد مشروع بشرى يحمل صفات الصواب والخطأ ويخضع لعوامل التحول التاريخى، أما مسألة الدين بوصفه منظومة من المعتقدات والأفكار التى تحمل طابع التقديس والاطلاق وينبغى الا تخضع لعملية التحول التاريخى الاجتماعى، فتلك قضية أخرى لاتدخل فى باب معالجتنا النقدية للانظمة السياسية الدينية. وعلى هذا الأساس فنحن إذن أمام أيديولوجية سياسية تتخذ- بطريقة انتقائية- من بعض القضايا والمسلمات الدينية أساسا لاقامة تصور يروقها لنظام سياسى تحاول واهمة أن تضفى عليه ملامح مثالية.

واذا تأملنا ملامح هذه الأيديولوجية الارتدادية التى تحاول بطريقة مشوهة أن تستعيد لحظات تاريخية زائلة سنجد أنها ملامح كئيبة جداً ومظلمة للغاية. فلنتخيل معاً أننا قد استيقظنا فى يوم من الأيام ووجدنا أن العالم قد خلا تماما من كل ملامح البهجة المتمثلة فى الموسيقى والمسرح والسينما والرقص والغناء، وتخيلوا اننا لم نعد نسمع ثومة او حليم او شدو فيروز، واذا ذهبنا الى دور السينما والمسرح نجدها مغلقة بالشمع الاحمر، واذا فتحنا المذياع أو التليفزيون لن نسمع أو نرى سوى صوت وصورة أمراء المجتمع الجدد.. خلفاء الله على الأرض.. ورثة مفاتيح الجنة، ترى كيف سيكون العالم من حولنا؟ كيف ستكون صورة الواقع الكئيبة بوضعها الحالى؟؟

ومن غريب الأمر أن هؤلاء لايكتفون بتحريم تلك الفنون فقط بل انهم يستكثرون على هذا الشعب البائس المحروم كرنفالاته الطقسية الدينية التى يمارس من خلالها ذاتيته بتلقائية وحرية مثل موالد أولياء الله الصالحين والمولد النبوى والاحتفال بمقدم الربيع... ان هذه فى نظرهم تعد بدعا ينبغى الاقلاع عنها. والواقع ان تلك الطقوس الاحتفالية هى جزء من تراث الشعوب وأستطيع أن اجزم بانه لايوجد شعب من الشعوب لايمارس مثل هذه الاحتفالات الكرنفالية لأنها المنفذ الوحيد الذى من خلاله تلتئم الجماهير وتتوحد وتمارس ذاتيتها التاريخية التراثية بتلقائية ومتعة الا ان قادة تلك الاتجاهات السياسية الدينية يعتقدون أن بإمكانهم تحويل مجرى التاريخ لصالحهم وأن

تشويه ومسخ وجدان الشعوب عملية لاتزيد بسهولة عن اطلاق اللحى.

وتحريم الفن هو جزء من أيديولوجية الكآبة يتضافر ويتجانس مع عديد من التحريمات الأخرى، التي تقوم عليها تلك الأيديولوجية مثل معاداة المرأة، فالمرأة بالنسبة لهم رجس ينبغي استبعاده واخفاؤه بكل مايمكن من قوة فهي أساس الخطيئة على الارض وهي كائن متدن ينبغي أن يظل قابعا بالمنزل وأن يكون خاضعا، بطريقة تامة لسلطة السيد (الرجل).

كذلك تعتبر تلك الاتجاهات التفكير العلمي الحر نوعاً من الجريمة التي ينبغي إدانتها بكل الوسائل القمعية فإن لم يكن الفكر والعلم خاضعين للدين وخادمين لسلطة القائمين عليه فهو يعد خطرا عليها وعلى الدين نفسه، لذلك فليس غريباً أن يكون المعتقد الفكري والسياسي لهذه الاتجاهات هو منطق أما أبيض أو أسود فمثل هذه الاتجاهات لاتؤمن بالتعددية الحزبية فليس هناك سوى حزب واحد هو حزب الله أو حزب الفرقة الناجية. أما الأحزاب المعارضة أو الملل المغايرة فهي حزب الشيطان أو حزب الفرقة الهالكة. وانطلاقا من هذه النظرة «الشوفونية» لايتورع هؤلاء عن استباحة دماء من يخالفهم الرأي أو المعتقد. ومن هنا يمثل العنف وأسلوب التصفية الجسدية بعداً أساسيا من أبعاد تلك الأيديولوجية الظلامية.

وأيديولوجية الكآبة هي النتاج الطبيعي للايديولوجية الساداتية التي جاءت - عقب هزيمة ١٩٦٧، وانهيار المشروع الناصري- بمنظومة شاملة من المفاهيم السياسية المتناغمة: الانفتاح الاقتصادي، اتفاقية الاستسلام لاسرائيل، الأرتماء في الأحضان الأمريكية التي لم نجد فيها حتى الآن سوى الأشواك، استئصال القوى اليسارية والتقدمية والمستنيرة، تنمية الاتجاهات الدينية المتطرفة، خلق مجتمع سلعي استهلاكي.

ولقد أدت الأيديولوجية الساداتية- وهذا هو حصر ... حها- الى تخريب وتشويه الانسان المصري من الداخل فحولته الى انسان يائس، فاقد للاتجاه ، مسعور، ذاتي، أناني، متوحد مع حاجاته الذاتية، يشعر بالدونية حتى الأعماق، يحاول عبثا أن يحتذي مثال «الرجل الأخضر» الأمريكاني، هذا المسخ الجديد الذي يبحث له عن هوية.. هذا المستباح في كبريائه وأسمى مشاعره.. هذا الغارق في همومه اليومية هذا المطحون حتى النخاع.. هذا اللاهث وراء الريالات الخليجية.. هذا الانسان- على هذا النحو أداة طيعة لأي قوى فاشية جديدة تطرح امامه حلولا سحرية وتقدم له مفاتيح الجنة المفقودة حتى وان كانت في عالم آخر هذا الانسان في ظل ضياعه وانسحاقه يدافع- وبالأسف- عن هؤلاء الذين يسلبون حريته ويسرقون أحلامه ويغتالون سعادته وبهجته.. يدافع عن جلاديه، وهذا يفسر لنا لماذا تزدهر تلك الاتجاهات وتجد يوما بعد يوم من يدافعون عنها، بل ويدفعون حياتهم فداء لمبادئها وقيمها.

ومن الغريب أن حكومتنا الغائبة تمهد الأرض وتخصبها لازدهار- أيديولوجية الكآبة بطريقة مقصودة أو غير مقصوده- بالوسائل التالية:

* جعل قضية الثقافة والتثقيف في ذيل الأهتمامات السياسية فوزارتا الثقافة والتعليم وزارتان هامشيتان اذا ماقورنتا بوزارة الداخلية أو الدفاع ، برغم انهما يجب أن يكونا في بؤرة الأهتمام السياسي بوصفهما المتكفلين بصنع فكر ووجدان الانسان المصري

* الصمت المريب على صنوف الفن الهابط، وعلى كتيبات الأرصفة التي تنشر التخلف والتعصب والتطرف

* بث البرامج الدينية التقليدية المملولة المكررة التي لاتهدف الى خلق فكر ديني واع بقدر مايكون هدفها تأصيل التعصب والجمود والكراهية للعقائد المخالفة.

* اعطاء الفرصة للأحزاب والقوى السياسية ذات الاتجاهات اليمينية المتطرفة وحرمان كافة القوى المستنيرة من ممارسة هذا الحق المشروع.

* ممارسة القمع الفكري والديني ضد المبدعين والمفكرين على نحو مانرى في موقف الأزهر من رواية أديبنا الكبير نجيب محفوظ «أولاد حارتنا» وممارسة دور الرقيب السياسي على بعض الأعمال السينمائية والمسرحية مما يوحي بأن محاكم التفتيش لازالت تمارس مهامها القمعية برغم لافتات الحرية والديمقراطية.

* معاملة المرأة على انها مواطن من الدرجة الثانية، وبرغم أن المرأة خرجت الى سوق العمل وبرغم انها وصلت الى أرقى المناصب السياسية، الا اننا لازلنا نحيا عصر الحريم ولازال المجتمع العربي يتعامل مع المرأة من مبدأ «سي السيد» فلازلنا نحيا في مجتمع الذكور ولم نحاول أن نحرر المرأة من داخلها قبل أن نحررها ظاهرياً

أن الخطر المحدق بنا هو سيطرة تلك الايديولوجية اليمينية الرجعية التي لم أجد لها اسما ملائما سوى أيديولوجية الكآبة لاعتقادي الشخصي بأن ازدهار- الفنون المختلفة وسيادة الحرية الفكرية والسياسية هو أحد الأسلحة الرئيسية التي يمكنها أن تقاوم سطوة تلك الهجمة الظلامية الشرسة وفي اعتقادي ان المعركة مع تلك الايديولوجية هي معركة حياة أو موت وهي معركة يجب أن يتكاتف في سبيلها كل من لهم احساس بالوطنية وبالخوف على مصلحة هذا البلد بداية من المؤسسة الحاكمة وحتى القوى اليسارية المحرومة من ممارسة حقوقها السياسية. وهي أيضا معركة يجب أن تس[illegible] المشروعة بداية من الابداع الفكري والفني الحر، وحتى الممارسة السياسية الواعية التي تجتذب تلك الجموع المضللة المقهورة التي فقدت علامات الطريق فراحت تبحث عمن يأخذ بأيديها من هذا التيه.



عمر عبد الرحيم — السادات

مجلة جديدة لليسار الامريكي مفترق طرق CROSS ROADS

العدد الأول

(تجريبي)

يونيو ١٩٩٠

العاصفة والتحديات

د. عبد العظيم أنيس

فى يونيو الماضى صدر فى أمريكا أول عدد من مجلة شهرية جديدة باسم «مفترق طرق»cross Roads وهذه المجلة هى ثمرة توحيد جهود مجلتين كانتا تصدران فى أمريكا إحداهما باسم FRONTLINEوالاخرى باسم NORTH REVIW. وقد اختارت المجلة لها مجلسا من المستشارين يضم خمسين من الشخصيات اليسارية البارزة فى مجالات العمل السياسى والنشاط الفكرى والاكاديمى. وأعلنت فى افتتاحيتها أن العاصفة التى اجتاحت أقطار أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى فى السنين الاخيرة قد دعت إلى إعادة النظر فى أشياء كثيرة من الفكر الاشتراكى كانت تعتبر من المسلمات، وأن ثمة حاجة ماسة إلى إجراء تقييم دقيق للوقائع الجديدة، دوليا ومحليا، وأن الحركة الاشتراكية الامريكية تحتاج إلى تطوير استراتيجيات جديدة وفعالة فى النضال ضد الظلم الاجتماعى وأخطار فناء الجنس البشرى.

والمجلة تعلن فى افتتاحيتها أن هذه المهمة لايمكن أن تنجزها أى مجموعة من اليسار الامريكى وحدها، بل ثمة حاجة إلى ضم الجهود وتطعيم الافكار بين جماعات اليسار المختلفة ومقاومة اتجاه التفتت والسياسات الانعزالية. ولذلك فليس لدى مجلة «مفترق طرق» أية نوايا أو أوهام بأنها يمكن أن تنجز هذه المهمة وحدها وهى تريد أن تكون منبرا لكل جماعات اليسار وتعتقد أن أحداث أوربا الاشتراكية لابد أن تكون قد قضت على تلك الاوهام فى ذهن أى عاقل.

وهى تدعو إلى بذل جهد جديد لفهم الواقع الامريكى فهما أعمق ولارتباط أوثق بالحركة الجماهيرية ولتجديد الفكر النظرى لليسار من خلال محاولات جريئة وخلاقة. فثمة حاجة إلى توليفة جديدة فى العمل السياسى، وثمة حاجة إلى إعادة النظر فى ماضى اليسار الامريكى والاعتراف بالاخطاء التى ارتكبت. وبالطبع كل هذا لايمكن أن تنجزه مجلة وحدها، ولذلك فهى تتطلع إلى جهد تعاونى واسع مع المؤسسات والمنظمات الاخرى التى تعمل على دعم حركة اليسار وحركة التقدم عموما.

ولقد لجأت المجلة فى عددها الأول إلى فتح نقاش واسع وصريح حول مايجرى فى العالم، واستكتبت لذلك ستا من الشخصيات البارزة فى الامريكتين مقالات يعرضون فيها وجهات نظرهم فى هذه التحولات التى اجتاحت العالم الاشتراكى. وكيف ينظرون إليها، وماهى التحديات التى تواجه اليسار الامريكى بناء على هذه التحولات، واعتبرت المقالات بمثابة افتتاح لنقاش واسع النطاق ينشر فى الاعداد التالية.

ولما لهذه المقالات من أهمية، ولأنها تتناول هموما قريبة من همومنا رأينا أن نقدم فى «اليسار» بعض هذه المقالات، لأننا مثل «مفترق طرق» نعتقد أن اليسار المصرى- بل العربى- هو أيضا فى حاجة إلى الحوار الصريح والتجديد الفكرى وتعبئة كل الجهود والاعتراف بالاخطاء. واليوم نبدأ بنشر مقالة ليندا بيرنهام المحررة بالمجلة وعنوان المقال «العاصفة والتحديات».

العاصفة والتحديات

منذ وقت غير طويل كانت اكثرية اليسار الاشتراكى على ثقة بأن العقود الاخيرة للقرن العشرين هى فترة اتساع نطاق الثورة الاشتراكية وتعميق أزمة الرأسمالية. غير أن حطام الاشتراكية الاوربية غير كل هذا اليوم.

ومن الصعب أن يجد المرء مرحلة أخرى من التاريخ تفكك فيها نظام اجتماعى ونسق اعتقاد بهذه السرعة المفاجئة. فالتحولات التى حدثت فى الانظمة الاجتماعية الأخرى استغرقت قرونا أو آلاف السنين. لكن انهيار الشيوعية فى أوربا الشرقية تم فى سنين قليلة، وفى بعض البلدان فى شهور أو حتى أسابيع قليلة. والآن أصبح من الواضح تماما أن نموذج الاشتراكية الذى بنى بالفعل باسم الماركسية اللينينية قد انتهى أجله، وبينما قد لاتؤدى الضربات الموجهة إلى الاشتراكية إلى زوالها النهائى، إلا أن من المؤكد أن أى اشتراكية يمكن إنقاذها من العاصفة الحالية ستكون مختلفة جذريا عما حدث من قبل وحاليا هبطت مصداقية الماركسية والماركسية اللينينية بشكل لم يحدث من قبل، وكل تقييم للوقائع الجديدة لابد أن يأخذ هذه الحقيقة المؤكدة فى الحسبان.

أما الرأسمالية فبينما هى أبعد ما تكون عن «صراعها النهائى» إلا أنها تستمر فى إفراز أشكال ودرجات من البؤس البشرى يفوق الحدود وإلى جانب ذلك إفراز حركة صارمة فى اتجاه التحول الاجتماعى الثورى. إن حوافز مقاومة القهر الطبقى والظلم الاجتماعى والسيطرة الوطنية لم تنته ولايمكن أن تنتهى. وأحد المشاكل الاساسية التى تواجه الاشتراكية هى كيف يمكن تغذية هذه الحوافز وتنظيمها بشكل فعال بينما تظل دون حل مشكلة شكل المجتمع الذى سيكون بمثابة النفى السياسى والاقتصادى للرأسمالية. هذا هو المأزق الذى يظل حادا هنا كما هو حاد فى أماكن أخرى.

وبالطبع لم يطرد الشيوعيون فى الولايات المتحدة من الحكم من خلال انتخابات، ولم يجر نفيهم من الحياة العامة فى خزى كما حدث لغيرهم، ولم تطلق عليهم النيران. لقد أفلتوا من تلك الضربات الحادة التى عرفتها أحزاب شيوعية كانت بيدها السلطة، وهى الآن تدعى لتقديم حساب عن آثامها بحيث سقطت من مواقع المجد والسلطة فى بعض البلدان أو تحولت إلى مشارك ثانوى فى تحالفات ينظر إليهم فيها باحتقار فى بلدان أخرى.

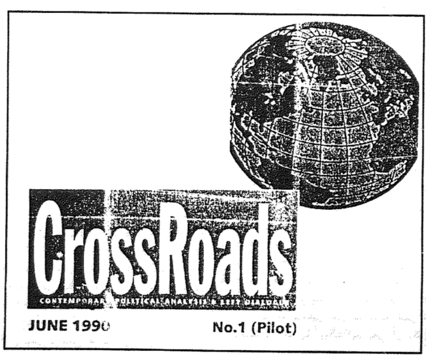
ومن الواضح أن هذا لايعود إلى تسامح خاص إزاء الشيوعية من جانب الشعب الامريكى كما لايعود من باب أولى إلى أن الحركة الشيوعية الامريكية قد تجنبت بشكل ما لطخة الستالينية. وإنما يعود ذلك إلى أن للشيوعيين والاشتراكيين تأثير جماعى ضعيف على الحياة السياسية الامريكية، وهم عمليا ليسوا محل اعتبار من جانب الغالبية الساحقة من الأمريكيين المشتغلين بالعمل السياسى. وعندما تبدى أجهزة الاعلام أى اهتمام ببرود فعل الشيوعيين الامريكيين إزاء أزمة الشيوعية، فإنها تصور أفكارهم وأنشطتهم كشىء لاضرر منه ولا دلالة له.

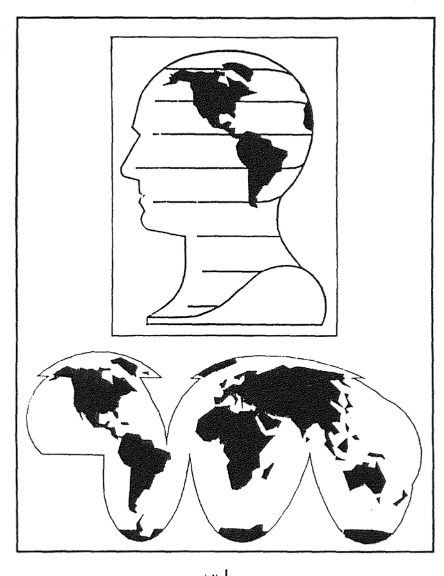
لكن إفلات الشيوعيين الامريكيين من الهزائم والخزى التى لحقت بالشيوعيين فى شرق أوربا – على النطاق العالمى- لايعفيهم من الحساب. والحقيقة أن الامل فى خروج هؤلاء الذين اتخذوا من النظرية الشوعية بوصلتهم الايديولوجية من حالة الهامشية إنما يرتبط بشكل وثيق بكيفية مواجهتهم لهذا التخبط الذى هو من صنع أيديهم.

إن التغيرات التى تكشفت اليوم فى العالم تتحدى أبسط أفكار وممارسات الماركسية اللينينية، وفكرة «الخط الصحيح الأوحد» قد انتهت إلى الانتباه بأن الشيوعيين ليسوا على معرفة كلية وأنهم غالبا ماكانوا مخطئين. ومهما بدت فكرة «حزب طليعى أوحد» مبدأ ثابتا فى الفكر الماركسى اللينينى ألا أنها برهنت على غير ذلك عمليا كلما كافح الشيوعيون لتحويل أحزابهم إلى منظمات قادرة على كسب الولاء السياسى بوسائل غير وسائل الدولة. والادعاء ب «تفوق الديمقراطية الاشتراكية» قد انتهى إلى اعترافات بانتهاكات فاضحة فى زمن ستالين، وإلى غياب أبسط مبادىء الديمقراطية بعد وفاة ستالين ودفنه بزمن طويل. كما اهتزت الثقة فى فكرة «تفوق النظام الاقتصادى الاشتراكى» نتيجة أزمة الاقتصاديات المخططة التى اعتقد الكثيرون أنها البدائل العقلانية الوحيدة للظلم الذى يولده نظام الانتاج والتوزيع الرأسمالى.

وقد انتهت فكرة «وحدة الحركة الشيوعية الدولية» إلى عالم اشتراكى متعدد الاقطاب وملىء بالتوترات بين الاقطار المختلفة.

إن فرز وإعادة تقييم النظرية الماركسية اللينينية سوف يستغرق عقودا من الزمن ومن المستحيل الآن أن نتصور كيف سيستقر غبار هذه المعركة نهائيا، وماذا سيبقى من الماركسية اللينينية أو من «الاشتراكية العلمية»، وما هى المفاهيم الجديدة التى سوف تنشأ من العاصفة الحالية. وبالضرورة فإن الشيوعيين الاشتراكيين فى المجتمعات التى مرت بالفعل بتجربة النضال من أجل خلق نظام اجتماعى جديد سوف يكونون فى مقدمة عملية الفرز والتقييم هذه ومع ذلك فمن الضرورى أن يشارك الشيوعيون الاشتراكيون





الامريكيون كاملا وقدر الامكان فى هذه العملية، ومن الضرورى أن يبدأوا أيضا فحص واختبار تصوراتهم عن الماركسية اللينينية فحصا عميقا. فما لم نفعل ذلك فلن نقدم للاجيال الجديدة من المناضلين الذين سيواجهون مشاكل القرن الواحد والعشرين شيئا ذا قيمة.

الشيوعية الامريكية: إن مشاهدة الانهيار الفعلى للاشتراكية تحت وطأة أخطائها التاريخية هو أمر محزن حقا للشيوعيين والاشتراكيين فى كافة البقاع، بل لكل هؤلاء الذين وجدوا بعض أسباب التفاؤل لبناء مجتمعات خاليه من الاستغلال والقهر. ولابد أن يكون لهذا الشعور أبعاده الدولية لدى هؤلاء الشيوعيين الذين أعطوا من حياتهم أربعين أو خمسين سنة لدعم السلطة الاشتراكية أولا فى الاتحاد السوفيتى ثم بعد ذلك فى أوربا الشرقية وأخيرا فى العالم النامى.

ومن وجهة نظر أى منظمة ارتبطت بالكامل سياسيا وإيديولوجيا بالشيوعية كما كانت، واعتمدت كعنصر أساسى فى استقرارها وشرعيتها على الروابط التنظيمية الطويلة مع الاحزاب التى عرفت باسم الحركة الشيوعية الدولية فإن أحداث السنين الاخيرة كانت ولاشك صدمة عنيفة غير مرغوبة.

أما ما إذا كان سوف يثبت أنها صدمة قاتلة للشيوعية فى أمريكا وللحزب الشيوعى الامريكى فتلك مسألة مفتوحة. لكنه بالتأكيد ليس بالأمر غير الهام لليسار الامريكى الأعرض فنحن من القلة والضعف بحيث لايمكن أن نسمح لتنظيم رئيسى مثل هذا أن ينكسر لأنه عجز عن الانحناء، أو يتفتت إلى شظايا لأنه لم يستطع أن يغير شكله وفق ظروف متغيرة جذريا.

إن أحزاب أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى لم يكن أمامها خيار غير أن تواجه بصراحة غياب الديمقراطية الداخلية وكافة النقاط اللزجة للمرحلة الستالينية وقد يكون لاحداث ١٩٥٦ (المجر)، ١٩٦٨ (تشكيوسلوفاكيا) رنين مختلف بعض الشيء فى الحركة الشيوعية الامريكية عنه فى أوربا الشرقية، لكن هناك رنين على أى حال. ولا نستطيع أن نتوقع اجتياز العاصفة دون الوصول إلى حل مع الجمود العقائدى ومع الانضباط وفق خط حزبى عرفته الشيوعية الامريكية كما فعلت أحزاب أخرى فى السلطة. لكن تخلص الشيوعيين الامريكيين من دوجماتيتهم سوف يكون اكثر من مجرد فكرة، وتحقيق هذا بطريقة تحافظ على معنويات التزام الآلاف من الرفاق الممتازين ذوى الخبرة هو مما يجعل للمرونة والابداع والفكر السياسى المستقل أهمية عالية جدا. أما أن نقول لا لأفاق الاصلاح الجذرى فهو القرين الاكيد لموت مؤكد.

لقد انهار خارج الحزب الشيوعى الامريكى هذا الجزء من الحركة الشيوعية الامريكية الذى حاول أن يبنى بديلا ماركسيا لينينيا «أكثر ثورية»، انهار قبل ظهور الجلاسنوست والبيروسترويكا والفكر الجديد. وفى غالب الاحيان استطاع هذا التيار أن يحتضن منهجا كان اكثر جمودا، واكثر مركزية، واكثر «طليعية» عن أى شىء قبله. وعندما ننظر إلى هذا التيار من وجهة نظر الاحداث التاريخية التى وقعت فى السياسة الدولية نجد أنه ليس اكثر من ومضة على الشاشة لكن فى هذا التيار أيضا هناك الألوف الذين مازالوا نشيطين فى جهات مختلفة من الحركة التقدمية، والعديد منهم مازالوا مرتبطين بالاشتراكية وهم يحاولون الآن حل مشاكلهمبأنفسهم.

وكل هذه الحركات المناضلة ضد الظلم الاجتماعى، سواء كانت واعيه بذلك أو لم تكن، ذات مصلحة فى كيفية عبور التيارات المختلفة للشيوعية الامريكية لهذه الظروف الصعبة.

إن من المفارقات أن هذه الهزة فى الاشتراكية الدولية تقدم بعض التحديات والفرص الجديدة أمام هؤلاء الذين ظلوا يناضلون لتطوير تيار اشتراكى قابل للحياة والتطور فى السياسة الامريكية. فتحولات بهذه الضخامة لابد أن تساعد على إبرام تحالفات جديدة وتعديلات وترتيبات سياسية جديدة. وهذا أمر يجب أن نتطلع إليه إذ أن المجموعة الحالية من التحالفات لم تثمر إلا التفتت والانعزالية. وبالتأكيدينبغى أن يكون

واضحا لنا أنه لن يكون لنا بعد اليوم أعذار. فعلى الاشتراكيين الامريكيين إما أن يتقدموا كمشروع مستقل يقدم صورة لمجتمع عادل من ثنايا الواقع الامريكي، وإلا كان مصيرهم الموت النهائي. ومن بين التحديات الماثلة أمامنا:

أولا نبدأ ونحافظ على حوار- بل حوارات- عبر كل التيارات الاشتراكية. إن أعضاء كل التيارات - باستثناء المصابين بحمى الهذيان- قد تخلصوا من وهم أن لديهم إجابات جاهزة للتحول الاجتماعي. فكل الخطوط القديمة الفاصلة تذوب بسرعة، وقضايا الحوار واضحة وعديدة. أي جزء من النظرية الماركسية يمكن إنقاذه، كيف ننظر إلى ماضينا المشترك، قابلية التيار الاشتراكي الامريكي للحياة والنمو، المعالم الرئيسية للسياسة الوطنية ما بعد الحرب الباردة.. الخ. وهذا الحوار يجب أن يمتد إلى أبعد من دوائر اليسار المؤسسي ليشمل كافة القوى الشعبية والتقدمية. ومن الواضح أكثر من أي وقت مضى أن توليفة سياسية جديدة سوف تظهر من خلال الخبرة المشتركة لكل هؤلاء المنخرطين في معركة السلام والعدالة، ومن خلال تأمل تلك الخبرة.

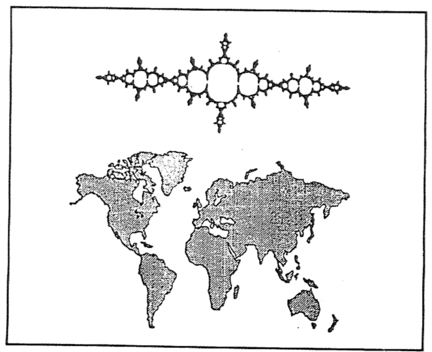
والتحدي الثاني هو أن نظل منغمسين في حركات العدل الاجتماعي حتى وإن كانت العلاقة بين هذه الحركات وعملية التحول الاجتماعي الأرحب مازالت غير واضحة. وقد يبدو للبعض أن هذه هي اللحظة المناسبة لكي نقبع في بيوتنا ونلعق جراحنا. غير أن هذا ليس صحيحا بالمرة. فالأهم هو أن نظل على اتصال تحليليا وعمليا- بقضايا الظلم الاجتماعي التي دفعتنا إلى الاشتراكية في المحل الأول. فالقيمة الجوهرية لتلك الحركات في نشاطها المثير للاحباط أحيانا وللرضى أحيانا أخرى لاصلاح وإعادة صياغة المجتمع الامريكي هو سبب كاف لكي يجعلنا مشغولين بالنشاط السياسي. وللاشتراكيين مسئولية هامة في تطوير هذه الحركات بإلقاء الضوء على العلاقة بين الاشكال المحددة للظلم وبين المظالم الاوسع في الطبقة أو الجنس أو النوع للنظام الرأسمالي، ثم من خلال تلك الجهود تنمية الالتزام الواعي بالوحدة عبر الأجناس أو الطبقات.

أما التحدي الثالث فهو أن نحافظ على التزامنا بالاممية وعلى التضامن الأممي حتى ولو كان هذا العمل قد تأثر بشدة باندفاع الاحداث العالمية. إن حجب الدعم السياسي والاقتصادي عن حركات التحرر الوطني في البلدان النامية كان نتيجة سيئة الحظ- وربما حتمية للهزائم الاشتراكية في أوربا الشرقية وللتراجع الاقتصادي في الاتحاد السوفيتي. ومن الطبيعي أن نفترض وحالة بنما تبدو هنا كمثال- أن الضعف الاشتراكي يترجم إلى نوايا تصلبية لدى أمريكا لفرض إرادتها كلما رأت ذلك ملائما وبأي طرق غير شرعيةتحت تصرفها. إن من المؤكد أن الاساس القديم للتضامن الاممي الشيوعي (أي مفهوم عملية ثورية عالمية وحركة شيوعية دولية) قد تآكل تماما. ومن الصحيح أيضا أن الشيوعيين الامريكيين قد وجدوا أسبابا جديدة للخلاف النابع من تقييمات مختلفة لاحداث أوربا الشرقية وأثارها على الحركات والحكومات الثورية في العالم النامي فالخلافات حول السياسة السوفيتية في أفريقيا الجنوبية، وموقف كاسترو تجاه الجلاسنوست والبيروسترويكا، والآفاق الثورية في أمريكا الوسطى.. قد فجرت بالفعل مناقشات ساخنة. والتحدي أمامنا هو أن نمنع الخلافات من أن تصبح عامل تفتيت داخل اليسار، مع إدراك أن الخلاف في وجهات النظر سوف يستمر ويؤدي إلى تأكيدات متباينة في العمل التضامني الأممي. وهناك أهمية خاصة لتبادل وجهات النظر مع الاشتراكيين الشيوعيين في العالم النامي، وأن نحاول أن نفهم تفكيرهم عن كيفية تأثر أفكارهم ونشاطهم بأزمة الاشتراكية في أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي. وإن التغييرات الجذرية التي تحدث على النطاق الدولي سوف تؤدي في النهاية إلى إطار تصوري جديد للأممية. ومع ذلك فإن التقليد القديم للمشاركة في العون المادي والمشروعات التعليمية وقياداتها جدير أن يستمر ويزداد ثراء في تلك الظروف الجديدة.

إن الفلسفة والنظرية السياسية والاقتصاد السياسي لأكثر الايديولوجيات وعيا في هذا العالم قد أعيد التساؤل حولها، وعلى هؤلاء الذين كانوا دوما أنصارا لهذه الايديولوجية مسئولية خاصة في تعبئة جهودهم من أجل نقد ماضيهم والمساهمة في توليد نظريات ومنهجيات جديدة من أجل السلام والعدالة. وربما ينقضي وقت طويل قبل أن تظهر توليفة جديدة للتحرر الاجتماعي.

لكننا واثقون أنها ستظهر وأنها ستتضمن العديد من بعد النظر السياسي لماركس ولينين والخبرات المتراكمة الايجابية والسلبية للتطبيق الاشتراكي في العالم.

لقد افتتحت الماركسية عهدا جديدا، رغم الشكوى والانتكاسات الحالية فإن الساعة لن تعود إلى الوراء فيما يتعلق بتطبيق الوعي الانساني والعمل الجماعي على مشاكل التحرر الاجتماعي.



الماركسية

نمط متجدد للحضارة لايسقط

د. بهاء الدين قابيل

من المعروف انه مع تطور العلوم المادية بخاصة منذ القرن الماضى تأسست نزعة جديدة تريد ان تحدد المستقبل باتجاه شبه حتمي وترسخ فيما اصطلح عليه بالتقدم وهو التعبير الحديث عن تفاؤلية شاملة تفترض ان اتجاه الحضارة يرتبط بحتمية التقدم الذى أصبح عماد فاعلية البحث والتنظيم وتوجيه قدرات المجتمع واتخذ مضامين كثيرة تحددت بصورة واضحة فى محور أساسى يدور حول التنظيم العقلانى وسيادة الانسان على الطبيعة أولا ومن ثم على سير المجتمع ككل- ولكن سرعان ماوقع الشرخ بين حتمية التقدم وحتمية التفاؤل ببلوغ الحضارة أرقى ظروف الحرية والإبداع التى كانت المحرك الأساسى لأحداث التاريخ الكبرى منذ أن وعى الأنسان قابليته النظرية للتطور وتجاوز الحدود والعقبات والظروف المضادة طبيعية كانت أم اجتماعية. وفى حين كان تاريخ التطور يقدم فى كل مرحلة اجتماعية شبكة صراع تلعب فيها القوى المسيطرة دور الموجه لحركة التطور وتصارعها فيها قوى الغالبية الأكثر ولكن الأضعف من حيث ملكيتها لوسائل الانتاج، فإن عصرنا الحاضر يشهد تصاعدا ذرويا لا سابقة له فى حرية الاستقطاب بين القوى التى تريد فرض حتميتها الخاصة وتدمر فى الوقت ذاته حتمية التاريخ. والماركسية كفلسفة تفاؤلية كانت تتحدث باللغة الأيديولوجية عن حتمية التقدم والوصول الى التطابق التام بين العقل والتاريخ أو بين المثل الأعلى والواقع.

ولايستطيع أحد القول أن مادعت إليه الماركسية- فى هذا الصدد- يتناقض مع هذا العصر التكنولوجى المطلق فالعلم الآن يعمل على صياغة المستقبل بارادته ويسخر التاريخ أداة لهذه الحتمية. وهنا نتوقف لنبدى ملاحظة هامة وهى أن الماركسية كانت الفلسفة الوحيدة التى طبقت فى البناء الاجتماعى وخلقت نمطاً للحياة وأركانا جديدة للمجتمع.

ولكن ماهذا الحادث اليوم فى معاقل هذه الفلسفة الأصيلة؟ فى حقيقة الأمر من المتعذر حاليا السعى الى فهم جوهر تعاليم الماركسية اللينينية دون الأخذ بعين الأعتبار التطور الجسيم لمجمل المقولات الأساسية لهذه التعاليم، وعلى سبيل المثال هل يمكن- حتى النهاية- فهم جوهر دولة ديكتاتورية البروليتاريا متجردين بذلك من الواقع الاجتماعى السياسى الجديد الذى تمخضت عنه وعن تجارب الأسلاف فى الظروف التاريخية الجديدة دولة عامة الشعب؟ ووضعنا التقليدى



المختار حيث تشكل ديكتاتورية البروليتاريا أسمى أشكال الديمقراطية فى زمن معين لأنهم الأغلبية، وهو مايعتبر عادلاً بالنسبة الى كل أشكال الديمقراطيات التى تتشدق بها بلدان أخرى كاذبة. وهنا أقول أن ارتقاء وإغناء محتوى المقولات القديمة للماركسية يتم- ليس فقط- عن طريق ادراك المعطيات الجديدة للواقع الاجتماعى ومنجزات العلم والتكنيك وسعة الإطلاع، وانما عن طريق المعرفة الأكثر عمقا واعادة ادراك التاريخ القديم، والمعالجة الحديثة لعمليات وظواهر معروفة منذ القدم وتحققت خلال وجهات نظر معينة، هكذا اجتهد رسولنا الأيديولوجى كارل ماركس حين قال: ان التطور هو وسيلة البقاء، وسار على دربه لينين حين قال: اننا لانعتبر أبداً نظرية ماركس شيئا كاملاً لايجوز المساس به، بل اننا مقتنعون بأنها لم تفعل غير ان وضعت حجر الزاوية لذلك العلم الذى يترتب على الاشتراكيين أن يدفعوه الى الابعد فى جميع الاتجاهات اذا شاؤوا أن لايتأخروا عن موكب الحياة» وبالتالى فنحن لم ندع الى التحجر الفكرى والتقوقع داخل اطارات أبدية، ان اعتناق الماركسية اللينينية كعقيدة فلسفية اقتصادية اجتماعية سياسية لا يعطى أصحابها الحق فى امتلاك المعرفة والحقيقة وخاصة اذا كان لهذا الاعتناق طابع الايمان خاصة اذا ما حذف من الماركسية روحها الثورى التطور. فقد اعتنق الكثيرون هذه العقيدة بعد ماركس ومنهم من حفظها كايات منزلة مثل كارل كاوتسكى الذى كان فى عصره ضليعا بمعرفة نصوص ماركس وانجلز حيث كان يستشهد غيبا بفقرات ويلقى خطباً كاملة من مؤلفاتها، غير انه وبسبب عدم فهمه لمتغيرات الظروف الاجتماعية وعدم استيعابه لجوهر ومبادئ ومنهج التعاليم الماركسية تحول الى انتهازى حقيقى والى فكر منغلق تماماً. ومنهم من استوعب جوهر الماركسية وراح عبرها وعبر مبادئها الأساسية يقرأ واقعه وينتج معرفته ويصوغ وفقا لذلك برامج نضاله السياسى، وقد أعطى لينين المثل الحى على المقاربة المبدعة للماركسية فهى كنظرية تعد بحتمية انتصار الاشتراكية تاريخيا (تحت أى مسمى وفى أى صورة وذلك لحساسية البعض من كلمة الاشتراكية) لكنها فى الوقت نفسه لم تعد بانتصار أتوماتيكى يأتى للشعوب من خارج الممارسة النظرية والعملية ودون توظيف المبادئ لكل بلد تبعا لظروفها وخصائص شعوبها. ونحن لم نقل يوماً اننا نريد ماركسية القرن الماضى أوحتى ماركسية



لينين نفسه لأننا لايمكن أن نؤمن بالفكرة (التطور) ونقيضها (الثبوت) فى آن واحد.

وماذكرته هذا يؤكد على حيوية مواقف كلاسيكى الماركسية الداعين الى الاقتراب بشكل علمى من محتوى الماركسية نفسها والتذكر واتباع متطلبات صفاتها الابداعية والسريعة التطور. إذن فالتجديد من حيث المبدأ هو صفة ملازمة لعقيدتنا. ودوافع هذا التجديد مايحدث من ارتباك شديد فى هذه العقيدة لاينبع من فسادها وانما من خضوعها المستمر لتفسيرات واجتهادات على أيدى فصائل عديدة وقادة ومفكرين كثر فى الحركة الثورية العالمية.

ونظلم أنبياءنا اذا ادعيا أن رسالتهم تتضمن الأجوبة عن كل الاسئلة التى تطرحها الحياة فى كل زمان ومكان.. فالرسالات الإلهية لم تدع هذا فهل ندعيه نحن لأنفسنا، وليس عيبا أو نقصا فى الماركسية اننا كلما ابتعدنا عن زمان ظهورها- والذى عاش فيه وعمل أنبياؤنا- قلت فى أعمالهم الأجوبة المطلوبة حاليا. وأعفى نفسى من حديث مكرر عن مافعله لينين والذى يتضاءل بالنسبة لزمنه ولرفاقه ولظروفه مايفعله جورباتشوف حاليا.

ونعلم انه من الصعب احداث اصلاح اقتصادي أساسى دون المساس بالنظام السياسى وببعض المسلمات والمفاهيم التى تحكم العملية الاقتصادية فالوقت لم يعد يحتمل بقاء دولة عظمى كالاتحاد السوفيتى خاضعة لما يسمى بالتفاوت المركزى حيث تملك اقتصاداً عسكريا يجعلها على قمة القوى العالمية مقابل اقتصاد مدنى يعانى من الركود والهبوط والتراجع. ثم فضلاً عن هذا فقد جرى تسطيح متعمد لبعض أفكار مؤسسى الماركسية فى الفهم المادى للتاريخ فجرى تصوير الأمر وكأن الواقع الاشتراكى يزيد تلقائيا من تكون الأفكار التقدمية والتى تتحول الى قوة مادية خاضعة للجماهير. ومن ثم فقد تجاهل هذا التفكير السطحى الفكر المعرقل للأفكار والتصورات القديمة فى مسار التطور الاجتماعى. وجرى تجاهل أفضح للمبدأ اللينينى فى الكشف الصحيح عن الخصائص الرئيسية لكل مرحلة تاريخية من مراحل بناء الاشتراكية ودراستها وليس صدفة أن نولى النظرية هذه الأهمية لأنها لم تلق بعد لينين اى تطوير جدى يحولها الى نظرية فاعلة فى التاريخ وبالتالى فلابد من تخليصها من تشويهات ونظرات محدودة تصور الاشتراكية فترة قصيرة يتم القفز بعدها الى الشيوعية كما اعتقد ستالين- والفرق كبير جدا بين ذلك وبين كونها طوراً طويلاً له مراحله وتناقضاته وخصائصه. حتى أننا نجد اليوم أطروحه تعتبر الاشتراكية تشكيلة قائمة بحد ذاتها لها أسسها القاعدية الخاصة وهى بهذا لاتختلف



عن الشيوعية فى مستوى النضج فقط وانما نوعيا أيضا فالديالكتيك الماركسى والذى تجاهله الكل أثناء الهجوم علينا يعيد الاعتبار الى التناقض كقوة محركه للمجتمع، اى ان هذا الديالكتيك ماهو إلا دراسة التناقض فى جوهر الاشتراكية، هذه الدراسة الصحيحة للاشتراكية والتى تعتبرها بديهية لحل التناقضات ودفع حركة المجتمع الى الإمام اذن فهذه التناقضات الحالية فى المجتمعات الاشتراكية تنبع من الاشتراكية ذاتها بل وتنبأ بها ماركس نفسه ذلك لأن الاشتراكية لاتمثل استثناء فى الماركسية اللينينية.

ولن نتخطى نقطه قد يتخذها البعض ضدنا من حيث التناقض بين المداخل الناجمة عن أساليب ملتوية- لاعن العمل- وبين مبدأ التوزيع حسب العمل، وعلاقات الانتاج... الخ نقول هنا اننا مع أى تغيير للصالح العام وبالتالى فنحن متفقون تماما مع البيروسترويكا التى هى فى نظرنا تجديد للفكر طبقا لظروف الاتحاد السوفيتى بغض النظر عن صحة اكتمال مايطرح من أفكار تجديدية أو عدمه، وهذا مايثبت أخيرا وجهة نظرنا الداعية الى التعامل مع التركه الفكرية للاحتفاظ بالقيم الحسنة منها واعادة النظر فيما استنفذ والتخلى عنه.

وينبغى ان تزول تلك المواقف والاراء التى تصور وجود الآراء الأخرى بأنها نسف للماركسية فتعددية الآراء دليل ساطع على النضج الفكرى، حيث الاتفاق والاجماع غير المبرر يولد الجمود، ولم يعد محتملاً من أنظمتنا- الخائفة من الاشتراكية- ان تتحفنا ليل نهار بنفس الأحاديث المبتذلة عن سقوطنا. باختصار فان تحليل مسألة الاشتراكية كتشكل نمط تاريخى جديد للحضارة وعلاقته المتبادلة مع تقدم البشرية تبرز الآن كمسألة أكثر واقعية وضرورية ومستقبلية.



الله والقافية والشيوعية

قراءة تمهيدية لشعر فؤاد حداد

محمود أمين العالم

مازلت أذكر وجه فؤاد حداد الغاضب وكلمته الغاضبة عندما زارني في أواخر الخمسينات، وكنت حينذاك أكثر من الكتابة مدافعا عن الشعر الجديد، محبذا تخليه عن الأنساق الخليلية في الوزن، بل عن القافية كذلك. وماتزال ترن في اذني كلمته الغاضبة: «ياصديقي الشعر قافية، بدون قافية لاشعر». وعندما جمعتنا بعد ذلك زنزانة في سجن المحاريق في الواحات الخارجة، كان يرقد على أرض الزنزانة على يساري. وكان من عادته عندما ينام أن يغطي جسده كله «ببطانية» السجن فلايبين منه شئ. كانت هذه «البطانية» المحكمة الإغلاق هي غرفته الصغيرة التي يختفي فيها كي يمارس عملية بناء أشعاره. وكانت قدماه تفضحانه دائما، كنا نعرف استغراقه في هذه العملية عندما نبصر بقدميه تحت «البطانية» المحكمة الإغلاق تتحركان حركة متسقة كأنها جهاز إيقاع.

كنت أحس وأتبين دائما في كل ما أسمعه منه أو اقرأه له من أشعار بقوة الإيقاع، بسيطرة الوزن الموسيقي، بجبروت القافية. بل كنت أشعر أحيانا أن القافية تكاد أن تكون القوة المحركة الفاعلة الدالة في بنائه الشعري كله. وكنت أدهش لهذا، لأني كنت أتبين في الوقت نفسه، أن موضوعاته الشعرية ومضامينه المعبرة عن موقفه الانساني كمناضل وطني شيوعي، هي القوة المحركة الفاعلة الدالة كذلك في بنائه الشعري! وكانت تزداد دهشتي دائما عندما كنت أتبين كذلك في العديد مما يكتبه من أشعار رؤية دينية مؤمنة عميقة الايمان، ولم يكن الأمر تظاهرا، ولم يكن ادعاء، ولم يكن رد فعل لملابسات السجن وعذاباته وقسوته، وماكان يحوم فيه وحوله من شبح دائم لموت، تجسد في سقوط اكثر من جثة لرفيق عزيز لنا جميعا. وكان من بين هؤلاء قريب لفؤاد حداد هو الشهيد الدكتور فريد حداد الذي قتل في سجن أوردي ليمان أبي زعبل، وكان أول شهدائنا قبل أن يستشهد بعد ذلك بقليل شهدي عطية في هذا السجن نفسه الذي كان يضم أغلب الشيوعيين آنذاك منذ أواخر عام ١٩٥٩ قبل أن ينتقلوا الى سجن الواحات. لا ... لم يكن شبح الموت المخيم وراء هذا الإحساس الديني العميق عند فواد حداد، بل ماكان هذا الاحساس الديني العميق عنده نقيضا لانتمائه الشيوعي.

وما أندر الفرص التي كانت تسنح لنا، فنقف قليلا لنتحدث في بطن جبل أبي زعبل، حيث كنا نلتقي معا لنكسر أحجار البازلت وإن كانت تتوزعنا عنابر الاوردي المختلفة بعد ذلك. وفي بعض هذه الفرص النادرة كنا نتعرف من فؤاد حداد على آخر أشعاره، وكان من أروعها - في تلك المرحلة - ملحمته المطولة في رثاء الشهيد شهدي عطية، التي لاأدري اين ذهبت واختفت، أردت أن أقول إنه في هذا المناخ الذي كان يقطر عذابا وقسوة ويحوم فيه وحوله وفوقه شبح الموت، لم يكن ايمان فؤاد حداد الديني نقيضا لشيوعيته، فمازلت أذكر من تلك الملحمة بيتايشير فيه فؤاد حداد الى واحد من المسجونين من مناضلي الحركة الشيوعية المصرية هو العامل الزراعي أحمد سليم، ويقول في هذا البيت على لسان هذا المناضل الشيوعي: «شيوعي والله شيوعي وحافظ القرآن» وماكان فؤاد حداد يشير بهذا البيت الى أحمد سليم وحده، وإنما كان في الحقيقة يعبر به عن نفسه كذلك.

وكنت أتساءل دائما عن هذه العلاقة الحميمة عند فؤاد حداد بين هذه القوى الثلاث المسيطرة على أشعاره: الله والقافية والشيوعية، أو بتعبير آخر: عمق ايمانه الديني، وجبروت القافية وسيطرتها، وحرارة وصدق رؤيته الوطنية الاجتماعية الانسانية التقدمية.

في البداية كنت أتصور الأمر لحظات مختلفة متوازنة، متجاورة فى حياته الفكرية وفى بنائه الوجدانى وفى تعابيره الشعرية. وكان مصدر هذا هو اطلاعى المتقطع على أشعار فؤاد حداد. ولكن عندما أخذت تصدر دواوينه الجامعة لاشعاره المختلفة ورحت أقرأ فؤاد حداد قراءة شاملة موحدة، أخذت تتكامل عندى رؤية كلية لهذه القوى الثلاث المسيطرة فى شعره، وأحسست أن الله و القافية والشيوعية عند فؤاد حداد تكاد أن تكون شيئا واحدا تتمثل فى الانتظام الكونى الذى يمسكه إيقاع عميق وتوجهه حقيقة كبرى هى العدالة وهى المحبة وهى الخير إن الله يتمثل عند فؤاد حداد فى هذه القافية التى تنتظم الوجود كله، كما تنتظم الحياة الانسانية كلها، كما تنتظم وتتجسد فى الشعر الذى هو جوهر الوجود وجوهر انسانية الانسان وأن الله يتمثل كذلك عنده فى الخير المطلق وفى ارادة التطلع الانسانى والنضال الانسانى والمسعى الانسانى من أجل الكرامة والشموخ والحرية والخير والجمال والسعادة

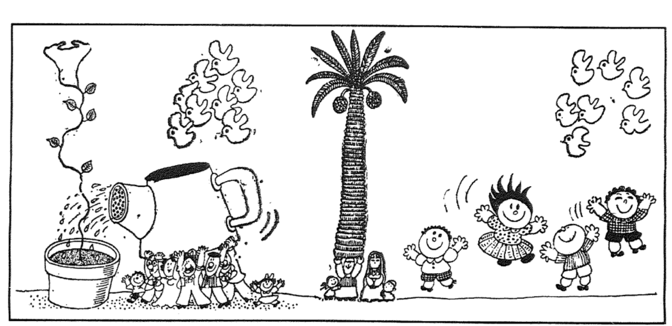
والتقيت بفؤاد حداد قبل وفاته بأسابيع. قال لى: أتعرف بأننى أشعر أهل الإنس والجن؟ فقلت له: أعترف لك بهذا يافؤاد أنت بحق أشعر أهل الإنس والجن. وما كان يهزل ، وماكنت أهزل! كان يعرف وكنت أعرف أنه بالإيقاع الدقيق الفريد المعجز لقافيته، وبالعمق الوطنى والاجتماعى والانسانى لرؤيته الشعرية، انما يرتفع الى ماوراء واقعه المباشر دون ان ينعزل عنه ليلامس إحساسا كونيا شاملا نادرا.



كان شاعر القضايا البسيطة المباشرة،شاعر العمال والفلاحين، شاعر الصنايعية والأطفال، شاعر التحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية والمعاناة الانسانية، لكنه كان هو نفسه كذلك الشاعر الذى يرتفع بنسيجه اللغوى وإيقاع قافيته الخارقة، ورؤيته الواقعية المباشرة الحية، الى مستوى رفيع من الوجد الإنسانى الكونى الشامل، وكان هو نفسه كذلك الشاعر الذى يضفر اللغة العامية، اللغة الشعبية، تضفيرا يجعلها فى مستوى أرقى التعابير الشعرية الفصيحة بل يكاد يجعل من الشعر الشعبى امتدادا أصيلا لمدرسة لزوم مالايلزم لأبى العلاء المعرى فى الشعر العربى الفصيح. وكان يعلن دائما انتسابه الى مدرسة أبى العلاء الشعرية. يقول:



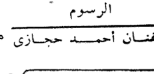
بصّ لي يا أبو نواس
أنا المعرى...
إن كنت أشعر الناس، أوصف لى عصرى
إن كان سرك فى الكاس، أنا الكاس فى سرى
ويقول: اختاروا حريتين وأبو العلاء سجنين
واخترت زيه طريقه اسمها الموال
. . . .
اختاروا حريتين وابو العلاء سجنين
والوزن والقافية بالثانى وبالثالث
وبالدموع اللي في قلب الحجر سالت
واخترت زيه أشمر واشتغل بالدبش
واشتغل بكلبش.
وأنا اللى عاوج الموال على ناحيه
ومستقى من سماوات العرب وحيه
ادفع الى ابو العلاء نسبى واسنادى
يقول:وابو العلاء باختلف عنه وأطيره



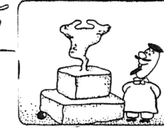








الرسوم
للفنان أحمد حجازى



أنا ياحب الوهم
خمسين سنه انغرزنا فى بعض دم ولحم
بقيت أنا وهوه مولوده ومولودى
ياأهل المواهب غدا لاتلزموا حدودى.

لم يدخل فؤاد حداد «جنة قوافى» أبى العلاء و«قطف قافية» فحسب كما يقول كذلك أنما تجاوزه كما ينصح بذلك من سيجيئون بعده هو ولكنه جعل من القافية الملتزمة وحدة عالمه الإيقاعى المنتظم، ووسيلته لاقتناص الحقيقة وامتلاكها. كانت القافية عكازه الى الله، وعكازه الى انسانية الانسان، وعكازه الى الحقيقة. كان يسمى نفسه باسمها «أنا الأديب، أنا القافى»

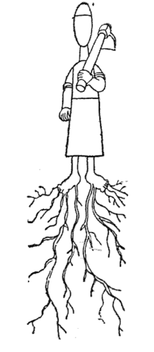
ويقول: «دليلى فى الدنيا لسان عربى
جعل القوافى عاصمة للشعر

ويقول: وأى قافية مادامت حلوة تتأمر
بالوزن قايم وبالقافية عمود الشعر

ولكنها لم تكن مجرد القافية الايقاع، القافية الجمال الشعرى بل كانت القافية الحقيقة الحية.

يقول: أنا مجنون عشان أسيب القافية فى الطريق، القافية فى الكلمة الطيبة، القافية فى العمل الصالح بالفصحى والعامية»

ويقول:
كل قوافى فؤاد حداد
صدق حقيقة
ومجربها بالاستشهاد
مافيهاش غير قافية واحده:
عليكم السلام



وكانت القافية فعلا متجسدا من أجل الحقيقة:

يقول: القافية تفعل مفعولها
ويقول: خليها تعبّر وتصارع
تخلى الفعل الماضى مضارع
ويقول: ان ضل قوم أوتاهوا
ماضل شعرى مأتاه
تنفست قافيتاه
حريتى والآفاقا

بل لعل القافية أن تكون حقيقته وقوته

يقول: القافية مأوى لى
ويقول: سرقوا قافيتى
سرقوا عافيتى.

ولهذا ماأكثر ماكان يتحدث فى شعره عن شعره، وفى قوافيه عن قوافيه. ولعل أجمل ماكتب عن قوافيه قصيدة «موال الشيخ سعيد» الذى صور فيها الشاعر بالمنقار والقافية بالفستق الذى يلتقطه المنقار- الشاعر:

بأعلمك صنعة المنقار مع الفستق.

وكان للقافية عنده أكثر من وصف. فهى «قافية لطيفة» وجاءت «على منوالى» و«كل القوافى لها موازين» و«كلها من عيار بندقى» أى من الذهب و«وقافية بتفرق شربات» و«قافية مقيدة» و«القافية الالاجة» و«قافية مبطوحة زى الزمان ومفضوحه» و«القافية الزاهية» و«كل قافية بقت تجينى معلقة فانوس» و«أجمل قافية فى الدنيا» بل كادت القوافى عنده تبلغ حد العشق والتقديس: «وقفت القوافى حافية وأنا خائف أبوس رجليها»

وبهذه القافية على تنوعها راح فؤاد حداد ينسج ويبنى أشعاره التى تبرز فيها القافية كعاصمة كما يقول لهذه الأشعار، ينتظم بها القول الشعرى جماليا، كما ينتظم بها القول الشعرى دلاليا ومعنويا كما تنتظم بها رؤية متسقه متزنة عادلة للأفق الانسانى والأفق الكونى ، وتتداخل فيها رؤيته الجمالية ورؤيته الاجتماعية التقدمية من ناحية وتدينه العميق من ناحية أخرى.

ويتجلى التدين عنده فى أكثر من مظهر ودلالة. فقد يكون تدينا باطنيا أقرب الى الرفيف الشعرى الرومانسى، وقد يكون تدينا اسلاميا طقوسيا جهيرا وهو العربى المسيحى

الأصل. نقرأ هذا ديوان من أواخر دواوينه كرسه تكريسا كاملا لمديح النبى محمد هو «الحضرة الزكية» «نبتت فى قلبى أصول شجرة مديح النبى» كما نقرأه فى أوائل دواوينه الذى كرسه تكريسا كاملا كذلك للعمال والفلاحين «قريت فى الفجر قرآنى» كما نقرأه كذلك فى مختلف دواوينه وخاصة فى أغانى المسحراتى وفى اشعاره المتناثره عامة التى يختلط فيها الحس الدينى بالحس الوطنى بالحس الاجتماعى بالحس الجمالى، كما يبرز فى هذه الأمثلة من بعض شعره:

– كان بوسطجى مسحراتى فى الندى الأبدى

– غنوتى زى الفجر خجوله
وزيه مهوله
وزيه أدان.

– أنا الذى عندكم قبل الندى صليت
وكل سجادة خضرة تقول لكم صليت

– التفير زى الأدان

– وأنا متجه للقبلة، فى كل وقت
أنا بالمصاحف عينى مفتونه
بحروف معايا بيذكروا ويشكروا

– الأرض بتتكلم عربى وقول الله
إن الفجر لمن صلاه

– لما تقول يارب يعرفوك عربى

– ولسه جبينك حيعلى كل ماتصلى

– أنا اللى صليت فى بعض السجون
وفى ايدى سبحة من نوى الزيتون

– حسى اللى غاوى السجع والترتيل
يصلى على الهادى فى كل أوان

– إن الاسلام هو العدل
والرحمة إنسان يتلو
من وحى الله.

– انضم قلبى لقلب
الحدادين فى الأرض
الزارعين البناه
قاموا عمود الصلاه

وهكذا يتعانق عنده الترتيل الدينى، بالترتيل الشعرى بالاحساس بالجمال، بمحبة الوطن، وبإرادة العدل وعمارة الأرض. ولكنه لايقف عند المعنى العام للعدل وعمارة الأرض، وإنما يغوص بهما الى تحديد موضوعى أدق هو ثمرة وعيه الاجتماعى الثورى. يقول معبرا عن ذلك فى مقطوعات من بعض شعره:



– يابيوت فقيرة ليه هدمت القصر؟
قالت عشان نبنى لكل الناس.

– طالب بعدل ونور وحرية
وبهدمة للعريانه والعريان
وبراحه للعرقانه والعرقان
وبرحمة للعطشانة والعطشان
وبساعة للغلبانة والغلبان
من إنسانية يعيشها كالانسان

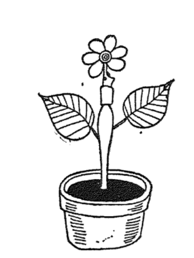
–اتأكدت وحدة الحرية واللقمه

– بنزف عنتر على عبله
والدنيا للطبقة العاملة

– وليحيى جنس العمال
وليسقط جنس الظالمين

– كل اشتراكى مبدأه انسان

– المثل الشعبى والكفاح الثورى
والعدل رضيوا بى



ويكاد يقدم لنا صورة لحلم مجتمع الوفرة والحرية المطلقة والبهجة الانسانية فى هذه القصيدة الرمزية المرحة:

............أنا كنت ملك
كنت ملك فى بلاد شوارعها
ماخدتش ريعها وسبت الناس
رايحه وجايه وماشيه بلاش
ناكل باميه ياساميه بلاش
غلا القله يالولاً بلاش
والزغروطه فى بير السلم
ومعاها الشموسه بلاش
ونزيط أيضا ببلاش
ونعيط أيضا ببلاش
نتجوز ونخلف ايضا
ونخالف أيضا مش أيضا
كله بلاش ببلاش....

وعندما يقول فؤاد حداد فى مقطوعة من مقطوعاته الشعرية:

شعرى صوره المستقبل العربى
باغنى غنوه اسمها السلسبيل

وعندما يقول كذلك فى مقطوعه أخرى:

إن «اقترب» ومنتهى «اقرأ»
هى السلسبيل

مشيرا برمزية رقيقة شفافة الى آية من آيات القرآن الكريم،

وعندما يقول فى مقطوعة ثالثة:

أقيم ميزان الشعر بالقسطاس

وعندما يقول فى مقطوعة رابعة

فيض الحنان ياابنى
زعزع جبال الظلم

وعندما يقول فى مقطوعة خامسة

لازم نقيم العدل
لازم نحب اللى يقيمه
لازم نلاقى اللى يحبه

وعندما نجد معانى هذه المقطوعات وغيرها فى العديد من اشعاره كما سبق أن ذكرنا، يتفجر فى وجداننا القارئ إحساس عميق بهذه العلاقة الحميمة المتداخلة عند فؤاد حداد بين ميزان العدل الالهى وميزان القافية الشعرية وميزان العدل الاجتماعى.

على أن هذه هى مجرد قراءة خارجية سريعة قد تصلح مدخلا تمهيديا لقراءة باطنية أكثر غوصا وتعمقا وتفصيلا فى شعر هذا الشاعر العظيم فؤاد حداد.

فن متمرد في طريق مسدودة

احمد يوسف

منذ فيلمه الأول كمخرج، «عيون لاتنام» (١٩٨١)، بدا أن القضية التى تشغل رأفت الميهى هى الكشف عن جوهر الأعماق، المتنافرة والمتآلفة معاً، من مشاعر البشر تحت سطح الحياة الساكن، فى مجتمع يبدو للوهلة الأولى مستقراً مطمئناً إلى علاقاته الانسانية والطبقية التى تصورها لاتتغير ولاتتبدل، بينما يحمل فى أحشائه بذور التحول والاضطراب، ويسير نحو صدام دموى مأساوى. إن تلك الرؤية ذاتها تصبح أكثر حدة ووضوحاً فى أفلام الميهى التالية، فتراه فى «للحب قصة أخيرة» (١٩٨٦) يحاول أن ينزع القناع عن كل الأوهام التى صنعها البشر، سواء كانت أو هاماً ميتا فيزيقية أو أخلاقية أو اجتماعية، وأن ينزع أيضاً تلك الهالة الميلودرامية الرومانتيكية التى تحيط بقصص الحب السينمائية، والتى كان أكثرها شهرة «قصة حب» (١٩٧٠) للمخرج الأمريكى آرثرهيلر، وهو الفيلم الذى اعتمد عليه الميهى فى بعض خيوطه الدرامية الرئيسية، ليقلبها رأساً على عقب، ويقدم قصة حب أخرى تقف على أرض الواقع، وإن كان واقعاً ينطلق من رؤية الفنان الوجودية، وتخيم عليه سحابات العبث والمرارة من مصائر البشر.

وربما كانت تلك المرارة العميقة التى يرى بها الميهى الواقع الانسانى فى كل مستوياته هى الدافع وراء اختياره لأفلامه الأخرى قالب الكوميديا ذات البناء الفضفاض الذى يتسم بالحرية الدرامية، مما جعل بعض النقاد يطلقون عليها اسم (فانتازيا)، وإن كانت أقرب للكوميديا الساخرة السوداء، التى تضخم الواقع لتجسد اللامنطق فيه، وتكشف عن العبث فى قلب النظم السياسية والاجتماعية القائمة، وتستعير بعضا من ملامح أفلام ليندساى أندرسون ولوى بونويل. ففى «الأفوكاتو» (١٩٨٤) يبدو سلوك البطل الفهلوى انعكاساً للتناقضات الاجتماعية المضحكة والمبكية فى آن واحد، حتى أن بطل الفيلم يدفعه طموحه فى البحث عن صفقة ثمينة إلى أن يدخل بارادته إلى عالم السجن الذى يمثل مجتمعاً مصغراً تتجسد فيه تلك التناقضات، تماماً كما دخلت بطلة فيلم «السادة الرجال» (١٩٨٧) إلى عالم الذكورة على إثر عملية جراحية، يدفعها إلى ذلك تصورها أنها تدخل إلى عالم الحرية الحقيقية فى المجتمع الذكورى، لتكتشف فى النهاية أنها قد خرجت إلى سجن جديد. وعلى الرغم من أن فيلم «سمك لبن تمر هندى» (١٩٨٨) هو أكثر أفلام الميهى حرية وعبثية فى شكله الفنى، فإن المضمون يحاول أن يوحى- فى تناقض مقصود- بحالة من القمع والكبت الدائمين، يعيشها البطلان مع كل أنواع السلطة التى تطارد الانسان فى حياته وموته، وتقبض بيدها على الحاضر والمستقبل معاً.

أما فيلمه الأخير «سيداتى انساتى» (١٩٩٠)، فيعود من جديد إلى تأمل علاقة الرجل بالمرأة، لكنه لاينظر إليها هذه المرة على نحو يميل إلى تجريدها إلى قضية الذكورة والأنوثة البيولوجية والنفسية كما كان فى «السادة الرجال»، وإنما ينظر إليها باعتبارها علاقة تتشكل وتتغير، وربما تنقلب أيضاً تحت تأثير تقلبات الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

علاقات مقلوبة فى مجتمع مقلوب:

إن الفيلم يتخذ تيمة درامية رئيسية واحدة، تدور فى فلكها عدة تيمات ثانوية تبدو كتنويعات عليها، وجوهرها جميعاً يكمن فى أن الظروف الاجتماعية الطاحنة قد جعلت الرجل يتقهقر وينسحب ويفقد سلطته وسلطانه، وأن المرأة أصبحت- بسبب وضعها الاقتصادى الأفضل- تملك الرجل وتتحكم فيه، وهكذا تقرر أربع نساء أن تتزوجن رجلاً واحداً، يتم اختياره عن طريق الكومبيوتر ليتحقق لهن مايتصورنه مزيجاً من الرجل المثالى بالنسبة لكل واحدة منهن. لقد أدركن أن الفرصة قد جاءت للانتقام من عالم الرجال، وإن كن مازلن يشعرن أنهن فى حاجة إليهم: (الرجالة كل واحد واخد فى روحه مقلب.. دول ولاد ستين فى سبعين إن اتحكموا فى واحدة.. الراجل عاوز يمتلك مانتجوزه احنا عشان نتملكه).. ويجدن ضالتهن فى بطل الفيلم الذى يحمل شهادة الدكتوراه. ويعمل بارادته ساعياً لأن ذلك أكثر كسباً وأكثر اتساقاً مع المجتمع المتخلف، ولأنه لا أهمية لمسألة الوضع الاجتماعى فى مجتمع مضطرب البناء والقيم: (دا مجتمع يبقى فيه وضع لأى بنى آدم؟ إيه وضع واحد زيى مٌعاه دكتوراه فى مجتمع لايحب العلم ولا العلماء؟!).

وفى الجانب الآخر، نرى صاحبة المنزل،

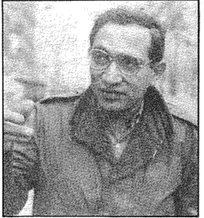
المرأة المسيحية العجوز، تتزوج شاباً جامعياً عاطلاً، يجمع بين البلاهة والفطنة فى وقت واحد. هى تبحث عن ابن وزوج، وهو يبحث عندها عن الحنان الذى يفتقده لأنه عاطل من الوسامة، وعن الأمان لأنه عاطل عن العمل.

وعلى الرغم من أن علاقة المرأة العجوز بالشاب تبدو للوهلة الأولى أكثر تناقضاً، فإنها- فى ظل المنطق العملى وعلاقة الزواج بلا طلاق- تستمر كاشارة للماضى الذى يجثم بظله على الحاضر، بينما ينتهى مستقبل علاقة الزوجات الأربع برجلهن إلى الانهيار، لأن الرجل- الذى يمثل المثقف المهزوم- مازال يحمل بذور التمرد على وضعه الجديد، وإن كان يتمنى أن تأتى فرصة جديدة لكى يعود للامتثال.

وهكذا يكون انقلاب الأدوار بين الرجل والمرأة، والماضى والمستقبل، والتقدم والتخلف، والاستقرار والاضطراب، والتمرد والامتثال، هو محور فيلم «سيداتى آنساتى»، تراه فى كل العلاقات والشخصيات، حيث يبدو الوضع المقلوب طبيعياً فى مجتمع مقلوب.

على أنقاض الشكل التقليدى:

إن هذا الموقف الانتقادى الذى يتخذه رأفت الميهى من القضايا الاجتماعية والأشكال الفنية التقليدية على السواء، يجعله- بحق واحداً من فرسان السينما المصرية الجديدة، لكنه قد يثير أيضاً- كما هو متوقع- رفضاً



رأفت الميهى

أخلاقياً متذمتاً من جانب بعض النقاد، وتأييداً فنياً ساحقاً من بعضهم الآخر.

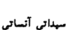
لكن قدراً من تأمل فيلم رأفت الميهى الأخير، فى ضوء أفلامه السابقة، يشير إلى جرأة حقيقية يتمتع بها على مستوى الشكل أو المضمون، جعلته قادراً على تقويض الأبنية المتداعية، وإن لم يملك بعد القدرة على شق طريق جديدة.

لقد بدا أن رأفت الميهى قد هجر الحبكة الدرامية التقليدية، التى أتقنها من قبل كاتباً للسيناريو ومخرجاً، والتى يبدو أنه يؤمن أنها لم تعد صالحة لاحتواء مضامينه الجديدة، كما لم تعد فى رأيه ملائمة لجمهور السينما فى ظل التغيرات الاجتماعية. لكن المقارنة بين قالب (التيمة وتنويعاتها) فى التراجيديا الرفيعة لفيلم «للحب قصة أخيرة» وكوميديا «سمك لبن تمر هندى» و «سيداتى آنساتى» تؤكد أنه لم يعثر بعد على قالب درامى متماسك بديل عن القوالب التقليدية. وعلى الرغم من أن هذا البناء المفكك قد يكون أكثر ملاءمة للمضمون العبثى، فإن التفكك فى «سيداتى آنساتى» يفتقد الرؤية والأسلوب اللذين يضفيان على العمل الفنى قدرة أكبر على التأثير. فالفيلم يبدو فى معظم أجزائه وكأنه (يدور) حول تيمة واحدة، لاتتطور أو تتغير، وإنما تسير نحو نهايتها بشكل ميكانيكى لتؤكد الفكرة التى قررها الفيلم منذ بدايته، حتى أنك تجد كل مشاهده مجرد دوائر مغلقة على ذاتها، يحاول كل منها أن يفجر من داخله كوميديا الموقف. التى تتكرر حتى أنه يمكنك أن تتوقع نفس النوع من المفارقات، ويحشوها الفيلم بالاسترسال فى السخريات السياسية التى تكاد تصبح نوعاً من التداعى الحر ذى العلاقة الواهية بموضوعه. لكن الأكثر غرابة هو تلك السخريات الغليظة- كالشتائم والصفع والبصق- التى قد تثير ضحكات الجمهور، ولايبررها الادعاء بأنها اقتحام لبعض (التابوهات) التى يتداولها الناس فى حياتهم، فهى لاتهدف إلا لتجسيد غلظة الشخصيات التى يقدمها الفيلم وتصويرها كما يراهم صانعه، كمادة للسخرية، وتقديم البراهين على (الأفكار) الجاهزة سلفاً، حتى أن الشخصيات تتحول إلى (حالات) تجسد تلك الأفكار، كما تحولت علاقاتها إلى نوع من المناظرة الكلامية التى لم ترتفع إلى مستوى الصراع الدرامى إلا فى حالات نادرة.

بين الذات والموضوع، الذكورة والأنوثة:

إن تلك السخرية السوداوية، التى جعلت المشاهد يفقد التعاطف تماماً مع أى من الشخصيات، على عكس ماتتطلبة وظيفة فن الكوميديا، لم تنبع فقط من خلل فى البناء الدرامى، وإنما أيضاً من الرؤية الذاتية لصانع الفيلم تجاه المجتمع والفن على السواء، وهى الرؤية التى تحمل عناصر ايجابية فى نقدها الساخر من الطبقة المتوسطة ومثقفيها وفنها، وإن ظلت تلك الرؤية أسيرة لسلبيات ثقافة أبناء الطبقة المتوسطة.

إنها الرؤية التى ترى التناقض، ولا تعرف له حلاً. وإذا كان فيلم «السادة الرجال» من قبل يقتحم- فى ظاهره- قضية الأنوثة



سيداتى آنساتى



فن متمرد
في طريق مسدود

والذكورة كما لم يقتحمها غلاة دعاة (الفيمينزم)، فإنه فى أعماقه لم يبد تعاطفاً مع أى من بطله أو بطلته، بل كان يخفى- ولعله أظهر أحياناً فى تصويره لكل الشخصيات الثانوية- سخرية مريرة من عالم المرأة وعالم الرجل. فكل الرجال فى الفيلم أنانيون يتسمون بالفظاظة، ويعاملون المرأة كمراطنة من الدرجة الثانية، ويرون فيها موضوعاً جنسياً خالصاً (فهم جميعاً لايعرفون فوزية بطلة الفيلم إلا بأن «رجليها حلوه»!) أما النساء فهن خليط من الإناث غليظات الحس، يستمتعن بمشاهدة مصارعة الرجال وقتلهم بعضهم للبعض الآخر، ويتمنين فى قرارة أنفسهن موت أزواجهن، ولاتعنى لديهن قضية حرية المرأة إلا تدخين الشيشة فى المقاهى، والتقاط العاهرات من الحانات.

وهكذا يتم تجريد الصراع الاجتماعى بين الرجل والمرأة من أى شروط تاريخية، ليصبح قدراً لافكاك منه، لأن الفيلم يراه مرتبطاً على نحو وثيق بالتقسيم البيولوجى للذكر والأنثى، حتى أن بطله- الذى تحولت زوجته إلى رجل- لايجد بدا من أن يتحول بدوره إلى امرأة.

أما «سيداتى انساتى» فيضيف إلى علاقة الرجل والمرأة بعداً اجتماعياً لكنك تكتشف أنه يظل أميناً لنفس الرؤية السابقة ذاتها، التى تلقى بظلها على علاقة الرجل بالمرأة، لاتختلف فى ذلك طبقة عن أخرى.

وإن كنت تقبل أن يكون النقد الساخر موجهاً إلى أخلاقيات الطبقة المتوسطة، فسوف يفاجئك الفيلم بأنه يقتحم أيضاً عالم الطبقات الدنيا، لايرى من معاناتها الحقيقية- فى اللقطة الوحيدة التى يصورها لأحد أكثر الأحياء الشعبية بؤساً- إلا امرأة تكشف عن ساقيها أمام الرجال، بينما (تهذب) حاجبيها، كما لايرى فيها إلا ذلك القروى الساذج القادم إلى القاهرة، بحتل شقة البطل المتواضعة، ويقلد تجربة الزواج من أربعة نساء ينفقن عليه، وتبدو على وجهه الأبله علامات السعادة الغامرة، فلا شىء يؤرقه أو يؤرق نساءه الفقيرات ذلك الوضع المقلوب، حيث تقوم النساء بالعمل الحقيقى ويتفرغ الرجال لقضايا الفحولة!

وهكذا يخلط الفيلم بين الرؤية الذاتية والواقع الموضوعى، وحتى أنه لايرى- فى مستوى الطبقة المتوسطة ذاتها- أن الظروف الاقتصادية والاجتماعية لم تمنح المرأة أى انتصار، وإنما فرضت عليها قيداً مزدوجاً من تدنى أوضاعها وتدنى رؤية المجتمع لها.

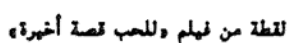
بل إن الرؤية التى قد تخدعنا بأنها تهاجم قيم المجتمع الذكورى المتخلف، تعكس فى جوهرها رؤية موغلة فى النزعة الذكورية. فقد أتت التغيرات الاجتماعية- كما يعرضها الفيلم- لتقلب العلاقة الطبيعية (!) بين الرجل والمرأة، فجعلت المرأة هى المنتصرة، لتفرض نوعاً من الأنوثة متحجرة القلب وإن اختفت وراء قناع خبيث ناعم، كما تفرض على الرجل انسحاباً وتقهقراً حتى أنه بدأ يفقد رجولته ويشعر بأعراض الأنوثة، وبذلك يجعل الفيلم الانهيار الاجتماعى معادلاً لانتصار مجتمع المرأة، أو بالأحرى المجتمع المرأة.

لقد أصبحت حركة التاريخ و آليات المجتمع منقطعة الصلة بأى تحليل جدلى، وباتت محكومة فى مستوياتها العديدة بنوع من الثنائية الأزلية بين نقيضين أحلاهما مر، وكلاهما يفضى بالبشر، والمجتمع، إلى طريق مسدودة.

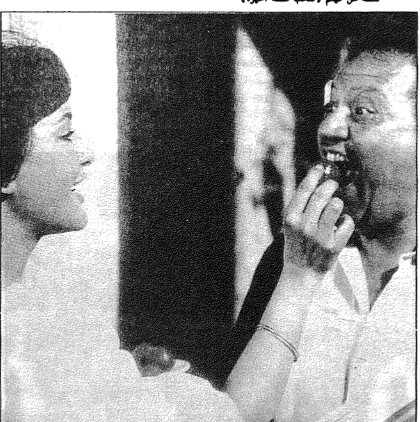
وإذا كانت تلك الثنائية تتخذ من التكيف أو التمرد، التخلف أو التقدم، الجهل أو العلم، محوراً لها فى «الأفوكاتو» و «سمك لبن تمر هندى»، فإنها لاتسير أبداً إلى الظلال الدقيقة التى يتحقق بها الانتقال من أحد النقيضين إلى الآخر، أو إلى عوامل الصراع بينهما لتحقيق التطور الجدلى فى اتجاه المستقبل.

انها الثنائية التى تختزل العالم فى «السادة الرجال» و «سيداتى انساتى» إلى علاقة الرجل والمرأة، التى تصبح أقرب إلى مباراة ينتصر فيها معسكر النساء حيناً، أو معسكر الرجال حيناً آخر، ويخسر فيها (الانسان) فى كل الأحيان.

***



لقطة من فيلم «للحب قصة أخيرة»





لقطة من فيلم «سيداتي آنساتي»

وهكذا تبدأ أفلام رأفت الميهي بالطموح إلى اختراق أوهام الطبقة المتوسطة، حين تخفى وراء منطقها المقلوب عمداً نقداً مريراً تجاه تلك الطبقة التى تصبح مترددة مهتزة أمام التطور أو التغير، وتظهر التكيف مع الأوضاع المقلوبة كبطل فيلم «سيداتي آنساتي» الذى يواجه التناقضات بعبارة (ماعلينا)!، بينما يضمر شعوراً بالانسحاق والمهانة.

لكن هذه الأفلام تنتهى أيضاً إلى وهم جديد يفضى إليه طريق الرؤية الذاتية، كما تبدأ بتحقيق نوع من الصدمة للمشاهد لتنتهى إلى (الدوران) الساخر حول الموضوعات التى تصورتها السينما المصرية مناطق محرمة. إنها الصدمة التى تهدف لتعرية المجتمع وتناقضاته كما جاء فى فيلم «السادة الرجال»: (المجتمع ده متخلف، محتاج لكام صدمة تفوقه. لازم المتخلفين دول يفوقوا ويعرفوا إن كل شىء بيتغير)، لكنها أيضاً الصدمة التى تكتفى بالسخرية المريرة من المجتمع (المتخلف)، دون أن تحاول أن تلمس السياق التاريخى لهذا التخلف إو أن تستشرف له حلاً. بل إن الثنائية التى تحكمه تقود دائماً إلى الامتثال والقبول، سواء كان الدافع إلى ذلك هو التفاؤل الساذج أو التشاؤم العدمى.

لقد كان بطل فيلم «الأڤوكاتو» يؤكد أن (الحياة مقرفة قوى، والغريبة إنك لورفضتها ها تبقى مقرفة أكثر، والحل إنك تتعامل مع الحياة بقوانينها، المجتمعات المتخلفة ماتعرفش حاجة اسمها العلم، وأى محاولة لتغيير

لقطة من «السادة الرجال»



حركتها بقوانين علمية تعتبر محاولة غير علمية فى حد ذاتها)!!

وها هو بطل «سيداتي آنساتي» يعلن عن رأى صانع الفيلم- كما جاء فى الحديث الاذاعى لرأفت الميهى حول فيلمه بالبرنامج الثانى- فى الموقف نفسه وإن أضاف له انتظاراً على طريقة «انتظار جودو»: (المجتمع ده لايجب العلم ولا العلماء لكن بعد سنة، اثنين، عشرة هاينتصر العلم. أنا با اعمل النهاردة بأسلوب النهاردة. وبكره ها ابقى جاهز لبكرة).

إن هذا التفاؤل الطوباوى بانتصار العلم، هو الوجه الآخر المخادع للتشاؤم الكامن فى الرؤية الثنائية الأزلية، فكلاهما يؤدى إلى الاستسلام للحاضر والاكتفاء بالسخرية منه، واجترار الحلم بالمستقبل دون المساهمة فى صنعه أبداً.

وقد تنجح هذه الأفلام فى نشر السخريات من كل شىء، وفى أن تجعل المتفرج يضحك من نفسه وعليها، ويتذوق السخرية من الآخرين بسادية متلذذة، ويبتلع السخرية من نفسه بمازوكية معذبة، لكنه يكتشف فى النهاية أنه قد وصل إلى طريق مسدودة، فلا طريق تفضى من الحاضر إلى المستقبل.

عندئذ لايجد المتفرج بدأ من أن يهمس لنفسه وهو يغادر قاعة السينما: (ماعلينا)!

ثورة يوليو بين معطف الأغنية الوطنية وذاكرة التليفزيون!

ماجده موريس

عقب جلسة الافتتاح لمؤتمر القمة العربى الطارئ ظهر الجمعة ٩ اغسطس الماضى، عرضت شاشة القناة الثانية اغنية ام كلثوم(بالسلام.. أحنا بنينا بالسلام) لبرتد بى الزمن الى أواخر الستينات منذ أن رأيت هذه الاغنية على الشاشة، بهذا التسجيل الذى اختفى تماما.. كان التليفزيون أيامها بالابيض والاسود فقط لم يدخل بعد عصر الالوان، وكانت ام كلثوم لم تزل شابة فى قمة الحماس والحيوية ترتدى فستانا نادرا بنصف كم. وكان عبد الناصر هو البطل الحقيقى للأغنية بأطلالته ، وسماته المحببة وهو يستقبل ويودع ويقابل زعماء العالم الثالث كله، كاسترو تيتو ونهرو ونكروما وغيرهم.. كانت الاغنية تعبيرا عن عقد كامل من الزمان من خلال ماتضمنته من عناصر الكلمة واللحن بالاضافة للوثائق والصور التى يندر أن تتكرر الآن إن كانت لاتزال موجودة أصلا. وقد أعادها التليفزيون الى الحياه فجأة بعد سنوات طويلة من الصمت فكأنما اضاء شحنة من الفن والحماس القومى معا حيث استطاع مخرجها الفنان -الذى لم يضع اسمه فى النهاية- ربط كل عناصرها فى ايقاع متدفق وتناسق أخاذ وبحيث كان وجودها فى تلك اللحظات شرارة بعثت زمنا عزيزا لدى ملايين المشاهدين، وقد تكون قد حركت شيئا لديهم نحو ما كان يحدث فى نفس اللحظة فى الواقع العربى من لقاء فى ساحتى النزال والاجتماع معا ولايعرف أى منا أيهما ستكون له الغلبة.

ومبعث الدهشة فى عرض أغنية تتحدث عن امجاد مصر فى عهد عبد الناصر وقيادة مصر لطريق دولى ثالث بين الشرق والغرب فى أحد ايام التسعينات والاستقطاب العربى على أشده لصالح الغرب هو أن هذا العرض يعد اضافة ذكية للمشاهد تذكره بالماضى فى وقت ازدهاره. وهو استخدام فى وقته المناسب لذاكرة التليفزيون.. أى ارشيفه ومدى قدرته على الفعل واستخدام مالديه من- وثائق.. ولكن



المصريون توثيق للتاريخ الحى أم حديث عن شعب مندثر

هل تعمل ذاكرة التليفزيون دائما بهذا الشكل اليقظ؟

بداية عصر الازدواج

الحقيقة تؤكدها ممارسات وسلوكيات مستمرة منذ سنوات طويلة، بالتحديد منذ مجئ السادات للحكم، وبداية ممارسة نوع من السلوك المزدوج فى التعامل الاعلامى مع ماسبقه من سنوات الثورة التى قال أنه ينتمى اليها وسيسير على نفس الخط.. ففى هذا الوقت وتحت هذه الشعارات بالتحديد اعطى فيه الاشارة لتغيير كل شئ فى الاذاعة والتليفزيون، بداية من الاطاحة بقياداتهما فيما سمى بمؤامرة مراكز القوى الى تجميد كل الرصيد الهائل للبرامج السياسية والاخبارية والوثائقية، وكذلك الاعمال الفنية والغنائية الوطنية والسياسية والوصفية التى سجلها التليفزيون منذ بداية عام ١٩٦٠ الى ١٩٦٩.. أى موت عبد الناصر. وهى أعمال استخدمت منجزات فن آخر هو السينما التسجيلية والوثائقية وماسجلته جريدة مصر الناطقة التى سجلت يوميا أحداث ثورة يوليو منذ بدايتها، بضرورة عملها الذى بدأ قبل الثورة بكثير منذ أن انشئت تلك الجريدة السينمائية الناطقة فى مصر فى الاربعينات ومن هنا فقد كانت السينما التسجيلية وحدها تسجل الاحداث عندما قامت ثورة يوليو فسجلت وقائعها يوما بيوم وخلدت مالم يتح للتليفزيون ان يخلده من تاريخ سبق وجوده. ومن ثم انتقلت وقائع السنوات التسع الاولى من حياة الثورة الى التليفزيون من خلال شرائط السينما ونقلها على شرائط الفيديو، ودخلت ضمن مادته وأرشيفه واستعملت فى أطار جديد كأعمال تليفزيونية عرضت فى اعياد الثورة وفى كل المناسبات القومية التى كانت مصر تعيشها تلك الايام، ولكن، فيما بعد، توالت اعياد الثورة وتلك المناسبات خالية من هذه الاعمال، واكتفى التليفزيون بنقل خطاب الرئيس السادات أو احاديثه مع همت مصطفى، وعرض الاغانى الجديدة التى قدمت خصيصا فى عهده، وبينما كان لايزال مصمما على التأكيد على استمرارية ثورة يوليو، فقد كشفت برامج وخرائط التليفزيون الحقيقة وهو أنه من المرفوض تذكير الشاهدين بأى شئ عن الثورة من تلك الاعمال التى حققت أقوى واروع أزدهار للغناء الوطنى. واروع مستوى من التنافس الفنى الابداعى فى مجالات السينما والمسرح والفن التشكيلى بالاضافة للغناء.

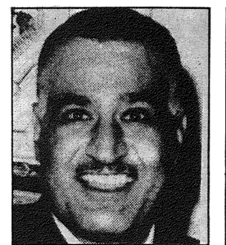
المصريون

غير أن ذاكرة التليفزيون التى أحكمت الحصار شيئا فشيئا على كل رموز عصر الثورة الاول من خطب سياسية واعمال فنية ووثائق مصورة، عادت فجأة فاستبدلت فى بداية الثمانينات كل هذا ببرنامج تسجيلى باسم (المصريون) وفيه رأى الناس، بعد اكثر من عشر سنوات، صور عبد الناصر من جديد وقد سبقتها صورة الملك فاروق ولحقتها صورة السادات وكان قد أصبح رئيسا راحلاً وشاهدوا عرضا لأحداث تاريخية، منتقاه، يهدف الى اظهار مصر كبلد ذى تاريخ متعدد المراحل أثرت فيه احداث كثيرة منذ عصر محمد على وصولا الى العصر الحالى (عصر الرئيس مبارك) وهذا هدف لابأس به وفكرة مطلوبة، لكنها جاءت فى المناسبة المحددة للاحتفال بحدث محدد هو ثورة يوليو، وكأن القصد منها هو تجنب الحديث المحدد عن التاريخ القريب والقاء نظرة من بعيد الى التاريخ برمته فمن الذى قال أننا لانحتاج لهذه وتلك؟ ولماذا يقدم برنامجا كهذا برغم أهميته الشديده- بقصد التخفيف أو التقليل من

ذاكرة التليفزيون يمحوها السادات ليتحدث عن نفسه

أغنيات الستينات تجتذب الملايين اكثر من الخطب الرسمية

وقائع مصرية يخترق الحصار المفروض على فن الثورة



جمال عبد الناصر

شأن الثورة بينما كان الامر يحتاج لبرنامج يناقشها بمزاياها وعيوبها ويفتح كل الصفحات التى مازالت محتاجه للنقاش، أما برنامج عن (المصريون) فنحن كمصريين نحتاج ليس لبرنامج واحد يتكرر سنويا، ماعدا بعض التغييرات الطفيفة على مدى اربع سنوات، وأنما إلى برنامج ثابت اسبوعيا يبحث حالنا وأحوالنا وشئوننا وهمومنا المتزايدة ويرصد بدقة النبض الشعبى فهذا هو الاطار الصحيح لبرنامج يحمل اسم (المصريون) كبرنامج يرصد ويحلل ويناقش شئون الناس، الاحياء، وليس الأموات لكنه بهذا الشكل بدا كأنه برنامج عن تاريخ الشعوب أو حكاية شعب مندثر أو سلالة منقرضة مثله مثل حلقات وثائقية معروفة عن (تطور الاجناس) مثلا أو الموسوعة الجغرافية الخ..

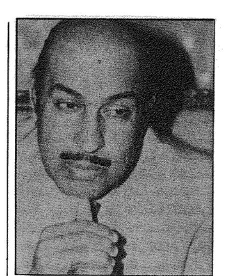
ولقد قوبل برنامج (المصريون) فى عامه الاول بترحاب وحماس شديد لا لشئ الا لأفراجه عن الصور والاسماء المعتقلة فى ارشيف التليفزيون ولكن مستواه مالبث أن هبط وتكرر فى السنوات التالية مجاعجل وجوده مماثلا لعدمه... اى لايحرك مشاهدا لانتظاره. وهى نهاية مأساوية لبرنامج (تاريخى وثائقى) بمناسبة عيد ثورة يوليو لأنه افقد المشاهد المتعة الوحيدة التى كان جديرا به أن يحققها له عن هذه المناسبة وهى متعه العودة الى زمن ماض بكل كفاحه وقيمه وتاريخه وفنونه (سواء كان المشاهد معها أو ضدها).

الثورة من معطف على اسماعيل

لكن، مالم يفعله التليفزيون صراحة.. قدمه بشكل غير مباشر فى شهر يوليو الماضى، وفى نفس المناسبة، عيد ثورة يوليو أو ذكراها. فقد قدم برنامجا من جزئين عن الموسيقار الراحل على اسماعيل، منه خرجت روح الثورة وتدفقت من خلال الالحان والأغانى والمعانى والقدرة الفائقة على التعبير، لم يتضمن برنامج (وقائع مصرية) أى حديث فى السياسة لكنه قال كل شئ من خلال الموسيقى والكلمات المغناه والتوزيع الاوركسترالى وهدير الكورس وقطرات العرق المتفصدة من المنشدين والمغنى عبد الحليم حافظ والمايسترو على اسماعيل وكان الانسجام كاملا وبدت كلمات مثل (البناء) و(الاستعمار) و(الحصار الاقتصادى) وغيرها من الفاظ القاموس السياسى كأنها اعذب الشعر واجمله ولم يكن الاف الحاضرين فى تلك الحفلات، وملايين الجالسين امام الشاشات فى البيوت وقتها غائبين عن الوعى والا كانوا قد اغلقوا الاجهزة فى ذلك المساء القريب من يوليو ١٩٩٠ وهو مالم يحدث لسبب واحد هو أن البرنامج عرض بدون أى اعلان أو دعاية من أى نوع عكس مايحدث مع أى مادة اخرى أما ضيوفه من النقاد والموسيقيون الكبار فقد قدموا شهاداتهم وهم فى كامل لياقتهم العقلية وفى زمن هو ضد هذه الشهادة بكل ممارساته الفنية وغير الفنية.

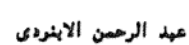
شهادة كمال الطويل

قدم (وقائع مصرية) الذى يعده ويقدمه فنان موهوب ومخرج دؤوب هو كمال الدين مسعود برنامجه الهام فى جزئين الاول والذى عرض مساء ٢٢ يوليو ١٩٩٠ وفيه تعرض لحال الاغنية المصرية بشكل عام فى ايام بطله على اسماعيل، ومقومات هذا الفن، وحياه على اسماعيل ودراسته وإيمانه باستخدام العلم فى تطوير وتطويع القوالب الموسيقية الشرقية للاساليب العالمية فى الاداء، وفى الجزء الثانى من البرنامج، وعرض مساء الاثنين ٢٣ يوليو كان الموضوع هو (دور على اسماعيل وعبد الحليم حافظ فى تطور الاغنية الوطنية) وكان المفهوم أن على اسماعيل شارك فى قيادة الرووكسترا لكل اغانى الثورة التى قدمها عبد الحليم وغيره، أما عبد الحليم فمن خلال ايمانه وادائه كان القاسم المشترك فى الغناء للثورة واحلامها وانجازاتها ولكن كان هناك أضلاع اخرى لهذا الثنائى، شعراء وكتاب اغنية وملحنون، وكان أحدهم حاضرا على الشاشة وهو كمال الطويل الذى كان أول من يصرح على شاشة التليفزيون المصرى منذ

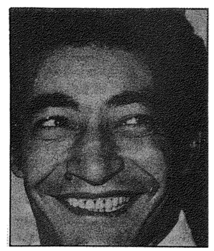


كمال الطويل

سنوات طويلة بتلك الكلمات (يكفينا فخرا أننا كنا ابناء ثورة ٢٣ يوليو ومن الذين عبروا عن فكر هذه الثورة، وكيف نعتبر ذكرى الثورة ليست مجرد حفل، وانما وصايا نقدمها للناس» وبعد هذه البداية أو المدخل الذى يحدد العلاقة بين الثورة والمعبرين عنها من الفنانين تحدث ضيوف البرنامج الذين أشرنا اليهم ليقدموا شهاداتهم على عصر الثورة والاغنية وعلى اسماعيل فتكلم عبد الرحمن الابنودى وأحمد شفيق كامل وزين نصار وعادل كامل وعمار الشريعى وسليم سحاب وسليمان جميل ومصطفى حجاج ومودى الامام) عن القفزة الهائلة فى الاغنية والتعبير الغنائى واقتران الاغنية الوطنية فى هذه المرحله بالفكر السياسى مع احتفاظها

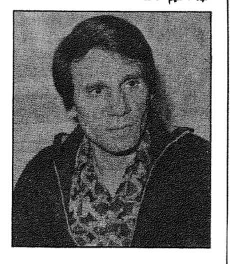


عبد الرحمن الابنودى



بمقوماتها كاملة، بل مع اضافات زادتها ثراء وعمقا وبحيث تسهم أحداث الوطن فى دفع الفن للتطور واستيعاب كل مفردات الحياه المتجددة وليس فرزها وقصرها على عدد محدود من المعاير، حتى الدعاء الدينى اقترن بحب الوطن من خلال فن الاغنية (يارب انا ديك يارب فى صلاه العيد الخ..) وحتى الخطب السياسية والشعارات استوعبتها الاغنية (مطالب شعب) وكذلك معوقات وعيوب المتجربة ايامها قدمتها الاغنية فى قالب يصل الى الجميع بلااسفاف، ومن خلال هذا الايمان والانتماء والجهد الدؤوب من على اسماعيل ومن بقية فنانى المرحلة أصبحت للاغنية سمات درامية وملحمية توازى اتساع معانيها المعبرة عن شمولية ما تعبر عنه من ملامح مرحلة وشعب- لقد تعرض ضيوف البرنامج، بالكلمة وبالبرهان من خلال الالحان على تطور استخدام الات الاوركسترا فى اللحن الوطن وهى الالات النحاسية التى تسمى الالات العاطفية، وتطور البناء الموسيقى للاغنية ليصبح لها مقدمة وصفية

عبد الحليم حافظ

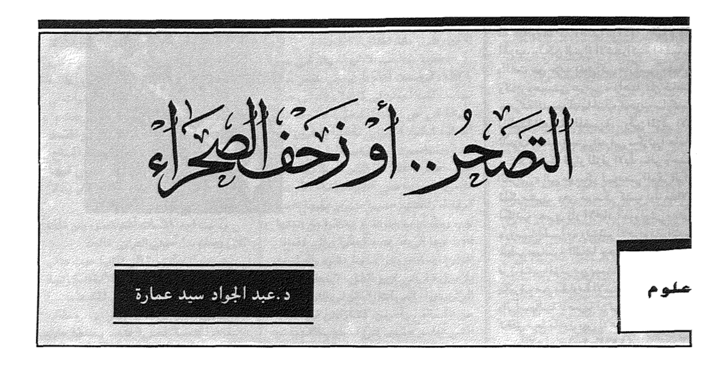


تصويرية مثل مقدمة الفيلم (وبعد ذلك انتشرت المقدمات للأغانى العاطفية بمناسبة وبلا مناسبة) ثم كيف اكتسبت الأغنية السنوية التى كان يقدمها عبد الحليم فى عيد الثورة ملامحها حتى سمى هو بأنه (جريدة الثورة الناطقة) وكيف اكتسبت هذه الاغانى ملامح موسيقية ملحمية تبدأ أحيانا بالارهاصة أى ماقبل المقدمة لتخلق المناخ الملائم للدخول فى العمل الفنى (يا أهلا بالمعارك) وكيف قام على اسماعيل وحده بكل هذا بداية من التوزيع الموسيقى الى قيادة

عمار الشريعى



الاوركستر الى تنسيق الاداء وهو مايقوم به فريق كامل اليوم والغريب أن هذا الفنان الفذ الذى وصفه عمار الشريعى فى البرنامج بأنه كان مسئولا عن كل اغانى المرحلة اوركستراليا لم يجدوا له فى ارشيف التليفزيون صورة واحدة أمامية أو حديث واحد فى أى من البرامج التى سجلت الاحاديث لكل من هب ودب وأن التليفزيون عندما نقل كل اغانى الثورة على المسرح تعامل مع على اسماعيل مثلما تعامل مع فريق الكورال فلم يسجل له لقطه واحدة مقربة أى كلوز واحد، وانما تركه فى الخلفية يقود المجاميع والاوركسترا وركز كاميراته على المغنى وحده. وقد توفى على اسماعيل عام ١٩٧٤ وليس فى ارشيف التليفزيون ما يخلده به بالرغم مما بذله هو شخصيا ليهيأ للتليفزيون الخلود من خلال نقله لهذا العصر الذهبى للأغنية الوطنية، لكن يشاء القدر أن يعطى هذا الفنان بعض ما اعطاه لنا من خلال هذا البرنامج الذى كان حديثا غير مباشر عن الثورة ولكنه بالفعل كان أفضل تعبير عنها لأنه برنامج صادق وغير مفتعل تماما كعلى اسماعيل. وقد اعده بأسلوب رصين مزج مابين الوثائق والحوارات والوقفات الهامة فى نسيج متصاعد وشرح غير ثقيل لما بلغته الموسيقى والاغنية من تقدم فى تلك السنوات.. وقد استطاع أن يؤكد من خلال الفن، صدق وروعة المعانى التى خلدها هذا الفن كما استطاع أن يثير فينا الاسى باعتباره عصرا مضى ولن يعود والدليل على ذلك هو البرنامج نفسه.. الذى جاء بعد سنوات طويلة عقيمة صامتة... وربما لن يعاد عرضه ابداً بعد ذلك.



علوم

التصحر.. أو زحف الصحراء

د.عبد الجواد سيد عمارة

تلقى ظاهرة التصحر أو زحف الصحراء اهتماما بالغا من الباحثين والمهتمين بقضايا البيئة والتغيرات المناخية لما يمكن ان يصاحبها من آثار بيئية تنعكس على الانسان ومحيطه الطبيعي

والمقصود بظاهرة التصحر أو زحف الصحراء هو تحول تلك الاراضى التى تحيط بالمناطق الصحراوية الطبيعية الى اراض غير صالحة للاستزراع وانتاج الغذاء.

ومن المعروف ان التصحر يتم نتيجة للفعل الانسانى عن طريق التعامل غير المرشد مع المناطق التى تحيط بالصحراوات الطبيعية مثل الرعى الجائر أو قطع الأشجار أو قلع النباتات- ذلك أن هذه المناطق تتميز بتوازن بيئ دقيق وان التدخل غير المحسوب للانسان يؤدى الى الاخلال بهذا التوازن ومن ثم بعدم ملاءمتها للانتاج النباتى والحيوانى أى الى تصحرها أو زحف الصحراء اليها.

وبالنسبة للبلدان العربية فان الاراضى المهدده بالتصحر تصل الى نصف مليون ميل مربع أى مايعادل ١٠٪ من اجمالى المساحة المتوافرة للبلدان العربية

وكما سبق ان ذكرنا فان التدخل الانسانى غير المحسوب وغير المرشد هو الذى يؤدى الى التصحر أو زحف الصحراء- ونستطيع ان نذكر الانماط التالية من انماط الفعل او التدخل الانسانى:-

١- الزراعة الجائرة: وهو مايعنى أن نأخذ من الارض أكثر مما نعطيها أو أن نحملها اكثر مما تستطيع تحمله وهو مايؤدى الى تدهور انتاجية الارض واستنزاف المواد العضوية وغير العضوية بها وبذلك يمكن ان تتحول اراض رعوية دائمه الانتاج الى اراض تعطى محصولا فى بضع سنوات ثم لاتعطى شيئا فى سنوات لاحقه

٢- الرعى الجائر: وهو مايعنى زياده عدد رؤوس الماشية عن قدرة المراعى على تجديد الغطاء النباتى من عام لآخر وبذلك يحدث الانجراف والتعرى فتضعف بذلك خصوبة التربة وتقل مصادر العشب.

٣- قطع الاشجار والنباتات: يؤدى قطع الاشجار والنباتات الى تعرض الارض لعمليات البخر الشديد مما يؤدى الى تراكم الأملاح بها عاما بعد عام بحيث تصبح ضعيفه الانتاج للمحاصيل التى تتحمل الملوحه وغير صالحة تماما للمحاصيل التى تتأثر بالملوحة بشكل واضح

٤- التوسع العمرانى:- مع زيادة عدد السكان والتوسع العمرانى يحدث أن يجور الانسان على الاراضى القابلة للاستزراع ويتم ذلك من خلال اقامة المبانى الاسمنتيه أو الحجرية التى تؤدى الى تحول الاراضى الزراعية الى صحراء- وتسمى هذه الظاهرة بزراعة الاسمنت والتى تؤدى الى فقد مساحات ضخمة من الاراضى الخصبة والقابلة للانتاج الزراعى.

والسؤال الآن- هل يمكن مقاومة التصحر ووقف زحف الصحراء- والاجابة بنعم ذلك ان التصحر يحدث بفعل الانسان كما سبق ان ذكرنا ولهذا فان الانسان يستطيع من خلال التعامل المحسوب والمرشد ان يقاوم التصحر وزحف الصحراء، وفى هذا الصدد فانه يمكن التحرك على عده محاور ترتبط جميعها بالاسباب التى سبق ان ذكرناها والتى تؤدى الى حدوث ظاهره التصحر أو بمعنى آخرى التعامل مع الارض القابلة للتصحر على اساس مخطط يأخذ فى الحسبان طبيعة هذه الاراضى بحيث لايعرضها للرعى الجائر أو الزراعة الجائرة كما يلزم الايكون التوسع العمرانى على حساب الاراضى الزراعية ايضا فانه يلزم تبنى الاساليب العلمية فى الاستزراع والرى وبشكل عام الحفاظ على التوازن البيئى للاراضى القابله للتصحر والتعامل معها على اساس علمى وبالاساليب الصحيحة من حيث انواع المحاصيل المستزرعه ووسائل الرى وغيرها.

واخيرا فإننا ننظر الى مواجهة عربية لظاهرة التصحر على أساس من تكامل الامكانات فى الدول العربية المختلفة حيث تتوافر الاراضى فى بعض منها بينما تتوافر الامكانات المادية أو العمالية فى البعض الآخر اننا نواجه خطرا واحدا ومشتركا ويستلزم الامر التصدى له بشكل جماعى وبالاستعانه بكافة الامكانات والقدرات العربية.



محمود حسني العرابي
الدرس.. والمأساة!

د. رفعت السعيد

نحن أمام شخصية فريدة

* تاجر اقطان موسر- يقول عن نفسه انه كسب عشرات الألوف من المضاربة فى القطن، وعاش فى الاسكندرية معيشة شاب ثرى خلىّ البال ينفق امواله بل يبعثرها بلاحساب..

*ثم يلتقى التاجر- ربما فى جولة من جولات مرحه -بجندى- انجليزى شيوعى، يتحدث الجندى والشاب ينبهر تتكشف رؤى جديدة امام عينيه، يكتشف العالم ماضيا وحاضراً ومستقبلا وكأنه يفتح عينيه عليه للمره الأولى.

*الشاب يترك لهوه وعبثه ويقرأ.. يقرأ كثيرا، وفى حديثه معى وصفه الدكتور «عبد الفتاح القاضى»- وكان لصيقا به لفترة من الزمن- «هو رجل مثقف، دوره فى مصر كدور بليخانوف، لم يكتف بدراسة الماركسية بل حاول ان يكون نفسه نظريا بشكل جيد».

[د. رفعت السعيد تاريخ الحركة الشيوعية المصرية- المجلد الأول-ص٣١٦]

* ويترجم الشاب المتحمس كتاب «الحركة الاشتراكية» لرامزى ماكدونالد، ثم يترك تجارته لينغمس كلية فى نشاط سياسى اشتراكى يقوده بالطبع للتصادم مع سلطات الاحتلال التى تسجنه لبضعة أشهر ليخرج اكثر اندفاعا فى طريقه الجديد.

* وفى ٢٩ اغسطس ١٩٢١ تنشر جريدة الاهرام بيانا من «الحزب الاشتراكى المصرى» يعلن تأسيس الحزب ويقدم برنامجه ومطالبه.. ويوقع على البيان أربعة أشخاص هم .. سلامى موسى- د. على العنانى- محمد عبد الله عنان- حسنى العرابى..

* لكن معركة تأسيس حزب اشتراكى لم تكن سهلة، فكما تعرض الحزب الوليد للهجوم من مختلف الخصوم الطبقيين تعرض أيضا لمناورات داخلية حاول بها البعض اضفاء مسحة مسالمة ومعتدلة «اشتراكية ديمقراطية» على الحزب.. لكن النواة الاشتراكية الحقيقية دافعت عن حزب إشتراكى ماركسى حقيقى، وكان «حسنى عرابى» واحدا ممن خاضوا معركة التمسك بالحزب كحزب ماركسى للطبقة العاملة المصرية.. وفى المؤتمر الاول للحزب انتخب حسنى العرابى سكرتيرا عاماً.

* وتنفيذا لقرار المؤتمر الاول سافر «حسنى العرابى» الى موسكو ليحضر المؤتمر الرابع للكومنترن. ومن موسكو كتب أول مقالات لكاتب مصرى زار الاتحاد السوفيتى بعنوان «روسيا الحمراء» وتنشر الاهرام فقرات من خطب حماسية ألقاها «حسنى العرابى» من فوق منبر المؤتمر من بينها قوله «اننا نؤمل بالرغم من مقاومة الاستعمار الانجليزى والرأسمالية المصرية ان نرى الاعلام الحمراء تخفق يوما مافوق ربى الاهرام»

[الاهرام -٦-١-١٩٢٣]

* ويعود «حسنى العرابى» من موسكو ليعقد المؤتمر الثانى للحزب، ويعلن تغيير اسم الحزب الى «الحزب الشيوعى المصرى» ويعاد انتخاب «حسنى العرابى» سكرتيرا عاما للحزب.

* لكن تصاعد النشاط الحزبى وخاصة فى صفوف الطبقة العاملة، وتنظيمه لسلسلة من الاضرابات العمالية الناجحة، دفعت الحكومة وبضغط من اصحاب المصانع مدعومين من الرجعية المصرية وسلطات الاحتلال الى حل الحزب الشيوعى، وفى ٣ مارس ١٩٢٤ قبض على العديد من كوادر الحزب وقياداته ومنهم بالطبع «محمود حسنى العرابى» .. وتحول الحزب سريعا وبكفاءة مثيرة للدهشة الى حزب سرى.

* وامام المحكمة قدم حسنى العرابى- شأنه شأن رفاقه الآخرين- دفاعا سياسيا شجاعا تورد «الاهرام» فقرة منه يؤكد فيها «انه السكرتير العام للحزب الشيوعى وان علاقة الحزب بالدوليه الثالثة انماهى علاقة اخوية، واكد ان الشيوعية المصرية انما ترمى الى انهاض العامل، وإحداث تطوير جديد فى حالته يناسب الزمن».

[الاهرام -١-١٠-١٩٢٤]

* ويصدر حكم ضده بالسجن لثلاث سنوات، وفى السجن حرموه هو ورفاقه من كل حقوق السجن السياسى، فأضربوا عن الطعام، واستمر الاضراب سته وعشرين يوما..« ولم يرهبنى يومئذ ملك الموت وهو

واقف عند رأسي » هكذا قال العرابي في مذكراته.. واستشهد أثناء الاضراب المحامي «أنطون مارون».. وتراجعت اداره السجن وسلمت لهم بحقوق السجين السياسي.

[محمود حسني العرابي- ٨٩ شهرا في المنفى - ص٣١١]

* وتمضي السنوات الثلاث ويخرج حسني العرابي من السجن، لكنه يخرج وقد تغير كثيرا.

«بليخانوف مصر» يعود أدراجه، ويحاول ان يتنصل من شيوعيته، وان ينتصل من طبقيته سعيا وراء «العلنية» ومن اجل العلنية والقدرة على الخطاب العلني للجماهير إقترح العرابي إتجاها إصلاحيا قانونيا، أي ان يلتزم الحزب في حركته بالقانون والدستور، ومن ثم طالب بالانسحاب من الكومنترن، التخلي عن إسم الحزب الشيوعي- الاكتفاء بطرح شعارات وبرامج تتماشى مع القانون.

واعترض الحزب بمجمله على هذه الخطة..

وانسحب العرابي وحيداً

وبطبيعة الحال كانت «المصيدة» البرجوازية معدة بإحكام..

ففي يناير ١٩٢٧.. وهو بالتحديد تاريخ الافراج عن «السكرتير العام للحزب».. وبالتحديد تاريخ بدء المعركة داخل الحزب حول أفكار حسني العرابي او بالدقة ضد افكار حسني العرابي كانت أربع مجلات تنشر وبانتظام مقالات لحسني العرابي هي «الهلال- المقتطف- الرقيب- الحياه الجديده»

ولكن مصيدة البرجوازية لاتلبث ان تعرض عن الرجل. فما أن ينفصل عن الحزب، وما ان يتحقق أمل البرجوازية في شق الحزب الذي كان يعاني من جراح داميه.. حتى تتوقف هذه الصحف جميعا وفجأة عن نشر أية مقالات للعرابي.

*لكن الرجل يحاول ان يفعل شيئا.. فيلتقي مع اثنين من المثقفين اليساريين المستقلين د. عبد الفتاح القاضي وعصام الدين حفني ناصف ليصدروا معا مجلة «علنية» جديدة اسموها «روح العصر».

لكنها تفلس ويفلس معها أصحابها..

واذ يحاول العرابي ان يفعل شيئا فانه يجد «الأمن» له بالمرصاد، هؤلاء الذين شجعوه كي يتنكر لحزبه وطبقته مقابل التصالح مع القانون والدستور ومقابل «العلنية» لم يلبثوا ان ضاقوا به ذرعا. فهم ضد الاشتراكية علنية كانت أم سرية..

وآن للرجل ان يدفع الثمن، ثمن ثقته بأعداء طبقته..

* ويروي حسني العرابي كيف حاصره الأمن وضيق عليه الخناق.. فيقول:

«ضيقت على الاداره الخناق في عام ١٩٣١، فرصدت أمام داري الجواسيس ليل نهار، وكنت أسكن في ذلك الوقت في حاره ضيقة في حي «السكاكيني» فأثارت هذه المراقبة شكوك الجيران، فأخذوا ينظرون الى شذرا ويتهامسون فيما بينهم كلما وقع نظرهم علي. فصبرت على هذا الشر طويلا وقلت في نفسي شر يزول متى تحقق الرؤساء ظلم هذه الرقابة، ولكنهم حسبوا صبري عليها تحديا لهم، وبدل أن يسحبوها أو يخففوا من شدتها تمادوا فيها الى حد بعيد أرسلوا ورائي غلمانا تتراوح أعمارهم بين الثانية عشره والعشرين يلزمون خطواتي لزوم الظل، لايتعففون عن الركوب وراء العربات والقفز في الترامواىات من الشمال.. وآخرين لمشاركتي في المائدة التي أجلس عليها في مشارب القهوات، يرهفون آذانهم بشكل ملحوظ لمايدور بيني وبين جلاسي بدون ان يشتركوا في الحديث، ثم يتظاهرون بتقييد بعض الملحوظات.. فضج أصحابي ومعارفي من هذه الحال وابتدأوا ينسحبون من حوالي واحدا بعد الآخر، وتعذر على العمل في جريدة او مكتب.. أسقط في يدي ولم أجد لي مخرجا من ورطتي»

[محمود حسني العرابي- المرجع السابق-ص٥]

«اسقط في يدي» هكذا قالها هو نفسه، وماذا كان بإمكانه ان يفعل.. ماذا يمكن للنمر ان يفعل ان يترك غابته طائعا مختارا الى قفص أعده له الخصوم..

ترك حزبه، وعاش وهم العلنية، ثم وعندما جردوه من سلاحه، حاصروه، ضيقوا عليه الخناق حتى أقر بنفسه ، وكتب..«أسقط في يدي»

وقرر النمر ان يهرب من القفص.. ولكن الى أين.. هو لايستطيع ان يعود الى الغابه فهي ايضا اغلقت ابوابها دونه، فالحزب الذي يواصل معركته عبر طريق بالغ الصعوبة وكثير التضحيات لم يعد لاقادراً ولاراغبا في التعامل معه..

وقرر حسني العرابي السفر الى الخارج...

ويصف في أسى يليق بنمر كسير الخاطر يومه الأخير في شوارع الاسكندرية

..«قصدت الاسكندرية أحب بلاد مصر الى نفسي، ففيها قضيت زهره شبابي، فيها درست في «العباسية الثانوية»، وفيها ضاربت في البورصة وجمعت عشرات الألوف من الجنيهات ، فيها بدأت حياتي السياسية، وخطبت ألوف العمال، زرت سجن «كوم الدكه» في عهد السلطة العسكرية البريطانية شهوراً، وزرت سجن الحضرة ثلاث سنوات في عهد الاستقلال، فيها كتبت وألفت وترجمت»

ويتحدث النمر الكسير القلب عن نفسه« أسير وحدي كسير القلب، مهيض الجناح، لايأبه لي مار ولاماره كأن لم يكن لي فيها دوله... أغريب انا ؟، غريب في بلدي وعقر داري!» (المرجع السابق - ص٨)

ولست اجد كلمات أشد قسوه من تلك التي وصف بها حسني العرابي حاله..

* ومن الاسكندرية الى المانيا حيث عاش حياة الكفاف عاملا على الألة الكاتبة ومترجما وصحفيا ومحاضرا في الجامعة..

* وبينما هو في المانيا صدر مرسوم ملكي بإسقاط الجنسية المصرية عنه.. وعندما حاول الالمان إصطياده كان حذرا عرضوا عليه الجنسية الالمانية فأجابهم «اما الجنسية المصرية او أبقى بلاجنسية»

* ويمضي في المانيا ثماني سنوات يكون الحزب أثناءها قد استعاد بعض أنفاسه ونظم عملية اعادة اثنين من اعضائه الذين اسقطت عنهم الجنسية [محمد دويدار- وعبد الرحمن فضل] ونظم ايضا حمله واسعه لالغاء المرسوم الملكي باسقاط الجنسية عن جميع من اسقطت عنهم... ويعود محمود حسني العرابي الى مصر من جديد..

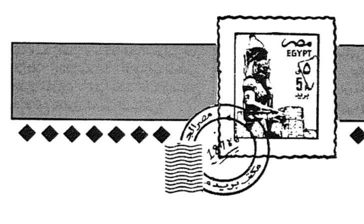
* لكنه يعود كسير القلب، ولم تزل تلاحقه زله الزمن القديم، حيث تنكر لحزبه ولطبقته.. ويحاول ان يفعل شيئا في مجال السياسة ويفشل ويكتفي بتدوين مذكراته وترجمه بعض الروايات..

وتزداد المأساة الشخصية فداحه عندما يرى موج الماركسية يرتفع في مصر من جديد... وهو عنه بعيد.

ولعل ذكريات الخطأ القديم ظلت تؤرقه.. ولعله أحس بالندم عندما تصور أن انكسار موجه كاف كي يتنكر الربان للماضي والحاضر والمستقبل..

وتبقى سيره محمود حسني العرابي كمناضل يساري درساً..

ولكن.. وللأسف فان البعض لم يتعلم الدرس.. ولم يزل لايتعلم الدرس غير مدرك ان المد الثوري وان انحسر لفترة فانه لن يلبث ان ينفجر من جديد،طالما بقيت هناك طبقات ، واستغلال طبقي، وصراع طبقي.



يمين × شمال

هذه الصفحات مفتوحة لكل أصحاب الافكار سواء كانت تأتى من اليمين، أو تهب من اليسار..

المهم.. أن تكون افكارا.. وأن تكون موجزة بقدر الامكان..

ابطال الوطن

أهنئكم وأهنئ نفسى بصدور مجلة اليسار معبرة عن جموع الإشتراكيين فى مصر وتوازن مايصدر من مجلات أخرى لاهم لها إلا تغييب عقل المواطن المصرى وتسطيح فكره ونشر الهيافات من القول والفعل وأرى أنها قد إستقرت منذ حوالى عددين على شكل ثابت ولكن هذا لايمنع من أن نفكر معاً كيف نرتقى بوليدنا الحبيب حتى يصل إلى القمة وأضيف إلى اقتراح صديق أخر كان قد أشار بالكتابة عن بعض الشخصيات التاريخية سواء كانت معنا أو ضدنا وإنى هنا اقترح أن تقتصر على الشخصيات التى لعبت دورا إيجابيا على المستوى الإنسانى والوطن والاشتراكى مثل جمال عبد الناصر وجيفارا وغاندى وسلفادور الليندى وكاسترو ولينين وستالين وماركس ورجورياتشوف وشهدى عطية أو أن نخصص باباً عن الاشتراكيين المصريين والشيوعيين الذين لعبوا دوراً فى إرساء دعائم الفكر الاشتراكى فى مصر من مختلف التيارات وبدون حساسية وتعريف القراء بهم فهم جنود مجهولون ويستحقون أعظم التقدير مع نشر صورة بوستر لكل منهم يستطيع الشباب أن يعلقوها على الحوائط بدلاً من لاعبى الكرة ونجوم السينما وحتى يتخذوها مثلاً أعلى مع التضحية بالذات فى سبيل المجموع فهذا أقل ماي يمكن أن نقوم به تجاههم وليكن هذا باباً ثابتاً وأقترح أن يسمى البطل الاشتراكى أو المثل الاشتراكى أوشخصيته إشتراكية أو ماترونه مناسبا وآسف للإطالة وشكراًلكم.

د. محمد البهلى
مستشفى كرموز العمالى
التأمين الصحى
الأسكندرية

المحرر: نوافق على اقتراحاتك.. وقد بدأنا تنفيذها فعلاً

موقف تاريخى

يسعدنى أن أعبر من خلال مجلة اليسار عن صدى حصول حسام حسن على جائزة احسن لاعب فى مباراة مصر- هولندا والتى تبرع بقيمتها إلى اطفال الحجارة بفلسطين المتحلة..

فهذا الموقف التاريخى من الرياضى الكبير استطاع به أن يجسد ارادة الجماهير العربية وكافة القوى المحبة للسلام والذين يناصرون الشعب الفلسطينى فى الحصول على حقوقه المشروعة فى فضحالاعمال العدوانية من اساليب قمع وحشية تمارسها السلطات الاسرائيلية ضد العرب..

فبرغم بلطجة العدو الاسرائيلى وبرغم التبعية وبرغم فساد الانظمة العربية إلا أن الجماهير العربية- فى حالة اعدادها وتنظيمها لقادرة على فرض ارادة الانتصار لقيم الحرية والديمقراطية ومبادىء التقدم..

فتحية لك ويحفظك الله ياحسام..

والسلام كل السلام لاخواتنا فى فلسطين

والمجد كل المجد للمخلصين ولشهداء هذا الوطن..

محاسب عمال
ابراهيم الشربينى
بورسعيد

الحقيقة بنت البحث

لايستطيع أحد أن ينكر أن التاريخ هو المرآة الصادقة التى تعكس بصدق وموضوعية تجارب الشعوب فى سبيل النضال والحرية لذا كان مقياس تقدم الامة ورخاء المجتمع بمدى إحترام أفراده لتاريخهم ومدى الاستفادة من أخطاء الماضى ولكن يبدو أننا فى مصر نهمل تلك الحقيقة تماما فحتى يومنا هذا نجد من يتهم جمال عبد الناصر ذلك الزعيم الخالد الذى أعاد كتابة تاريخ مصر الحديث بثورة ١٩٥٢ بأنه عميل أمريكى وأن الثورة تم التخطيط لها والتنفيذ باشارة من أمريكا.

ويحزن المرء أن يسمع ذلك من كتاب المفروض أنهم محترمون ومحايدون ولكن للاسف نجدهم تحت ضغوط حزبية ورغبه فى تحقيق مجد شخصى يشوهون التاريخ عن عمد متجاهلين فظاعة تلك الجريمة فى حق هذا الشعب.

والامثلة يا أستاذى على تشويه التاريخ لاتقع تحت حصر نظرة واحدة الى اسواق المذكرات التى تتناقض بصورة تدعو للريبة والشك تؤكد أن التاريخ فى مصر يعاد كتابته كلما تغير شخص رئيس الجمهورية وكلما تغيرت الخريطة السياسية.

وأزعم أن الشباب المصرى حتى الآن لم يعرف حقيقة تاريخه الحديث والتمس له كل العذر فنحن مسخرون من حملة إعلامية تقودها وسائل الاعلام الحكومية لزعزعة الثوابت فى عقولنا فهل نطمع الى أن يكتب التاريخ مؤرخ محايد لاتستثيره نزعات حزبية ولاتغريه مناصب حكومية عالية ومقاعد حكم وثيرة أعرف أن من هدف اليسار

يمين X شمال

مصارحة الشعب بالحقيقة فهل نجد فى أصحاب الفكر اليسارى- كم تعودنا منهم- الحقيقة الحقيقة فقط لوجة هذا الشعب وشكرا لكم.

السيد الدفراوى
القاهرة

المحرر: الحقيقة بنت البحث: والتاريخ فى النهاية علم يقوم على مقارنة الروايات المختلفة للحدث الواحد، والمقارنة بينها، وربطها ببعضها، وبما قبلها وما بعدها، ثم استخلاص الحقيقة من ذلك فالمؤرخ كالقاضى «مطالب بالعدل والانصاف، وعدم االتحيز بالحب أو بالكره أو بالمصلحة. وكما أن هناك شهود زور، فهناك شهود عدول.. فلا تغضب لحرب المذكرات لأن الحقيقة الكاذبة هى التى تظهر الحقيقة التى ليست كذلك.. والشباب مطالب أن يقرأ، وأن يكون عقله بنفسه. نرشح لك حول هذا الموضوع كتب محمد حسنين هيكل الأخيره «ملفات السويس/ سنوات الغليان/ الانفجار»، وكتاب أحمد حمروش «قصة ثورة ٢٣ يوليو/ ٥ أجزاء»

أزمة اليسار من أزمة مصر

إن السلطة أي السلطة تعرف جليا كيف أن أى سياسى لابد له من قاعدة إجتماعية تسانده وتمنحه الاستمرارية ويكون لتلك القاعدة الاجتماعية مصلحة فى بقاء هذا النظام عرف السادات ذلك مبكراً واستطاع أن يصنع هذه القاعدة صنعا منذ عام ١٩٧١... إن السادات باستدعائه الرأسمالية التقليدية وبيروقراطية الستينات واستعادته لإمتيازاتها وتتويجه لهذه الإمتيازات بقوانينه الإنفتاحية فإنه بذلك قد وسع رأسيا أكثر من الأفقى من القوى المساندة لنظامة قوى طفيلية أنهكت الاقتصاد المصرى لم يقتصر السادات على ذلك بل عمل على تسليط وتغذية التيارات الاسلامية السياسية ووجه وسائل إعلامه لخدمة سياسته وفتح معتقلاته وسجونه .. كل هذه الممارسات أدت إلى إختلال وميوعة الخريطة الطبقية فى مصر كما أدت أيضا إلى تفاوت وتضارب المواقف السياسية داخل الطبقة الواحدة كما أدت إلى هروب عدد كبير من حلبة العمل السياسى وخاصة بعد الاحتراف فى تزوير الانتخابات العامة- ووقوف البعض الآخر موقفا سلبيا إلى جانب الأمية السياسية كل ذلك بالطبع أثر على عملية الصراع الطبقى وقيد بل وأخمد أى عملية جماهيرية تحاول الخلاص من تلك الأوضاع- ولو أننا نضع بعض التحركات الجماهيرية التى حدثت فى ذلك الوقت موضع التقدير مثل مظاهرات عام ١٩٧٧ والإضرابات والمظاهرات العمالية المتفرقة التى إستطاعت أن تحدث بعض الزلازل ولكنها لم تصل إلى حد البركان.

وجاء الرئيس مبارك ليكرس ويعمق سياسة سابقة وأصبحت هناك هوة ساحقة بين من يملك ومن لايملك إلى جانب الديون- التبعية حكم خارجي بواسطة الامبرالية متمثلة فى صندوق النقد الدولى- البنك الدولى نادى باريس إلى جانب الأزمات الإجتماعية والاقتصادية الداخلية.

نعرف بداية أن الحزب السياسى هو طليعة طبقة ما أو هو تعبير عن موقف طبقى ما- ولأننا نتحدث عن الفقراء يعنى أننا نتحدث عن اليسار وهو الوحيد على الساحة السياسية النقيض التام للسلطة السياسية القائمة- واليسار المصرى المتمثل فى حزب التجمع بفصائله المختلفة- ماركسيين ناصريين قوميين دينيين مستنيرين- إلى جانب اليسار غير المعلن كلهم يمتلكون مساحة واسعة من الرؤى المتقاربة فى كثير من قضايا الأزمة المصرية المعاصرة ولكنهم رغم قوة وسطوة عدوهم الطبقى داخليا وخارجيا مصرون على الانقسام- فالماركسيون أصحاب الفكر المتجدد والنظرية المبدعة والتى تؤمن بالوحدة والصراع رغم ذلك فهم منقسمون- الناصريون أشتات- القوميون كل فى واد وهناك آلاف اليساريين الذين أتعبتهم الانقسامات فآثروا السكينة والثبات.

إن اليسار المصرى على هذا الحال لو أن العامل الثورى الموضوعى نضج سوف تذروه الرياح أى رياح.. إن جماهير شعبنا الفقير يتطلعون إليكم كطلائعه المثقفين أن تنتشله من مستنقع الفقر والظلم- إنهم يحملونكم المسئولية فى الخلاص وأقول لكم أن هذه السلطة الطبقية ستظل تمارس سياساتها بكل ثقة وستزداد الأزمة كثيراً طالما كنتم على هذا الحال. فعليكم باطلائع هذا الشعب بجبهة اليسار أولاً ثم الجبهة الوطنية الديمقراطية إعملوا على تقريب الآراء ونظموا الصفوف ووحدوا الحركة تبلغوا الأهداف.

مصطفى النجار
مدرس تاريخ
أمين تنظيم حزب التجمع وحدة دمنكة/ دسوق/ كفر الشيخ

سلام العاجزين

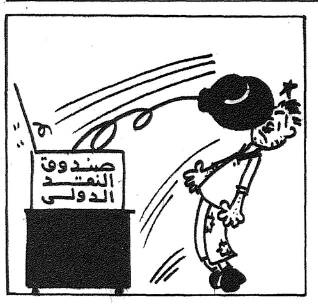
ان أى سلام فى الشرق الأوسط فى وجود اسرائيل أو اليهود مجرد عبث وأحلام عاجزين. والتاريخ القديم والحديث يصرخان بأن اليهود ليس لهم مكان فى بلادنا العربية. فالتاريخ القديم ذكر ان امرأة تدعى «استير» جعلت اليهود يرتعون فى فلسطين بقرار صدر فى فراش الملك البابلى و التاريخ الحديث يحدثنا عن وعد بلفور الذى قال فيه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر «من لايملك أعطى وعداً لمن لايستحق» أيكون من المنطقى بعد ذلك أن نعترف باسرائيل كدولة، وأن نطلب منها- وهى مغتصبة للأرض- أن تعترف بالحدود الآمنة، وأى سلام الذى يصلون من أجله فى الكعبة الجديدة.. البيت الأبيض الأمريكى.

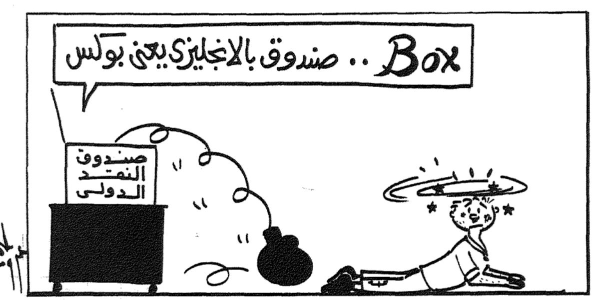
نصار عبد الواحد
محمد-القاهرة

المحرر: نحن لسنا ضد اليهود كبشر ولاضد اليهودية كدين، ولكننا ضد دولة اسرائيل العدوانية الصهيونية الاستيطانية التوسعية العنصرية.. ونتفق معك فى أن أى سلام مع دولة هذه طبيعتها هو فعلا سلام العاجزين.

برنامج
تعليم اللغة
بدون معلم







هل ينسينا « الزلزال » .. الانتفاضة وثورة الشعب الفلسطيني ؟!!